

مشکوٰۃ

مشکوٰۃ

کتاب الکمل ولا لاحد

للقیامی

فیہ

فیہ

٢٠٠٠ سنوات

مكتبة

أ.د. محمد حسين هيكل

رئيس مجلس الشيوخ السابق

الى الفيلسوف الشريف الكبير
حضرة صاحب المعالي محمد حسين حيدري باي
تقدمة اجود واحباب

وفيات

١٩١٩/١٠/٢٩

هكذا أتتكلم

ترجمة
١٩١٩/١٠/٢٩

كتاب لكل ولا لأحد

للفيلسوف الألماني

فريدريك نيتشه

ترجمة

فليكس فارس

مباحث الكتاب

صفحة

٥٥

لسعة الأفعى

٥٦

الطفل والزواج

٥٨

تخير الموت

٦١

الفضيلة الواهبة

الجزء الثاني

٦٩

الطفل حامل المرأة

٧١

في الجزر السعيدة

٧٤

الرحماء

٧٦

الكهنة

٧٨

الفضلاء

٨١

الوعد

٨٣

العناكب

٨٦

مشاهير الحكماء

٨٩

نشيد الليل

٩١

نشيد الرقص

٩٣

نشيد القبور

٩٦

الاتصاف على الذات

٩٦

العظاء

١٠١

في بلاد المدنية

الجزء الاول

صفحة

٣

مستهل زرادشت

خطب زرادشت :

١٧

التحول في ثلاث مراحل

١٩

منابر الفضيلة

٢١

المأخوذون بالعالم الثاني

٢٥

المستهزئون بالجسد

٢٧

الملذات والشهوات

٢٩

المجرم الشاحب

٣١

القراءة والكتابة

٣٣

دوحة الجبل

٣٥

المُنذرون بالموت

٣٧

الحرب والمحاربون

٣٩

الصنم الجديد

٤١

حشرات المجتمع

٤٤

العِفَّة

٤٥

الصديق

٤٧

ألف هدف وهدف

٥١

طرق المبدع

٥٣

الشيخة والفتاة

صفحة		صفحة	
	الاختام السبعة أو نشيد	١٠٣	المعرفة الطاهرة
١٩٥	البداية ، الالف والياء	١٠٥	العلماء
	الجزء الرابع	١٠٧	الشُعراء
٢٠١	تَقْدِمةُ الجِسل	١٠٩	الحادثاتُ الجسام
٢٠٤	استنجاد	١١٢	العرَّاف
٢٠٦	محادثةٌ مع الملكين	١١٥	الفداء
٢١٠	العَلقة	١١٩	حكمةُ البشر
٢١٢	الساحر	١٢٢	اعمقُ الساعات صمتاً
٢١٧	المعتزل		الجزء الثالث
٢٢١	أقبحُ العالمين	١٢٧	المسافر
٢٢٥	مُخْتارُ التسوّل	١٢٩	الرؤى والالغاز
٢٢٩	الظِلّ	١٣٧	الغبطةُ القاسِرةُ
٢٣٢	في الظهيرة	١٣٨	قبل بزوغ الشمس
٢٣٤	السلام	١٤٠	الفضيلةُ المصَغِّرةُ
٢٣٨	العشاء السريّ	١٤٥	على جبل الزيتون
٢٤٠	الانسانُ الراقي	١٤٨	على الطريق
٢٤٩	نشيدُ الأشجان	١٥١	الآبقون
٢٥٢	المعرفة	١٥٤	العودة
٢٥٤	بين غادتين في الصحراء	١٥٧	الثلاثةُ الشرور
٢٥٨	الانتباه	١٦٢	الروحُ الثقيل
٢٦٠	عيدُ حمار	١٦٦	الوصايا القديمة والوصايا الجديدة
٢٦٣	نشيدُ الثَمَل	١٨٤	النقاهاة
٢٧٣	ملحق « مفكرات نيتشه »	١٨٩	الأمنيةُ العُظمى
		١٩٢	نشيدُ آخرُ للرقص



فرېدرېك نېتسھ

تمهيد

ما من مفكر أشد إخلاصاً من
نيتشه إذ لم يبلغ أحد قبله ما وصل اليه
وهو يسبر الأغوار في طلب الحقيقة
دون أن يبالي بما يعترض سبيله من
مصاعب لأنه ما كان ليرتاع من اصطدامه
بالفجائع في قراراتها أو من انتهائه الى
لا شيء

اميل فاكيه

عضو المجمع العلمي الفرنسي

هذا هو نيتشه كما صورته فاكيه بعد ان درس عديد مؤلفاته واستعرض
فلسفته . وقد جراه بهذا التقدير أنصار نيتشه وخصومه من كل شعوب اوربا
فانك لو استعرضت المؤلفات التي كتبها عنه العباقرة العديدون ، ومنهم من
يعتقد بتخبطه على غير هدى ومنهم من يرى وراء كل جملة من أقواله سورة
لا تنجلي معانيها الا للعقل النافذ والحس المرهف لرأيهم قد اجمعوا على وصفه
بالمفكر الجبار المتجه الى الحقيقة يطلبها وراء كل شيء حتى وراء المبادئ التي
يقول بها

وما أجمع هؤلاء المفكرون إلا على الصواب في هذا الوصف الذي ارتضاه
نيتشه لنفسه اذ قال :

« لا يكفي لطالب الحقيقة ان يكون مخلصاً في قصده بل عليه ان يترصد
إخلاصه ويقف موقف المشكك فيه لأن عاشق الحقيقة انما يحبها لا لنفسه مجارة
لأهوائه بل يهيم بها لذاتها ولو كان في ذلك مخالفاً لعقيدته فاذا هو اعترضته
فكرة ناقضت مبدأه وجب عليه ان يقف عندها فلا يتردد ان يأخذ بها
إياك ان تقف حائلاً بين فكرتك وبين ما ينافيها ، فلا يبلغ أول درجة من
الحكمة من لا يعمل بهذه الوصية من المفكرين
عليك ان تصلي نفسك كل يوم حرباً وليس لك ان تبالي بما تجنيه من نصر
او تجني عليك جهودك من اندحار ، فان ذلك من شأن الحقيقة لا من
شأنك »

قال نيتشه بهذا المبدأ وعمل به وبالرغم مما يتجلى في تعاليه من غرور
وصلف ، فانه كان يسير في ابجائه ولا هم له سوى استكشاف الآفاق فيورد اليوم
فكرة يكذبها غداً فكانه بانكاره الخير والشر لم يجد بداً من إنكار كل عقيدة
ثابتة ، فاذا انت اردت ان تسير وراء هذا الفيلسوف طلباً للعقيدة فلا تتعب
نفسك بالحقاق به في مراحل يقطعها بخطواته الجبارة لأنه هو نفسه قد اصابه
الخلل وبصيرته تائهة في استلهاام الحقيقة واستقرارها
من قال لك :

« إن لا مكتشف لحقيقة ذاته إلا من يهتف : هذا هو خيري وهذا هو
شرّي فيُخرس الخلد والقزم القائلين بان الخير خير لكل والشر شر
للجميع »

من قال لك هذا ، لا تتوقع منه أن يأتيك بشريعة تقوم مقام الشرائع التي
يشور عليها

إن نيتشه المفكر الجبار الذي يفتح أمام الفرد آفاقاً واسعة في مجال القوة
والثقة بالنفس وتحرير الحياة من المسكنة والذل ، تائقاً الى إيجاد إنسان يتفوق
على انسانيته بالمجاهدة والتغلب على العناصر والعادات والتقاليد وما توارثته
الأجيال من العقائد الموهنة للعزم ، يقف وقفه الحائر المتردد عندما يحاول إقامة

مجتمع لأفراده المتفوقين بل هو يضطر الى تقض أولياته القائمة على احتقار
الرحمة والرُحماء حتى ينتهي الى قوله :

«إن العالم الذي يتفوق على الانسانية إنما يعود بها بعد هذا الجنوح الى بذل
حبه للأصاغر والمتضعين»

وهكذا ترى زرادشت الداعي الى تحطيم ألواح الوصايا جميعها والى إنكار
الشرعية الأدبية لإقامة شرعة جديدة ما وراء الخير والشر يعود مفتشاً بين انقاض
الالواح التي حطمها على كلمات قديمة يجعلها دستوراً لانسانيته المتفوقة

ان نيتشه الذي ذهب الى ابعد مدى في تفحص سرائر الانسان واهوائه
يضيق به المجال عندما يتجه الى حلِّ العضلات الاجتماعية ، لأنه اذا امكن للفرد
المنعزل ان يختط لنفسه منهجاً يوافق هواها باعتقاده انه هو المبدع لذاته
والحركة الاولى لها ، فانه ليمتنع عليه ان يكون عضواً حياً في المجموع اذا هو لم
يعترف في علاقته مع اخوانه بأنه ليس مصدراً لذاته ولا مأباً لها

ان من يطمح الى مثل ما طمح اليه نيتشه من تكوين مجتمع منظم يسود فيه
المتفوقون ولكل منهم شره الخاص وخيره الخاص لا يوجد في النهاية الا
مجتمعات متفاوتة التفوق فيه بين أفرادها فيقضي الأقوى منهم على الأقل قوة منه
حتى يقف آخر الظافرين منتحراً بقوة وعنفه كما انتحرا إلى نيتشه برحمته
غير ان المبدع لزادشت لم تقته هذه الحقيقة ، فعاد الى الشريعة الاولى
يختلس منها آيتها الكبرى ليوردها وصيةً لندياه فقال :

« حذار من الطفرة في مسلك الفضيلة فعلى كل فرد أن يسير في طريقه
وإن جنح عن مسلك الآخرين ، فلا يطمحن الى بلوغ الذروة وحده اذ على كل
سائر ان يكون جسراً للمتقدمين وقدوة للمتأخرين »

اين هذه الوصية مما دعا اليه زرادشت في مفكراته نفسها اذ قال :

« على اهل السيادة في الانسانية المتفوقة ان يمهّدوا سبيل السعادة لمن هم
دونهم بتضحية ملذاتهم وراحتهم وعليهم ايضاً أن ينقذوا من لا يصلحون للحياة
بالقضاء عليهم دون إهمال »

بل كيف يتفق القسم الاول من هذه الوصية مع قسمها الثاني ؟ ومن له ان
يضع مقياساً يقضي به لمن يصلحون للحياة كما يقضي به على من لا يصلحون لها

إذا اتبع القاضي شرعة زرادشت القائل بأن على اتباعه ان تتجلى القوة فيهم من الرأس حتى أخمص القدم

ولو ان مذهب نيتشه هذا طُبِّقَ قبل ميلاده لكانت السلطة التي يراها مثلاً أعلى قضت على أبيه وأمه دون إمهالٍ فما كان له هو ان يظهر في الوجود بدماعه الجبار وبسُم الداء الذي جال من دمهما الملوَّث في دمه . . .

ثم ، أفليس هنالك غير هذه الادواء الطارئة والتي يمكن للعالم ان يكافحها ، ما يُقضى على الانسان بالرضوح له من حالة في جسمه لا قبل له بتبديلها او تعديليها؟ افما تحقق الطب ان كل مولود يجيء الحياة انما يدخلها مستصحباً معه اليها من سلالته الضعف الذي سيقضي عليه . أفليس في كل دارج على هذه الغبراء علة او علل كامنة في تكوين اعضائه ستورته الردي حين تدنو ساعته ؟ ...

اي جسم مهما ظهر لك صحيحاً ليس فيه عضو هو اضعف الحلقات في سلسلة اعضائه، وفي فراغ مناعته المحدودة انفصام العرى وبداية انحلال العناصر في هيكله الثاني؟

اين هو الجسم المنيع الذي يتوق نيتشه الى ايجاده مربعاً من قمة الرأس الى أخمص القدم؟

لقد عمل العالم المتمدن على ايجاده بالرياضة فأوجد الرقاب الغليظة والعضلات المتضخمة مسبباً منها تضخم القلب وجفاء الطبع وبلادة التفكير وانحطام اجنحة الخيال

يريد نيتشه خلق الانسان المتفوق جباراً كشمشون وشاعراً كداود وحكياً كسليمان. فهو يكلف الطبيعة ما لا قبل لها به ويطمح الى ايجاد جبابرة لا يصلحون لشيء في المجتمع لان الحيوية لا تنصرف من مختلف نوافذها الجسميّة في آن واحد دون ان تقبض على صاحبها لتوقفه من سلم الارتقاء على مرتبة معلقة بين الاعتلاء والانحطاط فيكون منه لا الانسان المتفوق بل الانسان «التافه» القصير الحياة والقاصر في كل عمل يباشره

ان المجتمع لا يقوم من الوجهة العملية على افراد يحاولون الاحاطة بكل شيء فلا ينالون منها شيئاً

وليس الحال الا على هذا المنوال من الوجهة الروحية ايضاً، فان من تبصر في احوال الناس وطرائقهم في الحياة ، لا بد له أن يسلم اخيراً بان لكل

شخصية حياتها بما كمن في حوافزها ولكل شخصية ميّتها بما خفي من أدواء
جسمها وعلل ارادتها وبما وراءها من مقدّمات وحولها من نتائج
ان في الحياة مسالك خطتها الارادة الكلية وليس للادارة الجزئية ان
تتناولها بتحويل فصاعد الرقي للارواح منتصبّة من كل مسلك في عالم الظاهر
نحو العالم الخفي ، وما خصت العناية اقوياء الجسوم بالارتقاء
ولربّ صعلوك في نظر نيتشه لا يصلح للحياة ويجب ان يُقضى عليه دون
إمهال تتفجر منه قوة لا تراها الا البصائر النيرة
من لنا بسبر الاغوار البعيدة القرار لنذكر سرّ التكامل في الذات والحكمة
في حد الاشواط لكل روح لتقوم بقسطها من المقدور
ومن لنا بادراك سرّ الضعف والقوة وقد يكون الضعف في الجسم السليم
والقوة في العليل من الاجسام
ان لكل مخلوق ان يبلى الحياة بما أُعطي من ظاهر الضعف أو ظاهر القوة ،
لأن للصحة محنتها كما للمرض محنته والانفس الطامحة الى مُثلها العليا سواء
اكانت هذه المُثل في هذه الحياة ام ما وراء الحياة ، انما تتغذى من الجسد
ناحلاً عليلاً كما تتغذى منه مليئاً بالنضارة والصحة والبهاء
ان للحكمة العليا مقياسها في تقدير الجهاد الاكبر على كل نفس ومن يدري
في أية لحظة وبأي مداد من قوة الجسد او ضعفه تخط الروح الاسيرة آخر سطر
من كتابها ؟ ...

*

إنّ محور الدائرة في فلسفة نيتشه انما هو ايجاد إنسان يتفوّق على الانسانية
لذلك تراه يهزأ بكل من عدّه التاريخ عظيماً بين الناس قائلاً ان الجيل الذي يولد
العظماء لم يولد بعد وان لا رجل في هذا الزمان يمكنه ان يتفوّق على ذاته وكل
ما بوسع الناس ان يفعلوه في سبيل المثل الاعلى هو ان يتشوّقوا اليه ليخرج من
سلاّتهم في مستقبل الازمان

وسوف يرى القارئ في الفصول الاخيرة ما هو تقدير زرادشت للرجال
الراقين في هذه الحقبة الشاملة لعصره ولعصرنا فهو يعتبرهم نماذج فاشلة للانسان
الذي يتوقّع نشوءه ، غير ان زرادشت وهو يتكلم بلهجة الامر الناهي ويرسم
للحياة طرقها بخطوط متفرقة ان لم تجمعها انت بقيت حروفاً منتثرة لا معنى لها

لا يقول لنا بصراحة ما يجب ان نفعله لنصبح جدوداً لأحفاد تصلح بهم الحياة،
ولكن من يعود بصيرته على مجارة نيتشه في الرؤى التي يهيم فيها يستوقفه قوله
« إن ما فطرنا عليه هو ان نخلق كائنات يتفوق علينا ، تلك هي غريزة الحركة
والعمل »

ثم يستوقفه في موضع آخر قوله
« إنني لم اجد امرأة تصلح أمّاً لابنائي الاّ المرأة التي احبها »
فاذا ما وقف المفكر عند هذا يعرف ما هي تلك الفطرة التي يراها دافعة
للانسان الى التفوق على ذاته وأنسالة
وما تكون تلك الفطرة ان لم تكن حافز الحب الصحيح وفي اعماقه غريزة
الانتخاب تجتذب الزوجين الى اتصال يشدد احدهما فيه ما وهن في
بنية الآخر

ولولا اننا درسنا ملياً مسألة اعتلاء الامم وانحطاطها ببحث صحة النسل
واعتلاله في فصل « منابت الاطفال » من كتابنا « رسالة المنبر الى الشرق
العربي » لكنا ثبت هنا ان ايجاد الانسان الكامل في انسانيته ، لا الانسان
المتفوق على نوعه كما يريد نيتشه ، انما يقوم على مجارة حوافز الاختيار الطبيعي
في الزواج باعتبار كل شهوة جامحة وكل طمع يسكت هاتف الاختيار سواء في
الرجل او المرأة جنانية على الانسانية
هذا واننا لا نجد بداً من نقل بعض فقرات من فصل منابت الاطفال تأييداً
لهذه الحقيقة

*

« إن الانسان لا يريد الانقياد للانتخاب الطبيعي فهو يطمح الى تحكم
اختياره في حوافز لا يعلم منشأها ، فيعتمد الرجل الى استيلاء المرأة اطفالاً
تتجلى فيهم كوا من عله وعلل المرأة التي يرغمها إرغاماً بدلاً من ان ينقاد الى
الانتخاب الطبيعي الذي تتذرع به الطبيعة للغلبة على العاهات والامراض وللقضاء
على حوافز الخبل والاجرام

*

إن الولد المختل العليل انما هو الضحية البريئة تصفم الطبيعة به أوجه الرجال
الفاحشين والنساء الطامعات المضللات

*

« ومما لا ريب فيه ايضاً ان الطبيعة في حرصها على طابع الابوين في الابناء
تطمح دائماً الى الجمع بين رجل وامرأة يصلح احدهما ما افسدت الحياة في الآخر ،
ولا يقف طموح الطبيعة عند حد إصلاح الاعضاء بل هو يتجه خاصة في الانسان
الى إصلاح ما تطرّق من عيوب الى صفاته الأدبية العليا ، ولعلّ في هذا بعض
التفسير لسيادة الايقاع بين رجل وامرأة تخالفت اشكالهما واوضاع اعضائهما
ومظاهر قواهما الأدبية والعقلية ، فقد لا تجد مصارعاً قوياً العضلات يعشق
مصارعة مثله ولا فيلسوفاً يتولّه بفيلسوفة ، ولكم وقف المفكّرون مندهشين
أمام امرأة فاضلة تحسّ بانجذاب نحو رجل متلاعب محتال او بارعة في الجمال تندفع
الى الالتصاق برجل قبيح . إنّ بعض العشق ينشأ من حنانٍ خفيّ في الطبيعة يشبه
عطف الطبيب المداوي على العليل المستجدي الشفاء . . . »

*

« إنّ المفكرين يثورون على الشبان الذين يقدمون على الزواج وفي دماهم
سمومٌ وفي مجاري نطفة الحياة منهم صديد ، ومن الأمم من سنّت القوانين
الصارمة لمنع زواج المبتي بالعلل الزهرية وبالجنون محافظة على صحة النسل ،
ولكنني لم اقرأ لمفكر رأياً في الحيولة دون الزواج الآلي المجرد عن كل عاطفة ،
ويتراى لي ان طفلاً يجني أبواه عليه بايرائه دماً أفسدته الامراض هو أقلُّ
شقاء بنفسه وأقل اضراراً بالمجتمع من طفل يرث من ابويه عهر العاطفة وضلال
الفطرة

لقد تشفى العقاقير ابناء العلل ولكن ايّ دواء يشفي الطفل الذي زرعه توحش
الرجل المفترس في احشاء المرأة المنكسرة الذليلة ؟ إنّ مثل هذا الطفل لن يكون
الأ وحشاً كأبيه او عبداً ذليلاً كأُمّه »

*

« إنّ من الحب ما ينشأ عن الحياة الجسدية حاجة ملحة متقلّبة كالحياة
نفسها وفي النساء كما في الرجال اناسٌ حبهم أشبه بالجوع والظمأ يتهافتون
على اية مائدة ويرتوون من اي ينبوع . وماذا عساه يفهم من الحب
من يرى المحبوب مائدة وينبوعاً ، ؟ قلّ من الناس من يدرك ان من أنكر

على المحبوب شخصيته التي لا تُستبدل فقد أنكر هو ذاته شخصيته التي يحس بها »

*

« لا صلاح لأمة فسدت منابت أطفالها ، وهذه عبر التاريخ ماثلة لعيان من يريد أن يرى

أفما كانت كل الأمم التي اندثرت واستُعبدت تمرّ أولاً في مرحلة تدني الأخلاق وانطلاق الشهوات ماثلة بأشرف ما خلق الله في الإنسان ؟ »

*

« سوف يأتي يوم ، وهو غير بعيد ، تنبّه المدنية فيه الى ان الرجل المتفوّق الذي ينشده العلماء في الغرب لن يخلق لهم من التمرين لقوى العقل وقوى الجسد ولا من فحص خلايا المتزوجين بالمجهر حتى ولا من تلقيحهم بالمواد الكيماوية او تطعيمهم بغدد القروود

إن الرجل الكامل أو الاقرب الى الكمال انما هو ابن الحب الكامل ، فالحبة وحدها هي السبيل المؤدي الى إدراك الحق والقوة والجمال

لندع العالم المتمدن يفتش في علومه ونهضة مفكره على هذا الحب الذي تخيّلته ماركس متجلياً في الحرية التامة للناس في أهوائهم فجأت البلشفة تثبت انخداع هذا الفياسوف في نظرياته ، ليفتشوا انهم لن يتصلوا في تجاربهم الا الى العبر الزاجرة المؤلمة

أما نحن ، ابناء هذا الشرق الذي انبثق الحق فيه انصباباً من الداخل بالالهام لا تلمساً من الخارج ، فلنا المسلك المفتوح منفرجاً أمامنا للاعتلاء والخروج الى النور بعد هذا الليل الطويل ، اذا نحن اخذنا بروح ما اوحاه الحق الينا

لا بترقية الزراعة والصناعة ، ولا بنشر التعليم والتهديب ولا بجعل البلاد جنة ثراء وتنظيماً ، تنشأ الأمة ويخلق الشعب الحر السعيد

إن الجنين الذي يحمل اسباب شقائه وهو في بطن أمه لا يمكنه ان يصير رجلاً حراً قوياً يفهم حقيقة الحياة ويتمتع بالعظمة الكامنة فيها

إن الاهتمام بإيجاد الطفل الصالح أولى من العمل لاعداد العلم والتهديب لطفل نصقل مظاهره صقلاً وتنحطم كل محاولة للنفوذ الى علته المستقرّة فيه منذ تكوينه »

*

« ليس الفقير المتسول ، ولا العليل المتألم ، ولا الشيخ الهرم يتمشى بلا سند الى قبره ، ليست المرأة المستعبدة بلقمة ولا الفتاة المخدوعة المنطرحة على أقدار المواقير ، ليس كل هؤلاء الناس الأشقياء في الحياة باسقى من الاطفال يجور عليهم اباؤهم وأمهاتهم قبل ان يقدفوا بهم الى الوجود ويرهقونهم بالقطيعة والاهمال بعد ان يدرجوا عليها باقدامهم الناحلة المتعثرة . . .

الرجل الذي يمسح حبه الواحد شهوات متعددة والمرأة التي تتقصص متهكة ماسخة هيكل نسمات الله مكرماً لنفائات البشر من عبادة الخيانة والطيش ، انما هما آدم وحواء مطرودين من الجنان الى أرض الجهود المضنية والالام المحتمة ، ومن يدري ان حديث معصية الابوين ليس رمزاً لخيانة الحب ، تلك الخيانة التي تنزل اللعنة بمرتكبيها وبابنائهم من بعدهم . . .

ويل للرجل الذي يهدم بيديه سعادته وسعادة أبنائه وويل للمرأة التي تدنس منبت أطفالها »

*

ليس في تمهيد موجز كهذا مجال لبحث فلسفة نيتشه التي أشغلت كبار كتاب القرن التاسع عشر ولم يزل الفلاسفة يكتبون عنها الى اليوم ، غير ان ما تناولناه الماماً من نظريات نيتشه يكفيننا لتحديد ما يجب ان نعقله منها دون ان ننتقص من قدر هذا العبقرى لأنه اقتحم اسرار الكون معتمداً ذاته فعاد عن هذه الاسرار مدحوراً . وهل من كاتب قبله او بعده تمكن من حل الغاز الوجود والوقوف منها عند عقيدة صريحة تستغني عن الايمان بالقوة الخفية المتعالية عن التعليل والتحليل ؟

حسب نيتشه في موقف حيرته ، وما هي بالدرجة الوضيعة على سلم التفكير ، ان يهتك سريره امامك دون ان يلجأ الى اعمال السفسطة لايجاد وحدة ظاهرية وتناسب مزيف في صرح تفكيره ، حسبه أنه اندفع وراء المثل الأعلى السكامن في « ارادة القوة » تبعاً لتعبيره وفي نفس الانسان الخالدة تبعاً لعقيدة المؤمنين ، فبسط امام المفكرين من مشاهد المجتمع ومن مسالك الأرواح على معاير الأرض ما لم يلمحه سواه من المنشئين

ان ما نرانا بحاجة الى الوقوف عنده من فلسفة نيتشه في كتاب زرادشت الذي لم تقته قضية اجتماعية لم يقل فيها كلمة كان لها دويها في العالم الغربي ، إنما هو هذه المبادئ التي تبحث ما غرست قرون العبودية في اوطاننا من استكانة حولت ايمانها الى استسلام في حين ان روح شرعتها يهيب بالنفس الى الجهادين في سبيل الوطن والانسانية جمعاء

ان الدين الذي يهاجمه نيتشه انما هو صورة لأصل شوهها الغرب ، وما علم هذا الدين أن الحياة معبر على المؤمن اجتيازها وهو معرض عن كل ما حوله معلق أبصاره على باب قبره . بل علم أن الحياة مرحلة من أشواط الآزال والآباد وما تطهر أنفوس لم تحترق بنار الحياة أجسادها ولم تُعيد صلاحاً لباقياتها بإصلاح زائلاتها

ليس نيتشه اذا مبدع فكرة التكامل للانسان على الارض فان التكامل مبدأ جعلته الأديان السماوية أساساً لكل وصية تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، غير ان الدين قد اراد للانسان تكاملاً روحياً يهيئه الى ادراك باريته وراء المحسوس في حين ان نيتشه ، وقد أنكر ما لا تقع الحواس عليه ، أراد ان يفلت الانسان من حدود إنسانيته على هذه الارض فيجعلها جنة خلد يستوى عليها بجبروته إلهاً . . .

وقد غرّب عن هذا الفيلسوف ان المخلوقات كلها في سلسلة الوجود لا تملك الانعتاق من حدود أنواعها ومهما كرّت القرون وتعاقبت الاجيال لا يمكن للجهاد ان يفلت من مملكته الى مملكة النبات ولا للنبات ان يجتاز حدود مملكة الحيوان ولا للحيوان ان يحتاج مملكة الانسانية

لذلك كان الذهاب في طلب انسان يتفوق على الانسانية كالمحاول استنبات الشجرة حيواناً او استبدال الحيوان انساناً

لقد كرت القرون على مبدأ التاريخ الذي نعلم وعلى ما لا نعلم من حقبة كرت ما وراءه ، والانسان لم يزل هذا المخلوق الدائر ابدأ ضمن حلقة إنسانيته لقد كان نيتشه من المعتقدين باستحالة الانواع حين صرخ بلسان زرادشت وهو يخاطب الحشد في الساحة العمومية :

« لقد كنتم من جنس القروود فيما مضى على ان الانسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القروود في قرديته »

ولكنه بالرغم من هذا يصرّح بان هذا النوع القردي وهو الانسان ينسلخ
عن أصله فكيف زين له خياله أن في هذا النوع إنساناً فائقاً لا يزال كامناً
منذ البدء ينتظر قدوم فياسوف في أواخر القرن التاسع عشر يستجلى هذا
الجبار ويبعثه بإرادة جديدة تتسلط لا على الحاضر والمستقبل فحسب بل على ماضٍ
وتواري ايضاً في عاصفات الاحقاب ؟ . . .

*

إن بدعة الانسان المتفوق إنما هي في تقديرنا تشويق نفسٍ شعرت بانها
كانت وستكون ، وقد ضرب الإلحاد حولها نطاقاً فتوهّمت انها ستبلغ في هذه
الحياة ما ليس من هذه الحياة

إن نيتشه يعلن إلحاده بكل صراحة ويباهي بكفره غير اننا لا نكتم
القارئ الكريم أن ما قرأناه بين سطوره ، وقد مررنا بها كمن عليه ان يفهم
كل معنى ويستجلى كل رمز ، يحفز بنا الى القول باننا لم نر كفرة أقرب الى
الإيمان من كفر هذا المفكر الجبار الثائر الذي ينادي بموت الله ثم يراه متجلياً
أمامه في كل نفس تخفق بين جوارح الناس من نسمة الخالدة ، فان هذا الملحد ،
بالرغم من اعتقاده بان الجسد هو أصل الذات وأن الروح عرض لها وبأن كلا
الروح والجسد فانيان ، لا يملك نفسه من الهتاف وهو يؤكد عودة كل شيء
واستمرار كل شيء فيقول

— أواه كيف لا أحنُّ الى الابدية وأضطرم شوقاً الى خاتم الزواج ، الى
دائرة الدوائر حيث يصبح الانتهاء ابتداءً . إنني لم أجد حتى اليوم امرأة اريدها
أماً لابنائي الا المرأة التي أحبها لانني احبك ايها الابدية !
أنني احبك ، ايها الابدية

اين هذه الهتفة الرائعة تصدو في اعماق روحٍ تتطير من الزوال من ابتسامة
الملحد الصفراء وهو لا يرى وراءه وأمامه الا العدم والزوال بل يكاد يرى
وجوده خدعة وخيالاً كاذباً

إن فلسفة لا تستنيم لفكرة الفناء ولا ترى في النهاية الا عودة الى بداية
ليست بالفلسفة الجاحدة فالمفكر المؤمن بانسانية عليا تتدرج الى الكمال حتى
ولو قال بالوهمية الانسان على الارض لا يمكنه إلا ان يؤمن في قرارة نفسه بكمال
مطلق تشويق روحه اليه ما وراء هذا العالم

*

ولا بد هنا من إيراد تاريخ موجز لحياة هذا الفيلسوف ، وليس في حياته القصيرة وهي مليئة بالآلام من الحوادث ما يستحق التدوين غير المراحل التي مرَّ عليها تفكيره فتأثر بها . وهل نيتشه إلا فكرةٌ وهل حياته إلا وقائعٌ ميادينها السطور والصفحات ؟

ولد هذا العبقرى الثائر سنة ١٨٤٤ في بلدة روكن من أعمال المانيا وكان أبوه واعظاً بروتستانياً من أسرة بولونية هجرت بلادها في القرن الثامن عشر على أثر اضطهاد شرّد منها اشباع كنيسة الاصلاح

وما بلغ فردريك الخامسة من عمره حتى مات أبوه فكفلت أمه تربيته وتربية اخته فأرسلته الى مدرسة نومبورغ ثم انتقل منها سنة ١٨٦٤ الى كليتيّ بون وليبسيك حتى اذا بلغ الخامسة والعشرين من عمره سنة ١٨٦٩ تجلّى نبوغه فعين استاذاً للفلسفة في كلية بال

بعد سبع سنوات اي سنة ١٨٧٦ ظهرت عليه اعراض « الزهري الوراثي » فحكه صداعٌ شديدٌ أضعف بصره فبقي يلقي الدروس حتى سنة ١٨٧٩ اذ اضطر الى الاستعفاء ليذهب متنقلاً بين روما وجنوا ونيس وسيل ماريا وهو يعمل الفكر ويكتب مصارعاً علتة عشر سنوات فلا هو يبرأ منها فيحيا ولا هي تجتاح دماغه الجبار فيموت الى ان جاءته سنة ١٨٨٩ بالفالج مقدمةً للجنون فتوارى سنة ١٩٠٠ بعد ان سبقته الى الموت عبقريته العلية وارادته الوثابة الجبارة

*

ذلك كان فردريك نيتشه ، مجسّم القوة المفكّرة التي دارت بها النائبات وحاصرتها الاوجاع وتصادمت مع تيارات الفلسفات التي كانت تهب في ذلك العهد في المانيا وفي اوروبا باسرها حاملة للعالم مباديء تضعضع العقل وتهز المجتمع بتقويضها كل عقيدة تقيم امام الانسان غاية لحياته

فقد كانت افكار فيخته وشللينغ وهيغل وشوبنهاور تهب جميعها ناشرة في اوروبا مزيجاً من مذاهب القدريّة والعدمية ووحدة الوجود والارادة الحرة ، فقال شوبنهاور ان روح الوجود قوة طائشة عمياء ادركت نفسها في عقل الانسان وشعوره فوجم حائراً وفي نفسه ظلاماً في صحراء لا ماء فيها غير وهج السراب ، ولم يجد هذا الفيلسوف من علاج لهذه العلة غير التمرد على الحياة نفسها بترك ملذاتها

والالتجاء الى الزهد وانتظار الفناء في ما يشبه النيرفانا وهي القوة التي تتلاشى كل شخصية فيها

وكانت الفلسفة الدينية تقاوم هذه التيارات للاحتفاظ بالعقيدة المسيحية بأبحاث لاهوتية ينسجها حول تعاليم عيسى رهط من المفكرين كنويمن وكورليج وكارليل وشلير ماخر وبيارلرو وجان باينو وشارل سكريتان واضرابهم فزجوا بالإنجيل في مآذق مجادلات ليست منه وليس منها في شيء . وهل خطر لذلك المعلم الانساني وهو يدعو الى تطهير النفس ومقاومة الظلم والأخذ بالرحمة وإقامة الأخاء بين بني الانسان ان ينشيء مدرسة للتعليل عن مظاهر الكون ومنشأ الروح والانعكاسات من الآفاق والإنطباعات في السرائر ، بل هل خطر له ان يبحث علاقته بالله وعلاقته هو وحده او هو وأب الخليقة كلها بروح القدس ؟

*

وأخذ نيتشه بهذه التيارات تهب من كل جانب على فكره الوقاد تلهبه الآلام وتثير تشوُّقه الى حالٍ يعلل فيها سبب وجوده وهدف صبره وجهاده ان الرجل المتمتع بصحة الجسم وبشيء من العزم يكتفي من هذه الحياة بما تعطيه فاذا آمن بالله واليوم الآخر وقف عند ايمانه هذا مرتاحاً الى ضميره وإذا أخذ بفلسفة الجحود رضى بهذه المرحلة من شعوره بذاته وطلب أوفر تمتع بأقل جهد

ولا يسعلو القلقُ الفكريُّ بخاصة في حالة الحيرة من أمر هذه الحياة الا على الإنسان الذي يؤدي ثمنًا باهظًا من اوجاعه لكل لذّة يختلسها كالسارق من قوته الاسيرة في ضعفه الجائر

إن مثل هذا الانسان ، اذا عززته القوة الخفية بالحس المرهف ، يطالب الدنيا ببذل لما يبذل فيها فيستنطق نفسه والآفاق ليعلم ما اذا كانت لهذه الانسانية المعذبة المجاهدة ما يبرر محنتها وجهادها

وفردريك نيتشه كان ذلك الانسان فما أرضته من الفلسفة اللاهوتية تلك الاحاجي التي احيطت المسيحية بها وما كان ليرضى من جهة اخرى بهذه القوة الهوجاء التي صورها شوبنهاور موجدة لانسان لم يعط له الا التصوُّر لإقامة أشباح تتراقص حوله وهي غير كائنة الا في وهمه

ونظر نيتشه الى الوجود فرأى وراء صورته المتحولة مادة تتعالى عن الاندثار
فنشأت فيه فكرة العودة المستمرة وبدأت صورة زرادشت ترسم في ذهنه حتى
استكملها فانشأ كتابه في اوقات متقطعة من سنتي ١٨٨٣ و ١٨٨٥ في فترات كانت
تسكن فيها حدة دائه او هو يسكنها بما كان يتناوله من جرعات الكلورال
المخدر . وهو نفسه يقول انه كتب كلاً من الاجزاء الثلاثة الاولى من زرادشت
في مدى عشرة ايام كان فيها مأخوذاً بالهامه خاضعاً لقريحة تحكمت فيه فلم يستطع
مقاومتها حتى ارهقته إرهاقاً

اذا نحن عرفنا هذا تجلّت لنا العوامل التي ألفت على زرادشت وشاح
الأحلام ، فان نيتشه يقبض في فصوله على مشاعر قارئه ليرى به على رؤى يتسامى
الخيال فيها الى اوجه مفهومة من رقابة القوى الواعية فكانه يسير بمطالعه في عالم
احلام تبعث اشباحها من انطباعات القوى الواعية ولكنها تتبع في مرورها
وحركاها ما يحسبه تضعضاً في عالم القوى الساهية المجهولة

*

لقد ماشينا نيتشه في حامه وهو يستعير لعقله الباطن او لسريته او لفكرته
الساهية اسم زرادشت الفارسي الذي قال بالخير والشر كقوتين تتنازعا في حياة
الانسان ، فرأينا زرادشت المزيف لا يقلد الاصيلي باتخاذ اتباعا له وباقتباسه
لهجة حكماء الشرق الا ليعارض فكرة الخير والشر قائلاً إنها نشأت دخيلة على
الإنسانية وإن ليس لهذه الإنسانية ان تتفوق على ذاتها الا بانكار الخير والشر
وتحطيم الواح الشرائع المقدرة لقيم الاعمال لان كل شعب اشترع لنفسه ما لا
يتوافق واشترع جاره

ولكن نيتشه المتلبس خيال زرادشت في رؤياه لم ينتبه الى أنه يرتكب
تناقضاً بيّناً في دعوته إذ ينكر ما يراه من خير وشر طلباً لحالة جديدة يراها
هو خيراً يريد ان يتسلح به للقضاء على شر ينكر وجوده

ولو كانت الحقيقة كامنة وراء الخير والشر كما يدعي زرادشت الجديد او
بتعبير آخر لو ان هنالك حقيقة مجردة عن الخير فاماذا يطلب زرادشت هذه
الحقيقة وهو يعلن انها الخير كل الخير للإنسانية اذا هي ادركتها ؟

*

إنَّ تحديد الخير والشر في الكلمات العشر إنما هو أساس كلُّ شرعةٍ تكفل حق الفرد ونظام المجموع

لقد تتناقض الاحكام التي تستنُّها الحكومات والجماعات في مجال الازمان مستوحاة من حالةٍ موقته تدفع اليها حاجة ملحة ، فتُكتب الواحٌ تستبدلُ بتبدل الوضع والملابسات ولكنَّ السُّننَ التي تُستلهم من الشريعة الموحى بها لا يمكن ان تتعارض اذا هي سالت من دخيلات الاوضاع الانسانية . وكلُّ شرعةٍ اصيلةٌ تحتفظ بطابع مصدرها تتوافق حتماً وكلُّ شرعيةٍ تحدّرت مثلها من ذلك الاصل

إنَّ زرادشت الجديد لم يَجُلْ في مسارح حلمه فاتحاً لسريته مجالات التفكير الا وهو يحتفظ بانطباعاتٍ من تواريح الائم القديمة الوثنية وبصورٍ متناقضة من القوانين التي ابدعتها حكومات الغرب وجماعاته ونقابات الصناعات والمالية فتمثّلت هذه السُّننُ اشباح الواحٍ تتراقص عليها الوانُ البِدَع ، فما وسع زرادشت الا ان يثور عليها ويدعو أتباعه الى تحطيمها

اما اللوحان الاولان وكلمة عيسى بان يعامل الانسان اخاه بما يريد ان يعامله اخوه به والشريعة الاحمدية التي جاءت على اساس هذا المبدأ بخير الكليات تستبسط منها الاحكام لكل جماعة ولكل زمان ، فإنَّ زرادشت لم يبحثها مع ان نفسه كانت تصبو اليها لشعوره بوجودها وراء أقنعة النظام التي اسدها الغرب على مجتمعاته . واذ كان لم يتميزها فما ذلك الا لان دماغه كان يتصدّع بما حشر فيه من فلسفة اليونان القديمة ومن مشاحنات أعلام عصره الذين شغلوا بالجدل والمباحكات المنطقية المجردة حتى اتوا بنظريات تورث الدوار وتببلل الفكر فيضطر من ألمِّها الى نبذها جميعاً لانها كدود القبور يلتهم بعضها البعض الآخر بعد أن تتغذى من جيفة لا حياة فيها

*

وفي هذا الحلم يسير زرادشت هادماً كلَّ ناموسٍ ونظامٍ لينبيء الناس بالخلود وبقاء الذات في وجودٍ شبيه بالساعة الرملية ينقلب ابداً قسمها المفرغ لاستفراغ قسمها الممتلي

ولا يطمعن القاريء في الظفر من زرادشت بما يثبت هذه العقيدة الراسية على خلود مبهم وعودة أشد إبهاماً لانه لن يظفر منه بغير صور يلمحها لمحا في

بيان شعري يتلبس الفلسفة دون ان يكون فيه اثرٌ لاي استقراء او لاي
تعليل فيخرج من استغراقه وهو لا يدري أيقصد نيتشه من العودة المستمرة ما
يتوهمه الملحدون من خلود الآباء في الابناء ام هو يرمي الى عودة الشخصية بالذات
ناسية ماضيها تاركة في كل مرحلة من مراحلها جثة تتلوها جثة على مدى الاحقاب
لقد تمرّد نيتشه أمام العدم كما قلنا وخفيت عنه حقيقة الدين الذي أخذ به
الغرب عن عيسى فأحاطه بالمعمّيات كما خفيت عنه حقيقة ما أنزل على محمد فشوّه
هذا الغربُ بالافتراء والتشنيع تعصباً وجهلاً فوقف مفكراً جبّاراً لا يستسلم
لفكرة العبث في غاية الكون ولا يرضى بالنظم الاجتماعية التي اوجدتها المدنية
وأسندتها الى الدين وهكذا هبّ يطلب للإنسانية إلهاً منها يسودها وللارض معنى
أبدياً يحوّل كل زوال فيها الى خلود مستمر التجدد بين الخفاء والظهور في محدود
غير محدود . . .

ولو تسنّى لنيتشه ان ينفذ حقيقة الايمان الذي دعا عيسى اليه مكبلاً ما جاء
به موسى لكان تجلّى له إيماناً بالقوة ترفع الضعفاء لا بالضعف يُسلط عليهم
الاقوياء، ولو تسنّى له ان يستنير بما جاء به الإسلام من مبادئ اجتماعية عملية عليا
تماشي ما جاء به عيسى ولا تنقضه لأدرك انّ في الدين الحق دستوراً يهدم كل
ما اراد هو هدمه من صروح الفساد في المجتمع ويوجد الإنسان المتصف بمكارم
الاخلاق محباً للحياة والقوة والجمال والحرية دون ان يكسر حلقة
الانسانية ويحاول الانطلاق منها وهو لا يزال يلبس تراب الارض ويرسف في
أغلالها

ولكن نيتشه باندفاعه الى معارضة الفلاسفة من معاصريه وبشورته على
التفكير الديني والتفكير المطلق في آن واحد رأى ان التكامل لنوال عطف
الالهية الراسخة في الازدهان والتخلص من عقابها الصارم يقتضي الاعراض
عن الزائلات والاسكنانة الى الساطة واعتبار العاطفة الجنسية ملطخة بأوضار
الخطيئة الأصلية فتأثر على هذه الالهية المزيّفة التي ما عرفها الشرق في اي دور
من ادوار وحيه ، وهكذا كفر نيتشه بالله فأعلن موته واختناقه برحمته . . .

هذا هو جحود نيتشه في تعاليم زرادشت وهو في تقديرنا اذا نحن استنرنا
بالدين الحق كما تدركه ذهنيّتنا الساميّة جحودٌ يتجه الى غير الإله الواحد الأحد
ربّ الناس أجمعين

بل اننا اذا ذكرنا القاعدة المثلى التي وردت في حديث للنبي الكريم على قول
او في كلمة لامير المؤمنين عمر على قول آخر ، وهي
« اِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا ، وَاَعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا »
اذا ذكرنا ذلك ، يتضح لدينا ان نيتشه قد ذهب الى أبعد مدى في الامتثال
للوصية الأولى وقد فاتته الوصية الثانية وهي وصية راسخة في ارواح ابناء
هذه البلاد الشرقية العربية ، فليس اذا في عظات زرادشت ما يزعزع عقائدنا او
ينال من إيماننا ، بل ان فيها ما يتمشى والمبادئ العليا التي اتخذها السلف الصالح
أساساً لاقامة عظمة الدين على عظمة الحياة

وفي اعتقادنا ان نيتشه قد فاق كل كاتب في تصويره واجب الانسان نحو
الحياة الدنيا لأن العلماء الماديين من جهة اعتبروا الحياة زائلة فما اهتموا الرقي
الإنسان الأدبي فيها قدر اهتمامهم باطالة حياته وإيلائه التمتع الأوفر بالجهد
الأقل ولان المفكرين المؤمنين ، من جهة اخرى ، ما كان بوسعهم ان يفكروا
للارض ويحصرها كل جهد فيها كأنها دار قرار لأن العمل للارض ليس إيمانهم
كله بل هو نصف إيمانهم ، أما نيتشه فبعد ان أقفل على تفكيره وخياله كل
نافذة يمكن للروح ان تتطلع منها الى السماء ، وبعد ان تآقت نفسه الى
الخلود فاستنزله كمعنى لهذه الارض كما يقول جاعلاً هذا التراب وطن الإنسان
الدائم ، لم يسعه الا توجيه كل قواه لتصوير إنسانية تتمتع بكل ما يمكن
اعتصاره من الدنيا وتبلغ عليها من الرقي مرتبة الألوهية

*

تلك حقائق لم تفت ثلاثة من أعلام الشرق العربي أهابوا بنا الى ترجمة
زرادشت ونشره في هذه البلاد لتسديد عزم الشبيبة في هذه المرحلة التي يتوقف
على نهضتنا فيها مستقبلنا واستعادة امجاد تاريخنا . اولئك الثلاثة هم المغفور له
السيد مصطفى صادق الرافعي فقيه الشرق والعروبة والاسلام والاستاذ حافظ
حاصر بك قنصل مصر العام في الأستانة مؤلف رسالة الحج التي كان لها دوي في
اوساط المفكرين والاستاذ احمد حسن الزيات القابض على آداب الغرب باطلاعه
وتفكيره والرافع علم الآداب الشرقية بقلمه ، وقد تفضل الأستاذ المشار اليه
فنشر في مجلته الرسالة اكثر من ربع الكتاب في مدى سنة ولولا تقديرنا ان
الزمان سيطول على نشره برمته لما كنا بادرننا الى طبعه كاملاً مستقلاً

*

إن ما دعانا واصحابنا المشار اليهم الى تقرير ترجمة زرادشت هو اننا نظرنا الى فلسفته من الوجهة الملامسة للمبادئ الدينية الاجتماعية التي تتجه الى احياء حضارتنا القديمة على أساسها ، وقد رأينا ان هذا المؤلف الفريد في نوعه ليس من الكتب التي تُنقل الى بياننا لما لها من قيمة فلسفية وأدبية فحسب بل هو من الكتب التي يجدر بالناشئة العربية درسها كما يدرسها طلاب الجامعات في كل قطر اوروبي ، فان كتاب زرادشت قد اثر التأثير الاكبر على تطور الحركة الفكرية في اواخر القرن التاسع عشر في عالم الغرب واشتمل من المبادئ على ما كان ولا يزال محور الخلاف المستحكم بين ذهنيته وذهنية الشرق العربي بوجه خاص . ولقد مضى على ظهور هذا الكتاب زهاء نصف قرن ولم يكن العالم العربي في ذلك العهد على اتصال وثيق بالحركة الفكرية الغربية فلم يُسمع في هذه البلاد بنيتشه وفلسفته الا بمقالات موجزة وكل ما عرف عنه هو انه يدعو الى التحرر من ربة الاوهام واطراح الزهد واليأس والاتجاه الى ايجاد الانسان المتفوق ولعلّ المفكرين يسلمون معنا بأن خلوّ المكتبة العربية من هذا المؤلف الفريد الذي ترجم الى جميع اللغات الحية فاتخذ انموذجاً بين ابنائها للصراحة والاخلاص في طلب الحقيقة يعدّ نقصاً في هذه المكتبة ويسجل قصوراً علينا لذلك اقتحمنا إطار بياننا لكتاب زرادشت الذي قالت فيه الموسوعة الكبرى انه لا يعدّ أروع ما كتب نيتشه فحسب بل أروع ما كُتب في اللغة الالمانية على الاطلاق

*

ولا بد في ختام تمهيدنا من إلقاءات المفكرين الى فصل من كتاب زرادشت عنوانه « بين غادتين في الصحراء » وفيه نشيدٌ تخيالي زارا « صفحة ٢٥٤ » فاننا وقفنا عنده ملياً لانه من نوع البيان المستغرق في الرمزية فلا يفهمه القارئ الا بحسه الكامن وقد لا يتفق اثنان على تأويله تأويلاً واضحاً جلياً ولو اننا ترجمناه بالحرف لجاء كأحد الرسوم التي ابتدعها أنصار التكعيب يقف المشاهد أمامها فلا يدري أجبلاً يرى أم شجرة أم انساناً لذلك اضطررنا الى املاء بعض الفراغ بين الخطوط والى الالتجاء لكسر البتئات عند نقل بعض المكعبات المبهمة الصارمة فجاء هذا النشيد أقرب الى

البيان المؤلف دون ان يخرج عن اصله الرمزي الذي يحتاج الى كثير من الاستغراق في تفهم معانيه

وحاذرنا ان نكون تجاوزنا حد الخطوط الأصلية في النقل فرجعنا الى عالم معروف من علماء الغرب ممن احاطوا بفلسفة نيتشه وذهبوا الى حد بعيد في تحليلها وهو حضرة الدكتور روبرت ريننجر الاستاذ في جامعة فيينا نعرض عليه ما رأيناه في رموز نشيد الصحراء ونسأله اقرارنا على ما اصبنا فيه وتصحيح ما قد نكون ضللنا في تبيانه ، فوردنا جوابه مؤرخاً في ١٩ ابريل من هذه السنة وفيه يقول :

« انني أرى خلاصة معنى النشيد في فقرته الاولى المكرره في آخره وهي : ان الصحراء تتسع وتمتد فويل لمن يطمح الى الاستيلاء على الصحراء » فان نيتشه قد رمز بالصحراء الى الوجود القاحل الذي لا غاية له وقد اتيت على بحث هذا الرمز في كتابي « جهاد نيتشه من اجل معنى الحياة وغايتها »

اما سائر ما في النشيد فاراه يرمي الى وصف أجواء الصحراء المتمتعة بالحرية وهي بابتعادها عن المعمور تولي ابناءها الحياة الساذجة الطاهرة على نقى ما تورثه ثقافة اوربا الشمالية من الخشونة والكثافة

اما كلمة « صلاه » فقد اصبتم في ترجمكم اياها « حياً على الصلاة » هذا وقد يكون النبي محمد هو المرموز اليه بأسد الصحراء ونذيرها حسب تأويلكم

*

لقد سرنا وأيم الله ان يوافقنا هذا العالم على تأويلنا وان يكن ذهب في تفسير اتساع الصحراء وامتدادها الى غير مذهبنا اليه فقد كنا صارحناء بان ما فهمناه من اتساع الصحراء وامتدادها وتهديد من يطمح للاستيلاء عليها انما هو انبعاث الايمان الحق بالفضائل العليا وتمردنا على الجحود والتضعف في الحياة

وقد كان دليلنا على صحة مذهبنا ما ورد في النشيد من صراحة تؤيدنا خاصة في الفقرة الاخيرة وهي :

« ارتفع يا مظهر الجلال ولتهب مرة اخرى نسمة الفضيلة

ويا ليت أسد الفضائل يزأر ايضاً امام غادات الصحراء فانه اقوى ما ينبت
اوروبا ويحفز بها الى النهوض
وها أنذا ابن اوروبا لا يسعني الا الخشوع لدوي هذه الآيات البيّنات «

*

للعالم الاوروبي تأويله ولنا تأويلنا وللصحراء في بلاد العرب رموزها
فلندع للامان تأويلها ولنكرر ما جاء في نشيد الجاحد الطامح الى الخلود
« ان الصحراء تتسع وتمتد فويل لمن يطمح الى الاستيلاء على الصحراء »

*

ان عبير الشرق لا يضوع من نشيد الصحراء فحسب — بل هو يفوح من
كل حكمة ينطق بها زرادشت أمام مشاهد التضعضع الاوروبي ، ولسوف يقف
رجال العلم من ابناء الضاد عند كثير من أقواله فيعرفون فيها آية من الآيات التي
اوحيت لانبياهم او ألهمت لحكّائهم او حديثاً لذلك الأُمّي الأعظم الذي
تناول أدق القضايا الاجتماعية فردّها الى مكارم الاخلاق ليحلّها جميعاً
إننا ونحن نخطّ هذه الأسطر نتذكر صديقنا فقيد الشرق المغفور له السيد
مصطفى صادق الرافعي الذي قلّ من جراه في تفهم دين الله والشعور بالقومية
العربية ووحدة الإنسانية . إننا لنذكره ونحس بما كان يمكننا ان نستمدّه من
ثقافته العريقة ومعارفه الواسعة من آيات واحاديث وحكم يتجلى فيها ما أجمع
مفكرو الغرب على الخشوع أمامه من نظرات زرادشت الصائبات في اتجاهات العالم
المتمدن وفي طلب رقي الانسان والإهابة به الى العمل في الارض كأنه خالد عليها
لا يموت

غير أننا اذا كنا حُرّمنا الآن من هذه النجدة في كتابة تمهيدنا هذا فلن
نُحرم البلاد أعلاماً يقومون بهذا الواجب نحو مهبط وحي الله ومنبت العباقر
من السلف والمعاصرين

فليكس فارس

الاسكندرية في ٢٠/٩/١٩٣٨

— لقد اخترنا ايراد اسم زارا بدلاً من زرادشت تخفيفاً . واتينا
في سياق الترجمة برود علقناها على الهامش حيث رأينا لزوماً لذلك



مضرة صاحب السعادة اسعد ياسين باشا

اهداء

الى مفضرة صاحب السعادة اسعد بانسلي باشا

سيدي الاستاذ،

إنَّ حياتك الأدبية التي ولجتَ منها الى حياة الاعمال لمَّا تزل تسيطر على
خوافذك وتراود تفكيرك وعواطفك، فأنتك وان اصبحت من رجال المشروعات
التجارية الكبرى تُحكيمُ إعدادَها وتنفيذها ما برحت تحتفظ بطابع
الفيلسوف في وضع نظريات عمالك وبطابع الشاعر في تقدير الحياة والتمتع بها،
في حين أن عقم التفكير وجفاف الطبع يسيطران على معظم رجال الثروة بخاصة
في هذه الاقطار التي لم تزل في بدء نهضتها ولم يجمع الارتقاء بعد في طبقتها
الموسرة بين حكمة إنماء الثروة وحكمة التمتع بما في الحياة من مباحج التفكير
والشعور والتضامن الانساني

لقد أردت ان انشر في بلاد العرب كتاب (زرادشت) الذي صدم به نيتشه
الفيلسوف الألماني الأشهر تيارات الفلسفات المتناقضة منذ نصف قرن في اوربا
موجهًا الانسان الى تلمس مواطن القوة في نفسه لإنشاء الجبارة في المجتمع،
فاذا باسمك يفرض على قلبي فرضاً لا توجُّج به هذا الكتاب وقد حقَّ عليَّ ان
اورد الأسباب التي حفزت بي الى تقديمه اليك، لا لأبرر عملي تجاه تواضعك،
بل لأبريء نفسي من اختيار تعسفي قد يحمل على محمل التزلف وما أنا من
يتدننى اليه ولا أنت من يؤخذ به

لقد بدأت حياتك في شبابك بتعمد تعليم الناشئة وتهذيبها في مسقط رأسك ثم بارحتَ مطارحِ ظلال الارز حيث كان الحكم المطلق الجائر يصدُّ العبقریات عن مصاعدها ولجأت الى وادي الملوك أنت ورفيقتك المرحوم فرح انطون فقيد الوثبة الاولى نحو النور في تطور التفكير الحديث ، وما تحولت عن هذا الرفيق الى مراكض جهودك حتى تركت في جامعته طابع نفسك الحرّة وتفكيرك العميق . وأنتك لتذكر ، ولا ريب ، تقريركما ترجمة (زرادشت) الى العربية والصفحات المعدودة التي أعار فيها فرح بيانه الجزل للفيلسوف الالماني فسايره في اجوائه وأغواره . فانت وفرح ، رأيتما قبل كل احد في فلسفة نيتشه ما تحتاج النفوس المتواكلة اليه من حزم وانطلاق كما ادركتما أن الجاد هذا الفيلسوف لن يؤثر في إيمان الشرق لأنه لا يستند الا الى شكوك نشأت من حالة خاصة بالغرب وأن القوة وحدها التي نحتاج اليها في نهضتنا ستنسرب من كتابه الخالد الى بياننا في كتاب تفتقر المكتبة العربية اليه بعد أن تُرجم الى لغات الدنيا وطالعه المفكّرون من كل الشعوب

لقد اردت بهذا البيان ان أبرر تقديم ترجمتي لزرادشت اليك في نظر القراء لا في نظرك لانك تعلم أن هذا الكتاب إنما هو تحقيق حلم رأيتَه أنت ورفيقتك القديم وتنفيذ لرغبة لم تزل مكبوتة في خفايا سريرتك وأنا في المرحلة التي قطعتمها منذ ذلك العهد ما يزيدك رغبة في نشر زرادشت في بلادك بعد ان تيسقنت باختبارك واثبتت بحياتك نفسها وهي مجلى الثقة بالنفس والايمان بالخير أن الجبار الذي حلم به نيتشه عاملاً لدنياه كأنه لا يموت ابداً إنما يستكمل الجبار الآخر الذي يعمل لآخرته كأنه يموت غداً

الاسكندرية في ٢٠/٩/١٩٣٨

فليكس فارس



فلیکس فارس

كتب المؤلف

- ١ — رسالة المنبر الى الشرق العربي
- ٢ — هكذا تكلم زرادشت ، تأليف الفيلسوف الالماني فريدريك نيتشه، مترجمة
- ٣ — اعترافات فتى العصر ، تأليف الفريد دي موسيه ، مترجمة
- ٤ — رواية الحب الصادق -- نقدت
- ٥ — شرف وهيام -- »
- ٦ — النجوى الى نساء سوريا »

الكتب المعرّة للطبع

- ٧ -- المراحل ، سياسة وادب واجتماع
- ٨ — القيثاره ، ديوان شعر
- ٩ — قلعة حلب وقصص اخرى
- ١٠ — الاحرار في الشرق — بالعربية
- » » » — بالفرنسية
- ١١ — رؤى متصوف عربي — بالفرنسية
- ١٢ — من إلهام الشرق — »
- ١٣ — من حدائق الغرب : مختارات مترجمة
- ١٤ — بين عهدين -- قبل الاحتلال وبعده
- ١٥ — امام المحاكم : الاجرام والقانون
- ١٦ — الأغلال : مسرحية مترجمة
- ١٧ — ثورة اثينا : مسرحية شعرية نثرية
- ١٨ — حديث الازهار : مترجمة

هكذا تكلم زرادشت

الجزء الاول



« كتاب للمجتمع لا للفرد »
فردريك نيتشه

مستهل زرادشت

— ١ —

لما بلغ زارا الثلاثين من عمره ، هجر وطنه وبحيرته وسار الى الجبل حيث اقام عشر سنوات يتمتع بعزلته وتفكيره الى ان تبدلت سيرته ، فنهض يوماً من رقاده مع انبثاق الفجر وانتصب امام الشمس يناجيها قائلاً :

— لو لم يكن لشعاعك من يُنير ، أكان لك غبطة ، أيها الكوكب العظيم ؟ منذ عشر سنوات ما برحت تشرق على كهني ، فلولاي ولولا نسري وافعواني ، لكنت مللت انوارك وسئمت ذرع هذا السبيل ، ولكننا كنا نترقب بزوغك كل صباح لنتمتع بفيضك ونرسل بركتنا اليك . اصغ الي ، لقد كرهت نفسي حكمتي كالنحلة اتخمها ما جمعت ، فمن لي بالأكف تنبسط امامي لأهب واغدق الى أن يغتبط الحكماء من الناس بجنونهم ويسعد الفقراء منهم بثروتهم تلك هي الأمنية التي تهيب بي للجنوح الى الأعماق ، كما تجنح انت كل مساء منحدرأ وراء البحار حاملاً أشعاعك الى الشقة السفلى من العالم ، أيها الكوكب الطافح بالكنوز

لقد وجب عليّ ان اتوارى اسوة بك ، وجب عليّ ان ارقد على حد تعبير الاناسي الذين اهفوا اليهم

باركني ، اذن ، أيها الكوكب ، فانت المقلة المطمئنة التي يسعها ان تشهد ما لا يُحد من السعادة دون أن تختلج كمقلة الحاسدين

بارك الكأس الدهاق تسكب سلسبيلاً مذهباً ينثر على الآفاق وهجاً من

مسرّاتك

— ٣ —

انظر ! ان هذه الكأس تريد ان تندفق ثانية ، وزارا يريد ان يعود
انساناً

وهكذا بدأ جنوح زارا الى المغيب

— ٢ —

وانحدر زارا من الجبال فما لقي أحداً حتى بلغ الغاب حيث انتصب أمامه
شيخٌ خرج من كوخه بغتة ليفتش عن بعض الجذور والأعشاب ، فقال
الشيخ :

— ليس هذا الرحالة غريباً عن ذا كرتي ، لقد اجتاز هذا المكان منذ عشر
سنوات ، ولكنه اليوم غيره بالأمس

لقد كنتَ تحمل رمادك في ذلك الحين الى الجبل ، يا زارا ، فهل انت تحمل
الآن نارك الى الوادي ؟ أفما تهاذر يا هذا ان ينزل بك عقاب من يضرم النار ؟

لقد عرفت زارا ، هذه عينه الصافية ، وليس على شفتيه للاشمئزاز اثر ، افما
تراه يتقدم بخطوات الراقصين ؟

لقد تبدلت هيئة زارا ، إذ رجع بنفسه الى طفولته . لقد استيقظت يا زارا
فماذا انت فاعل قرب النائمين ؟

كنت تعيش في العزلة كمن يعوم في بحر والبحر يحمل اثقاله ، واراك
الآن تتجه الى اليابسة ، أفتريد الاستغناء عن حملك لتسحب هامتك على الأرض
بنفسك ؟

فأجاب زارا : انني أحب الناس

فقال الشيخ الحكيم : انني ما طلبت العزلة واتجهت الى الغاب إلا لاستغراقي
في حبهم ، أما الآن فقد حولت حبي الى الله ، وما الانسان في نظري إلا كائن
ناقص ، فاذا ما أحبيته قتلني حبه

فأجاب زارا : ومن يصف لك الحب الآن ! انني لا اقصد الناس إلا لانفجهم
بالهدايا

فقال الحكيم القديس : اياك انت تعطيتهم شيئاً ، والأجدر بك أن تأخذ
منهم ما تساعدكم على حمله ، ذلك أجدي لهم على أن تغنم سهمك من هذا الخير ،

— ٤ —

واذا كان لا بد لك من العطاء فلا تمنح الناس الا صدقة على أن يتقدموا اليك مستجدين أولاً

فاجاب زارا : انا لا أتصدق ، اذ لم أبلغ من الفقر ما يجيز لي أن اكون من المتصدقين

فضحك القديس مستهزئاً وقال : حاول جهدك اذن اقناعهم بقبول كنوزك ، انهم يحاذرون المنعزلين عن العالم ، ولا يصدقون بأننا نأتيهم بالهبات ، ان خطوات الناسك في الشارع وقعا مستغرباً في آذان الناس . انهم ليحفظون على مراقدهم اذ يسمعونها فيتساءلون : الى أين يزحف هذا اللص ؟

لا تقترب من هؤلاء الناس . لا تبارح مقامك في الغاب ، فالأجدر بك أن تعود الى مراتع الحيوان ، أفلا يرضيك ان تكون مثلي دباباً بين الدببة وطيراً بين الأطيّار ؟

فسأل زارا : وما هو عمل القديس في هذا الغاب ؟
فأجاب القديس : اني انظم الأناشيد لأترنم بها ، فأراني حمدت الله اذ أسرته
نجواي فيها بين الضحك والبكاء ، لأنني بالانشاد والبكاء والضحك والمناجاة اسبّح
الله ربي ، ومع هذا ، فما هي الهدية التي تحملها اليها ؟
فأخني زارا مسلماً وقال للقديس : أي شيء أعطيك ؟ دعني اذهب عنك
مسرعاً كيلا آخذ منك شيئاً

وهكذا افترقا وهما يضحكان كأنهما طفلان

وعندما انفرد زارا قال في نفسه :

— انه لأمر جده مستغرب ، ألمّا يسمع هذا الشيخ في غابه ان الاله قد

مات (١)

— ٣ —

واذ وصل زارا الى المدينة المجاورة ، وهي اقرب المدن الى الغاب ، رأى
الساحة مكتظة بخلق كثير أعلنوا من قبل ان بهلواناً سيقوم هناك بالألعاب ،
فوقف زارا في الحشد يخطبه قائلاً :

(١) هذه الخطوة الاولى + رسنزي اي اله يقول نيتشه بموته واي اله يتجه هذا الفيلسوف
الى اكتشافه في سريرة الانسان

— اني آت اليكم نبأ الانسان المتفوق ، فما الانسان العادي إلا كائن يجب أن يفوقه ، فماذا اعددتم للتفوق عليه ؟

ان كلاً من الكائنات أوجد من نفسه شيئاً يفوقه ، وانتم تريدون ان تكونوا جزراً يصده الموجه الكبرى في مدها ، بل انكم تؤثرون التقهقر الى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للتفوق على الانسان . وهل القرد من الانسان الا سخريته وعاره ؟ لقد اتجهتم على طريق مبدؤها الدودة ومنتهاها الانسان ، غير انكم ابقيتهم على جل ما تتصف به ديدان الارض . لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى ، على أن الانسان لم يفتأ حتى اليوم اعرق من القرود في قرديته ليس أوفر كم حكمة الا كائن مشوش لا يمت بنسبه الى اصل صريح ، فهو مزيج من النبات والأشباح ، وما ادعو الانسان ليتحول الى شبح او الى نبات

لقد أتيتكم نبأ الانسان المتفوق

انه من الأرض كالمعنى من المبنى ، فلتتجه ارادتم الى جعل الانسان المتفوق معنى لهذه الأرض وروحاً لها

اتوسل اليكم ، ايها الاخوة بان تحتفظوا للارض باخلاصكم فلا تصدقوا من يمنونكم بآمال تتعالى فوقها ، انهم يعملونكم بالمحال فيدسسون لكم السم ، سواء أجهلوا ام عرفوا ما يعملون ، اولئك هم المزدرون للحياة ، لقد رعى السم احشاءهم فهم يحتضرون ، لقد تعبت الارض منهم فليقلعوا عنها

لقد كانت الروح تنظر فيما مضى الى الجسد نظرة الاحتقار فلم يكن حينذاك من مجد يطاول عظمة هذا الاحتقار . لقد كانت الروح تتمنى الجسد ناحلاً قبيحاً جائعاً متوهمة انها تتمكن بذلك من الانعتاق منه ومن الارض التي يدب عليها . وما كانت تلك الروح الا على مثال ما تشتهي لجسدها ناحلة قبيحة جائعة ، تتوهم ان اقصى لذاتها انما يمكن في قسوتها وارغامها

أفليست روحكم ، ايها الاخوة ، مثل هذه الروح ؟ أفما تعلن لكم اجسادكم عنها انها مسكنة وقذارة وانها غرور يسترعي الاشفاق ؟

والحق ما الانسان الا غدير دنس ، وليس الا لمن اصبغ محيطاً ان يقبل انصباب مثل هذا الغدير في عبابه دون ان يتدنس تعلموا من هو الانسان المتفوق

إن هو الا ذلك المحيط تُفرقون احتقاركم في اغواره
 وهل تتوقعون بلوغ معجزة اعظم من هذه المعجزة ؟
 لقد آن للاحتقار ان يبلغ اشدّه فيكم ، بعد أن استحال شرفكم ذاته كما
 استحالت عقولكم وفضائلكم الى كره واشمئزاز
 لقد آن لكم ان تقولوا : ما يهمني شرفي ، وما هو الا مسكنة وقذارة وغرور ،
 في حين أن على الشرف ان يبرّر الحياة نفسها
 لقد آن لكم ان تقولوا : ما تهمني القوى العاقلة فيّ ، اذا لم تطلب الحكمة
 بجوع الاسد ، وما هي الآن الا مسكنة وقذارة وغرور
 لقد آن لكم أن تقولوا : ما تهمني فضيلتي فانها لما تصل بي الى الاستغراق ،
 وقد اتعبني خيري وشري ، وما هما الا مسكنة وقذارة وغرور
 لقد آن لكم أن تقولوا : ما يهمني عدلي ، ان العادل يقدح شرراً ولماً
 اشتعل
 لقد آن لكم ان تقولوا : ما تهمني رحمتي ، أفليست الرحمة صليباً يُسمّر عليه
 من يحب البشر . ورحمتي لما ترفعني على الصليب
 أقلمت مثل هذا وناديتهم به ؟ ليتني سمعتكم تهتفون بمثله !
 ان ما يرفع عقيرته على السماء إن هو الا غروركم لا خطاياكم ، إن هو الا
 حرصكم حتى في خطاياكم
 اين هو اللهب الذي يمتد اليكم ليظهركم ؟ اين هو الجنون الذي يجب ان
 يستولي عليكم ؟
 ها أنذا أنبئكم عن الانسان المتفوق
 إن هو الا ذلك اللهب وذلك الجنون
 وما فرغ زارا من كلامه حتى ارتفع صوت من الحشد قائلاً
 (لقد كفانا ما سمعنا عن البهلوان ، فليبرز لنا الآن لنراه)
 فضحك الجميع مستهزئين بزارا ، وتقدم البهلوان ليقوم بألعا به وهو يعتقد
 أنه كان موضوع الحديث

وبهت زارا مجيلاً انظاره في القوم ، ثم قال :

ما الانسان الا حبلٌ منصوب بين الحيوان والانسان المتفوق فهو الحبل
المشدود فوق الهاوية

ان في العبور للجهة المقابلة مخاطرة ، وفي البقاء وسط الطريق خطراً ، وفي
الالتفات الى الوراء وفي كل تردد وفي كل توقف خطرٌ في خطرٍ
ان عظمة الانسان قائمة على انه معبرٌ وليس هدفاً ، وما يستحب فيه هو
انه سبيلٌ وأفقٌ غروب

انني احب من لا غاية لهم في الحياة الا الزوال ، فهم يمرّون الى ما وراء الحياة .
احب من عظم احتقارهم لأنهم عظماء ، احب المتعبدين يدفعهم الشوق الى المروق
كالسهم الى الضمة الثانية

احب من لا يتطلبون وراء الكوكب معرفة ما يدعو الى زوالهم او ما يهيب
بهم الى التضحية ، لأنهم يقدمون ذاتهم قرباناً للارض ، لتصبح هذه الارض يوماً
ميراثاً للانسان المتفوق

احب من يعيش ليتعلم ، ومن يتوق الى المعرفة ليحيا الرجل المتفوق بعده ،
فان هذا ما يقصد طالب المعرفة من زواله

احب من يعمل ويخترع ليبني مسكناً للانسان المتفوق فيهيء ما في الارض
من حيوان ونبات لاستقباله . فان هذا ما يقصد طالب المعرفة من زواله
احب من يحب فضيلته ، فما الفضيلة الا الطموح الى الزوال وان هي الا
السهم تنشبه اشواقه

احب من لا يحتفل لنفسه بشراة واحدة من روحه ، فيتجه الى ان يكون
بكليته روحاً لفضيلته لأنه بهذا يجعل روحه تجتاز الصراط

احب من يكون من فضيلته ميوله وميلحه ، لأنه يمثل هذه الفضيلة يتوق
الى اطالة حياته كما يتوق الى قصرها

احب من لا يريد الاتصاف بعدد الفضائل ، اذ في الفضيلة الواحدة من
الفضائل اكثر مما في فضيلتين ، والفضيلة الواحدة حلقة ترتبط فيها الحياة

احب من يجود بروحه فلا يطلب جزاء ولا شكوراً ، ولا يسترد ، فهو يهب
دائماً ولا يفكر في الاستبقاء على ذاته

احب من ينجل من سقوط زهر النرد لحظته فيرتاب بغش يده ، ان امثاله هم
التائقون الى الزوال

احب مَنْ يبذل الوعود وهاجة ثم يتجاوز عمله وعده ، ان امثاله هم التائقون الى الزوال

احب مَنْ يبرر اعمال الخلف ويدافع عن السلف لأنه بذلك يسلم نفسه الى نقمة معاصريه ، فهو ممن يتوقون الى الزوال

احب مَنْ يعلن حبه لربه بتوجيه اللوم اليه ، اذ يجب ان يهلك بغضب ربه
احب مَنْ يبلغ التأثير اعماق روحه في جراحها فيعرضه اتفه حدث للفناء ،
ان امثاله يعبرون الصراط دون ان يترددوا

احب مَنْ تفيض نفسه حتى يسهي عن ذاته ، اذ تحتله جميع الاشياء فيضمحل فيها ويفنى بها

احب مَنْ تحرر قلبه وتحرر عقله حتى يصبح دماغه بمثابة احشاء لقلبه ، غير ان قلبه يدفع به الى الزوال

احب جميع مَنْ يشبهون القطرات الثقيلة التي تتساقط متتالية من الغيوم السوداء المنتشرة فوق الناس ، فهي التي تنبئ بالبرق وتتوارى

ما انا الا منبئ بالصاعقة ، انا القطرة الساقطة من الفضاء ، وما الصاعقة التي ابشر بها الا الانسان المتفوق

— ٥ —

وبعد ان التقي زارا هذه الكلمات اجال انظاره في الحشد وسكت ثم قال في قلبه : لقد تملكهم الضحك ، فهم لا يفهمون ما اقول ، وما انا بالصوت الذي يلام هذه الاسماع

أعلي ان اسد آذانهم ليتمرنوا على الاصغاء بعيونهم ؟ أم يجب ان اضرب الصنج اسوة بوعاظ الصيام ؟ لعل هؤلاء القوم لا يثقون إلا بالألكن من المتكلمين

ان هؤلاء الناس ما يباهون به فما عساه ان يكون ؟

انهم يسمونه مدنية ليميزوا بها انفسهم على الرعاة . فهم لذلك ينفرون من لفظة الاحتقار اذا ما ذُكرت في معرض الكلام عنهم ، فلسوف اخاطبهم إذن عن غرورهم

سأخاطبهم عن احقر الكائنات ، عن الانسان الأخير ، وتوجه الى الحشد قائلاً :

لقد آتَى الإنسان أن يضع هدفاً نصب عينيه ، لقد آتَى له أن يزرع ما يُنبِت
أسمى رغباته ما دام للأرض بقية من ذخرها ، إذ سيأتي يوم ينفذ هذا الذخر
منها فتجذب ويمتنع على أية دوحة أن تنمو فوقها .

ويلٌ لنا ! لقد اقتربت الأزمنة التي لن يفوق الإنسان فيها سهام شوقه محلة
فوق البشرية إذ تخونه قوسه وتترأخى أوتارها
الحق ما أقوله : لن يخرج من الإنسان كوكبٌ وهاج للعالم حين تزول بقية
السديم من نفسه ، وهذا السديم لم يزل فيكم

ويلٌ لنا ! لقد اقتربت الأزمنة التي لن يدفع الإنسان فيها بالكواكب
للعالم . ويلٌ لنا ؟ لقد اقترب زمان الإنسان الحقيِر الذي يمتنع عليه أن يحتقر نفسه
اسمعوا ! ها أنذا منبئكم عن الرجل الأخير
أنه من يقف متسائلاً عن نفسه فلا يعلم أُحبةٌ هي أم إبداع أم تشوُّق ، أم
توهج كوكب

وستصغر الأرض في ذلك الزمان فيطفر على سطحها الرجل الأخير الذي
يحوّل إلى حضارة كل ما يدور به ، إن سلالة هذا الرجل لا تباد ، فهي أشبه
بالبراغيث ، والإنسان الأخير أطول البشر عمراً

ويقول أناسيُّ الزمن الأخير متغامزين : لقد اخترعنا السعادة اختراعاً
لقد هجر هؤلاء البقاع التي تقسو عليها الحياة ، لأنهم شعروا بحاجتهم إلى
الحرارة فأصبح كل واحد يحثك بجاره وقد احتاجوا إلى الدفء جميعاً
أنهم يقتحمون الحياة باحتراس لأن الوجل والمرض في عينهم خطأ ، وما سلم
من الجنون من يتعثر منهم بالحجارة وبالناس

أنهم يأخذون قليلاً من السموم حيث يجدونها طلباً للملاذِ الاحلام ويكرعون
منها ما يكفي دفعة واحدة طلباً للذة الموت
وإذا هم عملوا فأنما يعملون للتسلية محاذرين أن تذهب هذه التسلية بهم إلى
حدود الانهالك

ليس بينهم من يصبح غنياً أو يمسى فقيراً ، وكلا الفقر والغنى يجلب الضنى ،
وما منهم من يطمح إلى الحكم أو يرضى بالخضوع وكلاهما محسرج مرهق
ليس هنالك راعٍ وليس هنالك الاقطيع واحد . ان كلاً من الناس يتجه إلى

رغبة واحدة ، فالمساواة سائدة بين الجميع . ومن اختلف شعوره عن شعور
المجموع يسير بنفسه مختاراً الى مأوى المجانين

ويغمز امكر هؤلاء الناس بعينهم ويقولون : لقد كان الجميع مجانين فيما مضى
لقد ساد الاحتراس بين هؤلاء القوم لأنهم اخذوا بالعبر ، فهم يتلقون
الحادثات متهمين ، واذا نشأ بينهم خلاف بادروا الى حسمه صلحاً ، لأنهم
يحاذرون ان تصاب معدهم بالعلل والادواء

لهؤلاء الناس لذات النهار ولذات اخرى لليل ، غير انهم يراعون صحتهم اولاً
« لقد اخترعنا السعادة اختراعاً » ذلك ما يقوله اناسي الزمن الاخير وهم
يغمزون

عند هذا انهي زارا خطابه او بالحري تمهيد خطابه فتعالت اصوات التهليل
من الحشد وهو يقول :

« إلينا بهذا الرجل الاخير يا زارا ، اجعلنا على مثال اناسي الزمن الاخير
فقد تخلىنا لك عن الانسان المتفوق

ولكن زارا وجه امام هذا الحشد يسوده مثل هذا الروح فاستولى الحزن
عليه وقال في نفسه :

انهم لا يفهمون كلامي ، فلست بالصوت الذي تتطلبه هذه الاسماع
لقد عشت طويلاً في هذه الجبال وانصت طويلاً الى هدير الغدران وحفيف
الاشجار فانا اكلم هؤلاء الناس الآن كأنني اخاطب رعاة الماعز
ان روحي صافية تغمرها الانوار كما تغمر القمم تبشير الصباح ، ولكنهم
يحسبون بالصقيع في قلبي ويحسبونني مهرجاً يأتيهم بالملجج من النكات
انهم يحدجونني بأنظارهم ويتضحكون ، في قلبهم ثورة البغضاء وعلى
شفاههم بسمة الثلوج

— ٦ —

وطراً حادث كم الافواه واسترعى الابصار ، وكان البهلوان بدأ بالعبه فاندفع
من النافذة واخذ يتمشى على الحبل الممدود بين برجين فوق الساحة وما عليها
من المتفرجين وما وصل الى وسط الحبل حتى فتحت النافذة مرة ثانية واندفع
منها فتى مخطط بالالوان كالمهرجين وسار متبعاً خطوات البهلوان صارخاً :
— الى الامام ايها الاعرج الى الامام ايها السكسلان ، ايها المرأي ذوالوجه

الشاحب ! اذهب لثلاثاء نعلي ، ما هو عمالك بين هذين البرجين ؟ افليس في البرج مكان سجنك ؟ انك تسد الطريق في وجه من هو افضل منك »

وكان الفتى يتقدم خطوة كلما قال كلمة حتى اصبح على قاب قوسين من البهلوان ، وعندئذ وقع الحادث الذي كم الافواه واسترعى الابصار . فان الفتى لم يلبث ان صرخ صرخة الجن وقفز فوق العقبة القائمة في سبيله . ولما رأى البهلوان انتصار خصمه عليه اخذه الدوار وخلت رجليه عن الحبل فرمى عارضة التوازن من يديه وسقط في الفضاء حيث لاحت رجلاه ويدها كعجلة تدور في الهواء

وماج الحشد على الساحة كالبحر اجتاحتها العاصفة الهوجاء وانفرط الناس مولين الإِدبار وانفرج المسكن حيث كان يتجه الجسم بانحداره

ولكن زارا لم يتحرك فوق وقع الجسم على مقربة منه حيث تقطعت اوصاله وتهشم غير انه كان لم يزل حياً ، وما عثم ان عاد روع الجريح اليه فرأى زارا جائياً قربه فرفع رأسه وقال له :

— ماذا تفعل هنا ؟ ما كنت اجهل ان الشيطان سيُضِلُّ خطواتي يوماً وها هو ذا الآن يجريني الى جحيمه ، افتريد ان تمنعه ؟ فقال زارا :

وشرفي يا صديقي ان ما تذكره لا وجود له ، فليس من شيطان وليس من جحيم ، ان روحك ستموت بأسرع من جسدك فلا تخش بعد الآن شيئاً فرفع الرجل بصره مشككاً وقال :

اذا كان ما تقوله صحيحاً فاني لا افقد شيئاً بفقد الحياة . فلست انا إذن الا حيواناً وقد رُقِصْتُ بالضرب وغُدِّيتُ بأنفِرْ غداء

فقال زارا : لا ، ليس الامر كما تقول فانك اتخذت المخاطرة مهنة لك ولم يكن فيها ما يشين . اما الآن فهنتك هي ان تفنى ، من اجل هذا سأدفنك بيدي ولم يحجر المدنف جواباً بل حرك يده باحثاً عن يد زارا ليصالحها دلالة على شكره

— ٧ —

وامسى المساء مرخياً سدوله على الساحة فتفرق عنها المتفرجون وقد ارهقهم الفضول والرعب ، وبقي زارا جالساً على الارض قرب الميت فاستغرق في تفكيره ناسياً منور الزمان حتى هبت نفحات الليل عليه منفرداً ، فناجى نفسه قائلاً :

لقد كان صيدك موفقاً اليوم يا زارا ! لقد افلت الناس منك فاصطدت
جثة هامدة

ان حياة الانسان مخوفة بالاحطار ، وهي فوق ذلك لا معنى لها . . فان
مهرجاً يمكنه ان يقضي عليها
اريد ان اعلم الناس معنى وجودهم ليدركوا ان الانسان المتفوق انما هو
البرق الساطع من الغيوم السوداء : من الانسان
ولكنني لم ازل بعيداً عن هؤلاء الناس وفكرتي بعيدة عن مداركهم ، فانا
لم ازل متوسطاً المدى بين مجنون وجثة هامدة
ان الليل مظلم ومسالك زارا مظلمة ايضاً . تعال ايها الرفيق المتيبس في
صقيعه ! انني ذاهب بك الى حيث اواريك التراب بيدي

— ٨ —

ورفع زارا الجثة على كاهله ومشى ، ولكنه ما قطع مائة خطوة حتى زحمة
رجل ، وما كان هذا الرجل إلا مهرج البرج ، فأسر اليه :
— اذهب من هذه المدينة يا زارا فان مبغضيك فيها كثيرون . هنا
يكرهك اهل الصلاح والعدل ، فيصفونك بالعدو والمزدري ، ويكرهك
المؤمنون بالدين الحق فيرون بك خطراً على عامة الناس ، وقد كان من حظك ان
هزأ الحشد بك لأنك كنت تتكلم كالمهرجين ، وكان من حظك ايضاً ان اشتركت
والكلب الميت ، فقد كان خلاصك هذه المرة في إسفافك الى هذه المهاوي .
ولكنك لن تسلم في الثانية فاذهب من هذه المدينة والا فاني قافز غداً فوق
جثة اخرى

قال الرجل هذا وتوارى وتابع زارا سيره في الشوارع المظلمة . ولما بلغ باب
المدينة التقى حفّار القبور فوجهوا الى رأسه اشعة مصابيحهم واذ عرفوا فيه
زارا اشبعوه سخرية وهزأ وقالوا :

— مرحباً يا زارا ! لقد صرت الآن حفّاراً للقبور ، انك تحمل الكلب
الميت . لقد احسنت ، فان ايدينا اظھر من ان تدّس بجثته . اتريد يا زارا ان
تختلس من الشيطان طعامه ؟ كُلْ هنيئاً ! ولكن الشيطان امهر منك ، ولعله
يسرقكما كليكما فيلتهمكما التهاماً

ودار حفّار القبور بزارا يتفرسون فيه . اما هو فلزم الصمت وسار في

طريقه • وبعد ان مشى ساعتين يقطع الاحراج والمستنقعات ، شعر بالجوع لكثرة ما عوت حوله الذئاب الجائعة ، فوقف امام بيت منفرد لاحت له الانوار من نوافذه . وقال : لقد عضني الجوع وداهمني كاللص بين الاحراج في الليل البهيم ان لجوعي نزوات مستغربة وقد يداهمني حتى بعد الطعام ، ولكنه اليوم ندّ عني منذ الصباح حتى المساء فأين كان هذا الجوع ؟

وطرق زارا باب البيت فظهر له منه شيخ يحمل مشعلاً ، وقال له : من الآتي اليّ والى رقادي المضطرب ؟

فأجاب زارا : اتيناك اثنين حيّ وميت ، اعطني مأكلاً ومشرباً فقد نسيت الغذاء النهار بطوله ، ان من يشبع الجوع يولي نفسه قوة ، هكذا قالت الحكمة فغاب الشيخ وعاد بنخب وخر وقال :

— انها لأما كن موحشة للجوع ، وذلك ما دعاني الى السكن هنا حيث يهرع اليّ البشر والحيوان في وحدتي • افلا تدعو رفيقك ليأكل ويشرب معك فهو اشدّ تعباً منك

فقال زارا : ان رفيقي ميت ولا يسهل عليّ اقناعه بتناول الطعام • فتمتم الشيخ : ذلك لا يهمني ، ان من يترك بابي عليه ان يأخذ ما اقدمه له .
كُلّا هنيئاً

وعاد زارا الى السير فمشى ساعتين ايضاً وهو يهتدي الى رسوم الطريق بنور النجوم ، وقد كان معتاداً السُرى ويجب ان يتفرس في كل ما يروق له . وعند ما لاح الصباح كان زارا وصل الى غابة كثيفة حيث انقطع كل طريق امامه ، فتوقف ووضع الجثة في فراغ شجرة حواها حتى رأسها ليقبها هجمات الذئاب ، ووقد بعد ذلك متوسداً نبات الارض وما عثم حتى استغرق في نومه منهوك الجسم مرتاح الضمير

— ٩ —

وطال نوم زارا حتى غمرت وجهه انوار الضحى بعد ان داعبته تباشير الفجر ففتح عينيه مبهوراً وسرّح ابصاره على الغاب ثم حولها يستكشف نفسه ساكناً مستغرباً

وهبّ من مجلسه فجأة كما يهبّ الملاح تبدو لعينه الارض فهتف وقد هزّه المرح لأنه اكتشف حقيقة جديدة نفاطب قلبه قائلاً

لقد انفتحت عيني . انني بحاجة الى رفاق احياء لا الى رفاق اموات وجثث
احملهم الى حيث اريد

انني اطلب رفاقاً احياء يتبعونني لأنهم يريدون ان يتبعوا انفسهم ايان
توجهت

لقد انفتحت عيني ، ليس على زارا ان يخاطب جماعات بل عليه ان يخاطب
رفاقاً ، يجب الا يكون زارا راعياً للقطيع وكلباً له

انني ما جئت إلا لأخلص خرافاً عديدة من القطيع ، وسوف يتمرد الشعب
والقطيع عليّ . ان زارا يريد ان يعامله الرعاة معاملتهم للصوف

قلت : رعاة غير انهم يدعون بالصلحين والعادلين . قلت : رعاة غير انهم
يدعون بالمؤمنين بالدين الحق

انظروا الى اهل الصلاح والعدل لتعلموا من هو الاعداءهم ، انه من
يحطّم اللواح التي حفروا عليها سننهم ، ذلك هو الهدام ذلك هو المجرم — غير
انه هو المبدع

انظروا الى المؤمنين بجميع المعتقدات تعلموا من هو الاعداءهم انه من
يحطّم اللواح التي حفروا عليها سننهم ، ذلك هو الهدام ، ذلك هو المجرم غير
انه هو المبدع

اليّ بالرفاق . انني اطلبهم مبدعين ولا اطلبهم جثثاً وقطعاناً ومؤمنين
ان المبدع لا يتخذ له رفاقاً الا من كانوا مثله مبدعين ، انه يتخذهم ممن
يحفرون سنناً جديدة على الواح جديدة

ان من يطلب المبدع انما هم الحصاد يعاونونه في الحصاد لأن كل شيء قد
اصبح في عينه ناضجاً للحصاد ، ولكن المائة منجل ليست بين يديه فهو يتميز
غضباً ويقتلع السنابل من اصولها

ان المبدع يطلب رفاقاً له بين من يعرفون ان يشحنوا مناجلهم ، وسوف
يدعوهم الناس هدّامين ومستهنئين بالخير والشر ، غير انهم يكونون هم الحاصدين
والمحتفلين بالعيد

ان زارا يطلب من هم مثله مبدعون يشاركونه في الحصاد وفي الراحة فلا
حاجة له بالقطعان والرعاة واشلاء الاموات

وانت يا رفيقي الاول ، ارقد بسلام لقد احسنت دفنك في فراغ الشجرة

ووقيتك افتراس الذئاب

غير انني سأفترق عنك لأن الزمان قد مرَّ سريعاً ، وقد انبثقت حقيقة
جديدة في افق نفسي ما بين نجارين
لن اكون راعياً ، ولن اكون حفّار قبور ، ولسوف لا اقف بعد الآن في
الجماعات خطيباً فقد وجهت آخر خطبي الى ميت
اريد ان انضم الى المبدعين ، الى اولئك الذين يحصدون ويرتاحون فأريهم
قوس قزح والمراتب التي يرقاها الواصلون الى الانسانية المتفوقة
سأهتف بنشيدي للمعتزين ولمن يشعرون بمثنويّتهم في انفرادهم ، انني
سأملأ بغبطتي قلب كل من له اذنان تصغيان الى ما لم تسمعه اذن بعد
انني اسير الى هدي واتبع طريقي فأقفز فوق المترددين والمتأخرين ، وهكذا
سيكون سيري جنوحاً الى الغروب

— ١٠ —

وكان زارا يناجي نفسه بهذا القول والشمس في الهاجرة واذا به يسمع صوتاً
جارحاً في الفضاء ولاح له نسر يعقد حلقات في طيرانه وقد تعلق به افعوان وما
كان النسر يقبض عليه بمخلبيه كفريسة ، بل كان الافعوان ملتفّاً حول عنقه
التفاف المحب

فهتف زارا والحبور يملأ فؤاده : هذان نسري وافعواني ، فالنسر اشد
الحيوانات افتخاراً ، والافعوان اشدّها مكرّاً تحت الشمس ، وكلاهما ذاهبان
مستكشفين في الفضاء ليعلما ما اذا كان زارا لم يزل في الحياة ، فهل انا لم ازل
حيّاً بعد ؟

لقد اعترضني من المخاطر بين الناس ما لم اجد مثله بين الحيوانات ، انني اتبع
السبل المخطرة فلاقتدين بنسري وافعواني
وتذكر زارا القديس المنعزل في الغاب فتشهد وقال :
لا كونن اوفر حكمة لا كونن ما كراً كأفعواني ، غير انني اطلب المستحيل
لذلك اتوسل الى افتخاري ان يلزم حكمتي ولا ينفصل عنها
واذا ما تخلت حكمتي عني يوماً وهي تنوق الى الطيران واسفاه فاني لأرجو
ان يطير افتخاري مستصحباً جنوني
وهكذا بدا جنوح زارا الى المغيّب

— ١٦ —

خطب زرادشت

التحول في ثلاث مراحل

سأشرح لكم تحول العقل في مراحله الثلاث فأنبئكم كيف استحال العقل جلاً، وكيف استحال الجمل أسداً، وكيف استحال الأسد أخيراً فصار ولداً ما أوفر الاحمال التي تثقل العقل الجسد الصليب وهو تجلى الوقر، فان صلابته تتوق الى الحمل الثقيل بل الى أثقل الاحمال

يفتش العقل السليم عن أثقل الاحمال فينسخ كالجمل ظهره متوقفاً رفع خير حمل اليه . ان العقل السليم ينادي الابطال قائلاً : أي حمل هو الاثقل لأرفعه فتغبط به قوتي ؟ أفليس أثقل الاحمال هو في الاتضاع لانزال العذاب بالغرور ؟ أفليس أثقلها أن يبدي الانسان اختلالاً لتظهر حكمته جنوناً ؟

أم أثقلها في تخلي الانسان من مطلب حين يقترب هذا المطلب بالنصر ، ام في ارتقاء قمم الجبال لتحدي من يتحدى ؟

أم أثقلها في أن يتغذى الانسان بأقاع السنديان والأعشاب ويتحمل مجاعة نفسه من اجل الحقيقة

أم أثقلها في احتمال المرض وطرد العواد المعزين ، أم في مخادعة الصم الذين لا يسمعون ولا يعون ما تريد ؟

أم أثقلها في الانحدار الى المياه القذرة اذا كانت الحقيقة فيها والرضى بملامسة الضفادع الزجة والعقارب التي تقطر صديداً

أم أثقلها في محبة من يحتقرنا وفي مد يدنا لمصافحة شبح يقصد ادخال الرعب الى قلوبنا . ان العقل السليم يحمل ذاته جميع هذه الاثقال المرهقة ، وكالجمل الذي يسارع الى طريق الصحراء عند ما يرفع الوقر عن ظهره هكذا يندفع هو ايضاً نحو صحرائه

وهناك في الصحراء القاحلة يتم التحول الثاني اذ ينقلب العقل أسداً لأنه يطمح الى نيل حرته وبسط سيادته على صحرائه

وفي هذه الصحراء يفتش عن سيده ليناصبه العدا كَمَا ناصب سيده السابق ،
فهو يستعد لمكافأة التنين والتغلب عليه
ومن هو هذا التنين الذي يتمرد العقل عليه فلا يريد بعد الآن ان يرى فيه
ربه وسيده ؟

ان التنين هو كلمة « يجب عليك » وعقل الأسد يريد ان ينطق بكلمة « أريد »
« ان كلمة (الواجب) تترصد الاسد على الطريق تنيناً يدّرع بألاف الاصداف
وعلى كل قطعة منها تتوهج بأحرف مذهبة كلمة « يجب عليك »
وعلى هذه الاصداف تشعُّ شرائع الف عام والتنين الأعظم يعج قائلًا ان جميع
الشرائع تتوهج عليّ

كل ما هو سنّة قد اوجد من قبل ، وبني تتمثل جميع السنن الكائنة . والحق
ان كلمة « أريد » يجب ألا ينطق بها احد بعد ! هكذا قال التنين
فاية حاجة لكم ايها الاخوة بأسد العقل ؟ أمّا يكفيكم الحيوان القوي الجليل
المنع بامتناعه ؟

من العبث أن تطمحوا الى خلق سنن جديدة ، ان الأسد نفسه ليعجز عن
هذا الخلق اذ لا يسعه الا أن يستعد بتحرير نفسه لخلق جديد لأن قوته لن
تتجاوز هذا الحد

ايها الاخوة ، ان العمل الذي تحتاجون فيه الى الأسد انما هو تحرير
أنفسكم والوقوف ببطلولة الامتناع في وجه كل شيء حتى في وجه الواجب . ذلك
أيها الاخوة هو العمل الذي تحتاجون الى الأسد للقيام به

ان الاستيلاء على حق ايجاد سنن جديدة يقضي بالجهاد العنيف على العقل
الخشوع الصبور ، ولا ريب أن في هذا الجهاد قسوة لا يتصف بها إلا الحيوانات
المفترسة

لقد كان العقل فيما مضى يتعشق كلمة « الواجب » كأنها أقدر حق له ، وقد
أصبح عليه الآن ان يجد حتى في هذا الحق المفدّي ما يحدو به الى التعسف
والتوهم ، ليتمكن بارهاق عشقه ان يستولي على حريته وليس غير الأسد من يقوم
بهذا الجهاد

ولكن ما هو العمل الذي يقدر عليه الطفل بعد أن عجز الأسد عنه ؟ ولماذا
يجب ان يتحول الأسد المكتسح الى طفل ؟

ذلك لأن الطفل طهر ونيسان ، لأنه تجديد ولعب وعجالة تدور على ذاتها فهو
حركة البداية وعقيدة مقدسة

أجل أيها الاخوة ان العمل الالهي للابداع يستلزم عقيدة مقدسة ، فان
العقل يطلب الآن ارادته ، ومن فقد الدنيا يريد الآن ان يجد دنياه
لقد ذكرت لكم تحولات العقل الثلاثة فاوضحت كيف استحال العقل جلاً
وكيف استحال أسداً وكيف استحال اخيراً الى طفل
هكذا قال زارا ، وكان في ذلك الحين مقيماً في مدينة اسمها البقرة العديدة
الالوان

منابر الفضيلة

وبلغ زارا خبر حكيم اطنب الناس في علمه ومقدرته في التكلم عن الكرى وعن
الفضيلة فخبوه بالتكريم والتبجيل واتبعه عدد من الشبان اصبحوا دطامة لمنبره
العالي ، فذهب زارا وجلس معهم امام المنبر مصغياً الى الحكيم فكان يقول :
مجدوا الكرى وعظموه لان له المقام الاول وتحاشوا مرافقة من ساء رقادهم
ومن استحوذ عليهم الأرق

إن اللص ليقف خاشعاً أمام الكرى فيدلج في الليل مخرساً وقع اقدامه ولكن
الساھر المجازف لا يتورع عن حمل بوقه

ليس بالسهل ان يعرف الانسان كيف يستسلم لسنة الكرى وليس إلا لمن عرف
كيف ينتبه طول النهار ان ينام ملء جفنيه

يجب عليك أن تقاوم نفسك عشر مرات في النهار فتغنم خير التعب وتتهيء
المخدر لروحك

عليك أن تصالح نفسك عشر مرات في النهار لانه اذا كان في قهر النفس
مرارة فان في بقاء الشقاق بينك وبينها ما يزعج رقادك

عليك ان تجد عشر حقائق في يومك كيلا تضطر الى السعي وراءها في نومك
فتبقى نفسك جائعة

عليك ان تضحك عشر مرات في يومك لتكون مرحاً كيلا تزعجك معدتك
في ليلك والمعدة بيت الداء

قليل من يعرف هذا من الناس ، ولن يتمتع بالرقاد الهنيء إلا من حاز جميع

الفضائل . فاذا ما المرء أدى شهادة زور او تلمطخ بالزنا واذا هو اشتهى خادمة قربه فقد حُرم وسائل الهناء في نومه

غير ان المرء يحتاج فوق فضائله الى شيء آخر وهو ان يندفع الى الرقاد بفضائله نفسها في الزمن المناسب

ان من الفضائل من هي كالغنايات المتجنّيات ، فاقم بينهنّ حائلاً كيلا ينتهين الى عراقك تكون انت ضحيته

ليكن سلام بينك وبين ربك وبين الاقربين ، فلا نوم هنيء بدون هذا السلام . وسالم شيطان جارك ايضاً لئلا يراودك في رقادك

أكرم السلطة واخضع لها حتى ولو كانت هذا السلطة عرجاء . ان ذلك ما يقتضيه النوم الهنيء

وما انا بالجاني اذا كان يحلو للسلطة ان تسير متعارجة

ان خير الرعاة من يقود قطيعه الى المروج الخضراء ذلك ما يقتضيه الرقاد

الهنيء

لا اطلب كثيراً من المجد ولا وفيراً من المال وكلاهما يؤدي الى الاضطراب ، ولكن المرء لا ينام هنيئاً ما لم يكن له شيء من الشهرة ولديه شيء من المال

افضّل ان يزورني القليل من الناس على ان يرتاد مسكني عشراء السوء ، وهذا العدد القليل يجب عليه ألا يطيل السُمر عندي لئلا يعكر صفو رقادي

تسرني مجالسة البلاء لانهم يجلبون النعاس ، ولشدهما يغتبطون عندما نحبّذ حماقاتهم ونشهد باصابتهم

على هذه الوتيرة يقضي فضلاء الناس نهارهم . اما انا فاني اذا امسى المساء احترس من ان اراد النعاس لانه سيد الفضائل ولا يرتاح الى تحرّش

الساهرين

وتحت جنح الظلام استعرض ما فكرت فيه وما فعلته في يومي فانطوي على نفسي كالحيوان الصبور واسائلها عما قهرت به اميالها عشر مرات وعما عقدت به

الصلح مع ذاتها عشر مرات ، وعن الحقائق العشر والمسرات العشر التي افعمت بها

وبينما اكون مستغرقاً تهزني الاربعون خاطرة ، يستولى النعاس عليّ فجأة ، وهكذا يسودني الكرى سيد الفضائل دون ان اتوجه بدعوة اليه

يشغل الناس جفني فتغمضان ، ويلبس في فيبقى مفتوحاً
انه يدلف اليّ كلص محبوب فيسرق افكاري وابقى انا منتصباً كعمود من
خشب ، ثم لا تمر لحظات حتى انطرح ممدداً على فراشي
وبعد أن اصغى زارا الى هذه الاقوال يقرع الحكيم بها الاسماع تملك ضحكه
وأشرق نورٌ في جوانب نفسه فناجاها قائلاً :

يتراى لي ان هذا الحكيم قد جنّ كخواطره الاربعين .
ولكنه جدٌ خير بحالات الكرى . فما أسعد من يجاور هذا الحكيم الآن
مثل هذا الناس شديد الانتقال بالعدوى حتى الى ما وراء الجدران
ان شيئاً من السحر يفوح من منبره العالي ، وما يجتمع هذا العدد من الشبان
عَبثاً حول خطيب الفضائل

ان قاعدة هذا الحكيم انما هي — اسهروا لتناموا — وفي الحقيقة لو لم
يكن للحياة معناها ووجب ان اختار لها حكمة لا معنى لها لما كنت اجد افضل
من هذه القاعدة

لقد ادركت الآن ما كان يطلب الناس قبل كل شيء عندما كانوا يفتشون على
أوليات الفضائل ، انهم كانوا يطلبون النوم الهنيء والفضائل التي يتجلى على مفرقها
تاج المخدرات . وما كانت الحكمة في عرف حكماء المنابر ، وقد نالوا الاعجاب
والثناء ، الا قاعدة نوم لا تقلقه الأحلام . انهم لم يكتشفوا معنى أفضل من هذا
المعنى للحياة

وكم في أيامنا هذه من اناس يشبهون هذا الواعظ في دعوته الى الفضيلة غير
انهم اقل اخلاصاً منه . ولكن هذا الزمان لم يعد زمانهم ولن يطول وقوفهم
والكرى يراود افكارهم فهم عن قريب سيُمددون
طوبى لمن دبّ الى عيونهم الناس ! انهم عما قريب سيرقدون
هكذا تكلم زارا . . .

المأخوذون بالعالم الثاني

وترامى زارا يوماً بخياله الى ما وراء الانسانية ، فترامى هذا العالم لديه كما
يراه جميع المأخوذون بالعالم الثاني خليقة ربّ متألم مضطرب ، فقال :
رأيت الدنيا كأنها احلام ناعم أبعدت ابخرة حوالة متلونة ترتد عنها الوهية

النفس على غير رضى . وقد لاح لي الخير والشر والافراح والاحزان وذاتي
وذات الآخرين كما تلوح الابخرة الملوثة لعين المبدع ، ولعل المبدع اراد ان يتحول
ببصيرته عن ذاته فأوجد العالم

لا ينتشي المتألم بمسرة أشد من مسرته حينما يُعرض عن آلامه وينسى نفسه .
هكذا تكشف لي العالم يوماً فرأيت مسرته ثملاً ونسياناً وهو يتقلب ابداً في
نقائصه معكساً للتناقض الابدي

نظرت الى العالم يوماً فلاح لي مسرة مسكرة يتمتع بها مبدع غير كامل خلقته
انا ، فجاء ككل اعمال البشر جنة بشرية

ما كان هذا الاله إلا انساناً ، بل جزءاً من شخصية انسان ، لأنه نشأ من
ترابي ومن لهبي . انه لشبح من هذا العالم لا من وراء هذا العالم

شهدت ذلك ، ايها الاخوة ، فتفوقت على ذاتي بالآمي ، وحملت ترابي الى
الجبل حيث أوقدت ناراً تشع نوراً فاذا بالشبح يتوارى مبتعداً عني

فاذا ما آمنت الآن بمثل هذا الشبح ، فلا يكون ايماني الا توجعاً وصغاراً ،
ذلك ما اقوله للمأخوذين بالعالم الثاني

ما اوجدت العوالم الأخرى في هذا العالم سوى الآلام والشعور بالعجز ،
ذلك ما اوجدته تلك العوالم فاوجدت معه هذا الجنون السريع الزوال بسعادة

ما ذاقها من الناس الا اشدّهم آلاماً
ان المتعب الذي يطمح الى اجتياز ابعد مدى بطئرة واحدة بطئرة قاتلة ،

وقد بلغت به مسكنته وجهالته حدّاً لا يستطيع عنده ان يريد ، انما هو نفسه
مبدع جميع الآلهة وجميع العوالم الأخرى

صدقوني ، ايها الاخوة ، ان الجسد قد قطع رجاءه من الجسد ، فغدا يجسّ
بانامه مواضع الروح المضللة ، وذهب يتلمّسها من وراء الحواجز القائمة على

مسافة بعيدة
صدقوني ، ايها الاخوة ، ان الجسد قد تملكه اليأس من الارض فسمع

صوتاً يناديه من قلب الوجود ، فاراد ان يخترق رأسه اطراف الحواجز ، بل
حاول العبور منها الى العالم الثاني ، غير ان العالم الثاني جدّ خفيّ عن الناس لانه

بتخنيته وابتعاده عن كل صفة انسانية ليس الا سماء من العدم . ان قلب الوجود
لا يخاطب الناس اذا لم يكلمهم كائن

والحق انه ليصعب علينا اثبات الوجود واستنطاقه . اجيبوا ايها الاخوة ،
افما يلوح لكم ان اغرب الامور اثبتها دليلاً ؟

اجل ! ان هذه الذات على ما فيها من تناقض واختلال تثبت بكل جلاء
وجودها فتبتدع وتعلن ارادتها لتضع المقاييس وتعين قيم الأشياء ، وما تطلب
هذه الذات في اخلاصها الا الجسد حتى في حالة استغراقه في احلامه . وتحفره
للطيران باجنحته المحطمة

ان هذه الذات تتدرب على الافصاح عن رغباتها باخلاص ، وكلما ازدادت
تدرباً ألهمت البيان للاشادة بالجسد وبالارض

لقد علمتني ذاتي عزة جديدة اعلمها الآن للناس : علمتني ألا اخفي رأسي
بعد الآن في رمال الأشياء السماوية ، بل ارفعها رأساً عزيزة ترابية تبتدع معنى
الارض

انني اعلم الناس ارادة جديدة يتخيرون بها السير على الطريق التي اجتازها
الناس عن غباوة من قبلهم ، اعلمهم ان يطمئنوا الى هذه الطريق فلا تنزلق
ارجلهم عنها كما انزلت ارجل الاعلاء المتهاككين ، وما هؤلاء الا من ابتدعوا
الأشياء السماوية واخترعوا قطرات الدماء المراقبة لافتداء البشر . على ان هذه
السموم التي أخذوا بلذتها ورهبتها لم يستخرجوها الا من الجسد ومن الارض
لقد شاءوا الفرار من الشقاء وتراءت لهم الكواكب بعيدة صعبة المنال
فوجها يدفعون بالزفرات قائلين : واأسفاه ! لم لا تنفتح امامنا سبل في السماء
ننسحب عليها الى وجود آخر وسعادة اخرى

في ذلك الحين اخترعوا أوهامهم وكثروا صغرة المترعة بالدماء
وحسب هؤلاء الناس في عقوقهم انهم فازوا بالعيم بعيداً عن جسدكم وعن
الارض ، وتناسوا ان تنعمهم ورعشة ملذتهم انما نشأت من جسدكم ومن هذه
الارض (١)

(١) ليذكر القارئ الكريم ما وجهنا انتباهه اليه في مقدمتنا ، فها هو ذا نيتشه قد بدأ
بوضوح علة جعوده ، فهو يرى معبود الناس قائماً من وهمهم او بتعبير آخر ان الانسان قد خلق
الله فصوره من ترابه ونفخ فيه نسمة من لهبه . ولو اننا وقفنا عند كل فكرة جانحة من افكار
نيتشه لنحلقها ونرجع منها الى ايماننا المسكين لاضطررنا الى التحول من الترجمة الى البحث .
غير اننا لا نجد بداً الآن من دعوة القارئ الى الامعان في الصفات التي تتراءى لنيتشه كأنها

ان زارا ليشفق على الاعلاء فلا يغضب لما أوجدوه من وسائل السلوان ولا
يتمرص لانهم عققوا جسدهم واراضهم ، بل هو يرجو لهم الشفاء والتغلب على انفسهم
ليوجدوا لهم اجساداً ارقى من اجسادهم

ان زارا لا يغضب ايضاً على الناقه الذي يحن الى وهمه فيذهب في منتصف
الليل ليطوف بقبر الهه ، ولكنه لا يرى في دموع هذا الناقه الا اثر المرض
والجسم المريض

لقد وجد في كل زمان كثير من المرضى المستغرقين المتشوهين فهم يكرهون
الى حد الهوس كل من يطلب المعرفة ، ويكرهون ابسط الفضائل وهي فضيلة
الأخلاص

انهم يلتفتون دائماً الى الوراء ، الى الازمنة المظلمة ، اذ كان للجنون وللإيمان
حلتها الخاصة ، فكان الإله يتجلى في هوس العقل ، وكانت كل ريبة خطيئة
لقد عرفتهم جد المعرفة ، اولئك المتجلين على صورة الله ومثاله فتيقنت ان
جميع رغباتهم تتجه الى أن يؤمن الناس بهم وان يصبح كل شك فيهم خطيئة ،
وما فات مداركي ذلك الايمان الذي يدعون رسوخه فيهم . فانهم لا يؤمنون لا
بالعوالم الأخرى ولا بقطرات الدماء تفتدي العالم ، بل هم كسائر الناس يعتقدون

هي الالهية فيتأكد ان الاله الذي يهاجمه هذا الفيلسوف هو غير الهنا ، وعالمه الثاني هو غير
عالمنا الروحي الذي يقيم فينا قبل ان نقيم فيه

ان نيتشه كان قد خرج على الدين الذي اقتبسته الآرية عن السامية فشوهته ، فاصبح بعد
ذلك طريد فكره الجبار ينتقد آثار الدين في المجتمع ، وقد وقف موقفه الساي فلا هو يسكت
صراخ نفسه المتمردة ، ولا هو يهتدي الى الدين الحق الذي تسكن الروح اليه وينتظم المجتمع
باحكامه ، وما نحن نورد كلمة لنيتشه قائلها وهو يكتب زرادشت وفيها عبرة للمؤمنين
واللجاحدين

في حديقه من حدائق لوزرن جلس نيتشه الى السيدة (لو سالومه) وهي حسناء روسية
ملكته لبه ، وفي حديثه معها ملكه الصمت ، فرأت لو دموعه تنهمر وبدأ يقص عليها تاريخ
تطوره الفكري ، فوصف لها سني فتوته التي قضاه في التعبد ، ثم عرض مراحلها في شكوكه
واضطرابه في عالم لا بد من امرار الحياة فيه دون أن يكون لهذا العالم اله . . . فقال ، والسيدة
نفسها دونت قوله للتاريخ :

« هكذا بدأت مغامراتي الفكرية وما وصلت الى محجة منها ، فالى اين اتجه . . . افلا
يجدر بي ان اعود الى الايمان ، او ان اوفق الى ايمان جديد ؟ على انه خير لي اذا انا لم
اوفق الى الوصول لهدف ان اعود ادراجي من ان اقف في حيرتي » اهـ . نقلا عن كتاب
دانيال هالافي »

بالجسد ، ويرون ان اجسادهم نفسها هي الكائن الواجب الوجود
غير ان هؤلاء الناس يرون الجسد كائناً معتلاً ، فيودون ان يبارحوا
جلودهم وذلك ما يدفعهم الى الاصغاء للمبشرين بالموت وما يهيب بهم الى التبشير
بالعوالم الأخرى

أما اتم ، يا اخوتي ، فاصغوا الى صوت الجسد الذي أبل من دائه لان هذا
الجسد يخاطبكم بصوت أنقى وأخلص من تلك الاصوات
ان الجسد السليم يتكلم بكل اخلاص وبكل صفاء ، فهو كالعمامة المربعة من
الرأس حتى القدم وليس بيانه الا إفصاحاً عن معنى الارض
هكذا تكلم زارا ...

المستهزئين بالجسد

لأقولن للمستهزئين بالجسد كلمتي فيهم : ان واجبهم الا يغيروا طرائق تعاليمهم ،
ولكن عليهم ايضاً ان يودعوا أجسادهم فيستولي على سنتهم الخرس
يقول الطفل : انا جسدٌ وروح . فلماذا لا يتكلم هؤلاء الناس كالاطفال ؟
اما الانسان الذي انتبه وأدرك ذاته فيقول :
انني بأسري جسد لا غير ، وما الروح الا كلمة أُطلقت لتعين جزء من هذا
الجسد

ما الجسد الا مجموعة آلاتٍ مؤتلفة للعقل ، ومظاهر متعددة لمعنى واحد .
ان هو الا ميدان حرب وسلام ، فهو القطيع وهو الراعي
ان آلة جسدك انما هي اداة عقلك الذي تدعوه روحاً ، ايها الاخ ، ان هو الا
أداة صغيرة وألعوبة صغيرة لعقلك العظيم
انك تقول : (أنا) ، وتنتفخ غروراً بهذه الكلمة ، غير ان هنالك ما هو
اعظم منها ، أشئت ان تصدق أم لم تشأ ، وهو جسدك وأداة تفكيره العظمى ،
وهذا الجسد لا يتبجح بكلمة انا لانه هو (انا) ، هو مضمرة الشخصية الظاهرة
ان ما تتأثر الحواس به وما يدركه العقل لا نهاية له في ذاته ، غير ان الحس
والعقل يحاولان اقناعك بان فيهما نهاية الاشياء جميعها ، فما اشد غرورها !
ما الحس والعقل الا ادوات وألعوبة ، والذات الحقيقية كامنة وراهما مفتشة
بعيون الحس ومصيفة بأذان العقل

ان الذات ما تبرح مفتشة مصغية ، فهي تقابل وتستنتج ثم تهدم متحكمة
في الشخصية سائدة عليها ، فان وراء احساسك وتفكيرك ، يا اخي ، يكن سيد
اعظم منهما سلطاناً ، لانه الحكيم المجهول ، وهذا الحكيم انما هو الذات بعينها
المستقرّة في جسدك وهي جسدك بعينه ايضاً (١)

ان في جسدك من العقل ما يفوق خير حكمة فيك ، ومن له ان يعلم السبب
الذي يجعل جسدك بحاجة الى خير ما فيك من حكمة

ان ذاتك تهزأ بشخصيتك وبألعابها قائلة : — ما هي خطرات الفكر
وتساميه ان لم تكن جنوحاً الى هدي ، افلست انا رائدة الشخصية وملهمه
أفكارها ؟

تقول الذات للشخصية : — اشعري بألم ، فتتألم وتفتكر بالتخلص من هذا
الالم وقد تحتم عليها ان تتجه الى هذه الغاية

وتقول الذات للشخصية : — اشعري بالسرور ، فتسرّ وتفتكر باطالة أمد
هذا السرور ، وقد تحتم عليها ان تتجه الى هذه الغاية

لي كلمة اقولها للمستهزئين بالجسد ، وهي ان احتقارهم انما هو في الحقيقة
حرمة واعتبار ، اذ من هو يا ترى موجد الاحترام والاحتقار والتقدير
والارادة ؟

ان الذات المبدعة اوجدت لنفسها الاحترام والاحتقار كما اوجدت اللذة
والالم ، ان الجسم المبدع اوجد العقل لخدمته كساعد يتحرك بارادته

انكم لتخدمون الذات الكامنة فيكم حتى في جنونكم وفي احتقاركم . وانا

(١) أفلا يرى القارئ الكريم اثبات واجب الوجود في محاولة انكاره ، واثبات الايمان
الفكري الاسمي في اضل منطق واصرح جحود ؟ ذلك هو رد الفعل الذي اشرنا اليه في مقدمتنا ،
فان الايمان الغربي قد اعتبر الجسد آلة شهوة محتقرة يجب اذلالها ، فانكر الحياة (وما الحياة
في نظر الشرق المؤمن الا مقدمة للخلود) وما ثار نيتشه الا على هذا التصور للكيان الانساني ،
فهب يقلب ظاهره باطناً وباطنه ظاهراً ، ويشطره الى ذات والى شخصية معتبراً الشخصية عقلاً
وادراكاً زائليين وقائلاً بان الجسم بما فيه من حوافز مجردة خفية انما هو بنفسه الذات الواجبة
الوجود التي تندفع الى التكامل لتبلغ بالانسان مرتبة الالهية

هذه كلمة لم نر بدأ من الاتيان بها وهي جد موجزة ، ولكنها ستكون مداراً لبحث تتوق
الى تناوله عند ما ننتهي من ترجمة فيلسوف الغرب الكبير لناخذ من الحادده دليلاً له شأنه على
صحة ايمان الشرق بالواحد الاحد وبما نفخ في الاجساد من نسمة الحياة الخالدة

أقول لكم أيها المستهزون بالجسد ان ذاتكم نفسها تريد ان تموت ، وقد تحولت
عن الحياة لأنها عجزت عن القيام بما كانت تطمح اليه ، وما أقصى رغباتها الا ابداع
من يتفوق عليها ولقد مضى زمن تحقيق هذه الرغبة ، لذلك تطمح ذاتكم الى
الزوال أيها المستهزون بالجسد

ان ذاتكم أصبحت تتوق الى الزوال ، وهذا ما يدفع بكم الى الاستهزاء
بالاجساد اذ قد امتنع عليكم ان تخلقوا من هو افضل منكم
ان هذا العجز قد ولد فيكم النقمة على الحياة والارض وها هي ذي تتجلى
شهوة في لحظاتكم المنحرفة دون ان تعلموا
انني لا اسير على طريقكم ايها المستهزون بالجسد ، لانني لا ارى فيكم المعبر
الذي يؤدي الى مطلع الانسان المتفوق
هكذا تكلم زارا ...

الملذات والشهوات

اذا كان لك فضيلة يا اخي ، وكانت هذه الفضيلة خاصة بك فانك لا تشارك
فيها احداً سواك . ولا ريب في انك تريد ان تدعوها باسمها وتداعبها لتتسل بها
ولكنك بهذا اشركت بها الناس بما اطلقت عليها من تعريف ، فأصبحت انت
وفضيلتك مندغمين في القطيع

خير لك يا اخي ان تقول : ان ما تله به روحي وتتعذب به يتعالى عن الايضاح ،
ويجلى عن ان يسمى ، وهذا العجز عن ادراكه له يخلق المجاعة في احشائي
لتكن فضيلتك اسمى من ان تستخف بالاشياء عند تحديدها ، واذا ما
اقتحمت هذا التحديد ، فلا تستحي من ان تتلفظ به تمنمة ، فقل وانت تتمم :
— ان هذا هو خيري الذي احب ، ان هذا ما يشير اعجابي ، فأنا لا اريد
الخير الا على هذه الصورة . لا اريد هذه الاشياء تبعاً لارادة رب من الارباب
ولا عملاً بوصية او ضرورة بشرية ، فأنا لا اريد ان يكون لي دليل يهديني الى
عوالم عليا وجنات خلود ...

قل : ما احب سوى فضيلة هذه الارض ، لأن ما فيها من الحكمة قليل ،
واقل منه ما فيها من صواب متفق عليه . إن هذا الطير قد بنى عشه على مقربة
مني ، لذلك احبته وعطفته عليه ، وها هو ذا الآن يحتضن عندي بيضه الذهبي

على هذه الوتيرة تكلم وانت تتمم ممتدحاً فضيلتك
لقد كان لك فيامضى شهوات كنت تحسبها ضروراً ، أما الآن فليس فيك إلا
الفضائل ، وقد نشأت هذه الفضائل من شهواتك نفسها ، لأنك وضعت في هذه
الشهوات اسمى مقاصدك فتحوّلت فيك الى فضائل وملذات هي منك ولك ،
ولسوف ترى جميع شهواتك تستحيل الى فضائل ، ولسوف ترى كل شيطان فيك
يستحيل ملاكاً حتى ولو كنت ممن يستسلمون للغیظ والشهوات وكنت من فئة
الحاقدین المتعصبين

لقد كانت الكلاب المفترسة تسكن دهاليزك من قبل ، فها هي ذي الآن
اطيارٌ مغرّدة . لقد استقطرت بلسماً من سمومك وحلبت ناقة الاوصاب ، وانت
الآن تكرر لذيذ درّها

لن يخلق منك شرٌّ بعد الآن ، غير ان هناك شراً قد ينشأ من تخاصم فضائلك
فاصغ الى ، يا اخي ! انك اذا شعرت بسعادة فما يكون ذلك إلا لفضيلة مستقرة
فيك وهي تسهل اجتياز الصراط عليك

انها لمزية ان تكون للانسان فضائل عديدة ، غير ان تعدد الفضائل يرمي
بالانسان الى اشقى الحظوظ . وكم من مجاهدٍ ارهقه النزال في ساحات الفضائل
فتوارى لينتحر في الصحراء

اذا كنت ترى المعارك والحروب ضروراً فاعلم يا اخي انها شروط لا بد منها
لأن للحسد والريبة والشتيمة مقامها المحترم بين فضائلك نفسها . تبصّر ترّ ان كلا
من فضائلك تطمح الى المقام الاسمى وتطمع في الاستيلاء على جميع افكارك
لتستعبدّها وتحمّص بها وحدها كل ما في غضبك وبغضائك وجبك من قوة
ان كلا من فضائلك تحسد الاخرى ، والحسد هائل مريع يتناول الفضائل
ايضاً فيبيدها

ان من يحيط به لبيب الحسد تنتهي به الحال الى ما تنتهي العقرب اليه فيوجه
حمته المسمومة الى نحره

افما رأيت ، يا اخي ، من الفضائل من تشتم نفسها وتنتحر ؟
ليس الانسان الا كائناً وجب عليه ان يتفوّق على نفسه ، لذلك حقّ عليك ،
يا اخي ، ان تحب فضائلك لأنك بها ستفنى
هكذا تكلم زارا . . .

المجرم الشاحب

أفأ تريدون أن تُنزلوا القصاص ، أيها القضاة والمضحون ، ما لم يهزّ الحيوان رأسه ؟ اليكم رأس المجرم الشاحب ، أنها لترتعش ، وها إنَّ افطع احتقار يتكلم في نظراته

ان عينيّ المجرم تقولان لكم : ما الشخصية الا شيء وجب علينا ان نتسامى فوقه ، وما شخصيتي الا عظيم احتقاري للبشر
لقد انتهى اجل هذا المجرم عند ما اصدر حكمه على نفسه ، فلا تتركوا لتساميه سبيلاً يندفع منه الى الانحطاط . عاجلوه بالموت فهو المنفذ الوحيد لمن بلغ عذابه بنفسه هذا الحد البعيد

ليكن قصاصكم ، أيها القضاة رحمة لا انتقاماً . واذا ما حكمتم بالموت فلتكن غايتكم تبرير الحياة . لا يكفيكم ان تقيموا السلم بينكم وبين من تقتلون ، بل يجب ان يكون حزنكم تعبيراً عن ولهم بالانسان المتفوق . وهكذا تبررون الاستبقاء على انفسكم

قولوا إن هذا الرجل عدوٌّ ولا تقولوا إنه سافلٌ . صفوه بالمرض لا بالدناءة اعتبروه مختلاً لا مجرمًا . وانت أيها القاضي لو انك تعلن للملأ ، وانت في برودك الحمراء ، ما ارتكبت من مآتٍ في تفكيرك ، لكنت تسمع الناس يهتفون قائلين : اخلعوا هذا الرجل عن كرسيه فهو ممتلئ اقداراً وسموماً
ولكنّ الفكرة شيء والعمل شيء آخر ، كما ان شبح العمل شيء مستقل بنفسه ايضاً . فليس بين هذه الاشياء الثلاثة أية علاقة يصح ان تعتبر علاقة العلة بالمعلول

ان شبح الجريمة كان صورة لاحت لهذا الرجل فعلا وجه الاصفار . لأنه عند ما ارتكب جرمه كانت قوته على مستواها ، ولكنه ما أتمّ الجرم حتى وهنت تلك القوة فلم يستطع ان يتفرّس في شبح جرمه

لقد لاح لهذا الرجل انه ارتكب فعلة واحدة لا غير ، وبذلك يقوم جنونه لأن الشواذ تحوّل الى قاعدة في كيانه . ان الدائرة التي يرسمها المجرم تصبح قيداً لتفكيره كالفرخة يرسم المنوم حولها دائرة فلا تستطيع اجتياز خطها . وهكذا لا يكاد المجرم يخرج من جرمه حتى يدخل في دائرة جنونه

اصغوا اليّ ، ايها القضاة ، ان الجنون الذي يتلو العمل انما تقدّمه جنون آخر قبله ، وانتم لم تسبروا روح المجرم الى اقصاها

ان القاضي الاحمر يتساءل عن سبب إقدام المجرم على القتل ، فيقول في نفسه ان القاتل اراد السرقة اولاً ، اما انا فأقول ان نفس المجرم لم تقصد السرقة بل طلبت إراقة الدماء ، لأنّها كانت ظامئة الى اغماد النصل . ان عقلية المجرم لم تفهم هذا الجنون فاندفع الى ارتكاب جرمه ، وعقليته تناجيه قائلة : ما يهملك ان تريق الدماء ما دام جرمك يوصلك الى السرقة او الانتقام . لقد اصغى المجرم الى صوت عقليته المسكينة لان ما اسرّت به اليه كان ثقيلاً كالرصاص ، فسرق بعد ان قتل لأنه اراد ان يبرّر جنونه ولا ينجّل منه

وعاد جرمه فنقل عليه كالرصاص ايضاً ، فنقل عقله المسكين فاستولى عليه التخدر والشلل . ولو ان هذا المجرم تمكن من ان ينتفض بهامته لكان تهاوى جملة الثقيل عنه ، ولكن من كان سيهزّ له رأسه يا ترى ؟

لو انك انعمت النظر في هذا الانسان ، لما تجلّى لك الا مجموعة علل تتطلع بالعقل الى العالم الخارجي مفتشة عن غنيمة تظفر بها

ليس هذا الانسان الا كتلة أفاعٍ اشتبكت وهي في تدافع مستمر لا تسكن الا لتفكك مناسبة في شعاب الدنيا تسعى وراء غنائمها

انظروا الى هذا الجسم المسكين ! إن روحه الضعيفة طمحت الى استكناه ما في الجسم من الم ورغبات ، فخيّل لها انها متشوقة الى القتل

إن من يتسلط عليه هذا المرض في هذه الايام لتباغته شرورها فيريد ان يعذب الآخرين بما يتعذب هو به ، غير انه قد مرّ زمان من قبل كان له خير وشر هما غير خير هذه الايام وشرها . ذلك زمان كانت تحتسب فيه شكوك الانسان ومطامعه جرائم عليه ، فكان المبتلى بالشكوك والمطامع يعدّ ساخراً ومنشقاً عن المجتمع فيعمد هو الى تعذيب الآخرين بعذابه

إنكم لا تريدون الاصفاء الى اقوالى إذ ترونها تلحق الضرر بالصالحين بينكم

ولكنني لا اقيم وزناً لرجالكم الصالحين

ان في هؤلاء الرجال من تشمئز منه نفسي ، وليس ما اكره فيهم ما يعدّ من الشرور ، فاني اتمنى لهم جنوناً يوردهم الردى كجنون المجرم الشاحب

والحق اني اريد ان يدعى هذا الجنون حقيقة او اخلاصاً او عدلاً ، لأن

فضيلة هؤلاء الناس لا تقوم الا على إطالة عمرهم لقضائه بالملذات السافلة ولا ملذة
لهم الا بالارتياح الى نفوسهم والرضى عنها
ما انا الا حاجز قائم على ضفة النهر، فمن له قدرة على التمسك بي فليفعل، ومن
لا طاقة له على ذلك فلا يظن اني سأكون طوع يده يقبض علي كما يقبض
الكسيح على عصاه
هكذا تكلم زارا . . .

القراءة والكتابة

اني استعرض جميع ما كتب، فلا تميل نفسي الا الى ما كتبه الانسان
بقطرات دمه . اكتب بدمك فتعلم حينئذ ان الدم روح، وليس بالسهل ان يفهم
الانسان دماً غريباً . انني ابغض كل قارئ كسول لأن من يقرأ لا يخدم القراءة
بشيء، واذا مر قرن آخر على طغمة القارئين فلا بد من ان تتصاعد روائح النتن
من التفكير

اذا اعطي لكل انسان الحق في ان يتعلم القراءة، فلن تفسد الكتابة مع
مرور الزمان فحسب، بل ان الفكر نفسه سيفسد ايضاً
لقد كان الفكر فيما مضى الهاً فتحوّل الى رجل، وها هو ذا الآن كتلة من
الغوغاء . ان من يكتب سُوراً بدمه لا يريد ان تتلى تلك السور تلاوة، بل
يريد ان تستظهرها القلوب

ان اقرب الطرق بين الجبال انما هو الخط الممتد من ذروة الى ذروة، ولا
يمكنك ان تتبع هذا السبيل إذ لم تكن لك رجلا مارد . يجب ان تكون التعاليم
شاحخة كهذه الذرى، وان يكون لمن تلقن لهم قوة الجبابة وعظمتهم
لقد رقّ النسيم وصفا، وهذه المخاطر تحديق بي عن كذب، وفكرتي تتخطر
مرحة في قسوتها، امامي الصراط الممهد فلا تخذن من الجن اتباعاً . انا رب
الجسارة والعزم، ومن توصل بأقدامه الى طرد الاشباح لا يصعب عليه ان يخلق
من الجن له اتباعاً

لقد تآقت شجاعتي الى الضحك، وقد انقطع كل جبل بيني وبينكم . ان
السحب المتمخضة بالعواصف هي سحبكم السوداء الثقيلة وانا اهزأ الآن بها
انكم تنظرون الى ما فوقكم عند ما تتشوقون الى الاعتلاء، اما انا فقد

علوت حتى اصبحت اتطلع الى ما تحت اقدامي . فهل فيكم من يمكنه ان يضحك
وهو واقف على الذرى ؟

من يحوم فوق اعالي الجبال يستهزىء بجميع مآسي الحياة ، ويستهزىء
بمسارحها ، بل بالحياة نفسها

تريدنا الحكمة شجعانا لا نبالي بشيء ، تريدنا اشداء مستهزئين ، لأن
الحكمة أنثى ، ولا تحب الانثى الا الرجل المكافح الصلب

تقولون لي ان الحياة وقرّ ثقيل ، فقولوا لي ايضاً لماذا تقابلون الصباح
بغوروركم ، ثم يجيء المساء فلا يجد فيكم الا المذلة والخضوع ؟

ان الحياة جدّ ثقيلة ، ولكن ما هذا الخور الذي يبدو عليكم ؟ افلسنا
كلنا دواباً ولكل دابة منا وقرها ؟ وهل من شبه بيننا وبين برعم الورد

يرتجف متضايقاً لسقوط قطرة الندى عليه !

لا ريب اننا نحب الحياة ، وليس سبب ذلك لاننا تعودنا الحياة ، بل السبب
في اننا تعودنا حب الحياة

ان في الحب شيئاً من الجنون ، ولكن في الجنون شيئاً من الحكمة . وانا
نفسى التائق الى الحياة يترأى لي ان خير من يدرك السعادة انما هي الفراشات
وكرات الصابون الفارغة ، ومن يشبهها من الناس . ولا شيء يبكي زارا ويدفعه
الى الانشاد كنظره الى هذه الازواح الصغيرة الخفيفة الرائعة الدائمة الخفقان
في جنونها

ان الاله الذي يمكنني ان اؤمن به انما هو الاله الذي يمكنه ان يرقص
عند ما تراءى لي الشيطان رأيته جامداً مستغرقاً ملؤه الجد والجلال ، فقلت
هذا هو الروح الثقيل الذي تتساوى جميع الحالات لديه

اذا اردت القتل فلا تستعن بالغضب ، بل استعن بالضحك . فهياً بنا نقتل
الروح الثقيل

إنني ما زلت راكضاً منذ تعلمت المشي . وهأنذا اطير الآن ولست بحاجة
الى من يدفعني لأتحرك

لقد اصبحت خفيفاً ، فأنا اطير مشعراً بأننى احلّق فوق ذاتي وان الهاء
يرقص في داخلي

هكذا تكلم زارا . . .

دوحة الجبل

وارتقى زارا ذات مساء الربوة المشرفة على مدينة (البقرة الملونة) فالتقى هنالك فتىً كان يلحظ فيما مضى صدوده عنه ، وكان هذا الفتى جالساً الى جذع دوحة يرسل الى الوادي نظراتٍ ملؤها الاسى ، فتقدم زارا وطوّق الدوحة بذراعيه وقال : — لو انني أردت هزّ هذه الدوحة بيدي لما تمكنت . غير أن الريح الخفية عن اعيننا تهزها وتلويها كما تشاء . هكذا نحن تلويها وتهزنا ايدي لا تُرى

فنهض الفتى مذعوراً وقال : هذا زارا يتكلم ! وقد كنت موجهاً افكاري اليه فقال زارا : ما يخيفك يا هذا ؟ أليس للانسان وللدوحة حالة واحدة ؟ فكلمنا سما الانسان الى الاعالي ، الى مطالع النور ، تذهب اصوله فائرة في اعماق الارض ، في الظلمات والمهاوي . فصاح الفتى : أجل ! اننا نغور في الشرور ، ولكن كيف تسنى لك ان تكشف خفايا نفسي ؟

فابتسم زارا وقال : ان من النفوس من لا تتوصل الى اكتشافها الا باختراعها اختراعاً

وعاد الفتى يكرر قوله : اجل اننا نغور في الشرور . قلت حقاً يا زارا ، لقد تلاشت ثقتي بنفسي منذ بدأت بالطموح الى الارتقاء فخرمت ايضاً ثقة الناس ، فما هو السبب يا ترى ؟ انني اتحوّل بسرعة فيدحض حاضري ما مضى من ايامي . ولكم حلقت فوق المدارج اتخطاها وهي الآن لا تغفر لي اهماي . انني عندما ابلغ الذروة اراني دائماً منفرداً وليس قربي من يكلمني ، ويلفحتي القر في وحدتي فترتجف عظامي ، وما ادري ماذا اتيت اطلب فوق الذرى !

ان احتقاري يساير رغباتي في نموّها ، فكلمنا ازدددت ارتفاعاً زاد احتقاري للمرتفعين فلا ادري ما هم في الذرى يقصدون . ولكم اخجلني سلوكي متعثراً على المرتقى ، ولكم هزأت بتهدّج انفاسي . انني اكره المنفضين للطيران . فما اتعب الوقوف على الذرى العالية !

ونظر زارا الى الدوحة يتكئ الفتى عليها ساكناً فقال : ان هذه الدوحة ترتفع منفردة على القمة وقد نمت وتعالّت فوق الناس وفوق الحيوانات ، فاذا

هي ارادت ان تتكلم الآن بعد بلوغها هذا العلو فلن يفهم أقوالها احد . انها
انتظرت ولم تزل تتعلل بالصبر ، ولعلها وقد بلغت مسارح السحاب تتوقع
انقضاء أول صاعقة عليها

فهتف الفتى متحمساً : نطقت بالحق ، يا زارا اني اتجهت الى الاعماق وانا
اطلب الاعتلاء ، وما انت الا الصاعقة التي توقعتها . تفرس في ، وانظر الى ما
آلت اليه حالي منذ تجليت لنا ، فما انا الا ضحية الحسد الذي استولى علي
وكانت الدموع تنهمر من مآقي الفتى وهو يتكلم ، فتأبط زارا ذراعه وسار
به على الطريق . وبعد أن قطعاً مسافة منها قال زارا : — لقد تفطر قلبي ، ان في
عينيك ما يفصح باكثر من بيانك عما تقتحم من الأخطار . انك لما تتحرر يا
أخي ، بل ما زلت تسعى الى الحرية ، وقد اصبحت في بحثك عنها مرهف الحس
كالسائر في منامه

انك تريد الصعود مطلقاً من كل قيد نحو الذرى ، فقد اشتاقت روحك الى
مسارح النجوم ، ولكن غرائزك السيئة نفسها تشتاق الحرية ايضاً
ان كلابك العقورة تطلب حريتها ، فهي تنبح مرحة في سراديبها ، على حين
ان عقلك يطمح الى تحطيم ابواب سجونك كلها . وما اراك بالطلق الحر فأنت
لم تزل سجيناً يتوق الى حريته ، وأمثال هذا السجين تتصف ارواحهم بالحزم غير
انها تصبح وا أسفاه مراوغة شريرة

على من حرر عقله ان يتطهر مما تبقي فيه من عادة كبت العواطف والتلطيخ
بالاقدار ، لتصبح نظراته براءة صافية . انني لا اجعل الخطر المهدق بك ، لذلك
استحلفك بحبي لك واملي فيك الا تطرح عنك ما فيك من حب ومن امل
انك لم تزل تشعر بالكرامة ولم يزل الناس يرونك كريماً بالرغم من كرههم
لك وتوجيههم نظرات السوء اليك ، فاعلم ان الناس لا يبالون بالكرماء يمرون
بهم على الطريق ، غير ان اهل الصلاح يهتمون بهم ، فاذا ما صادفوا في
سبيلهم من يتشح الكرامة دعوه رجلاً صالحاً ليتمكنوا من القبض عليه
لاستعباده

ان الرجل الكريم يريد ان يبدع شيئاً جديداً وفضيلة جديدة ، على حين
ان الرجل الصالح لا يحن الا الى الاشياء القديمة ، وجل رغبته تتجه الى
الابقاء عليها

لا خطر على الرجل الكريم من ان ينقلب رجل صلاح ، بل كل الخطر عليه
 في ان يصبح وقحاً هداماً
 لقد عرفت من الناس كراماً دلّت طلائعهم على انهم سيبلغون اسمى الاماني ،
 فما لبثوا حتى هزأوا بكل امنية سامية ، فعاشوا تسير الوقاحة امامهم ، وتموت
 رغباتهم قبل ان تظهر فما اعلنوا في صبيحتهم خطة الا شهدوا فشلها في المساء
 قال هؤلاء الناس : ما الفكرة الا شهوة كغيرها من الشهوات
 وهكذا طوت الفكرة فيهم جناحيها فتحطما ، وبقيت هي تزحف زحفاً
 وتدّس جميع ما تتصل به
 لقد فكر هؤلاء الناس من قبل ان يصيروا ابطالاً ، فما تسنى لهم الا ان
 يصبحوا متنعمين ، يحزنهم شبح البطولة ويلقي الخوف في روعهم
 استحلفك بحبي لك واملئ فيك الا تدفع عنك البطل الكامن في نفسك اذ
 عليك ان تحقق اسمى امانيك
 هكذا تكلم زارا ...

المندرون بالموت

ما أكثر المندرين بالموت ! والعالم مليء بمن تجب دعوتهم الى الاعراض عن
 الحياة
 ان الارض مكتظة بالدُّخلاء وقد افسدوا الحياة ، فما اجدرهم بان تستهويهم
 الحياة الابدية ليخرجوا من هذه الدنيا
 لقد وُصف المندرون بالموت بالرجال الصفر والسود ، ولسوف اصفهم انا
 فينكشفون عن الوان اخرى ايضاً
 انهم لاشد الناس خطراً ، اذ كمن الحيوان المفترس فيهم ، فغدوا ولا خيار
 لهم الا بين حالتين ، حالة التحرق بالشهوة وحالة كبثها بالتعذيب . وما شهوتهم الا
 التعذيب بعينه . ان هؤلاء المسوخ لم يبلغوا مرتبة الانسانية بعد ، فليبشروا
 بكره الحياة ، وليقلعوا عن مراتبها
 هؤلاء هم المصابون بسلّ الروح ، فانهم لا يكادون يولدون للحياة حتى يبدأ
 موتهم ، وقد شاققتهم مبادئ الزهد والملال
 يود هؤلاء الناس ان يدرجوا في عداد الاموات ، فعلينا ان نجبّد ارادتهم

ولنحترس من ان نعمل على بعث هؤلاء الاموات وعلى تشويه هذه النعوش المتحركة

اذا هم صادفوا مريضاً او شيخاً او جثة ميت ، فانهم يقولون — لقد انتفت الحياة ، ولو انصفوا لقالوا انهم هم نفي للحياة ، وان عيونهم دحض لها لانها لا تنبج الا الى مظهر واحد من مظاهر الوجود

هم يتلفعون برداء وسيع من الأسى ويتشوقون الى الحوادث التي تجر وراءها الموت . ولكنهم يتوقعون الموت واسنانهم تصطك فرقا . غير انهم في الوقت نفسه يمدون ايديهم الى ما لذ وطاب هازئين ، فكأن الحياة قشة يهزأون بها ولكنهم يحرسون عليها . ان حكمة هؤلاء الناس تهتف قائلة (الحياة جنون ، افطم منه التمسك بالحياة . وقد بلغ الجنون بنا هذا الحد الفظيع)

يقولون ان الحياة آلام ، انهم يقولون حقاً ، فلماذا لا يضعون حداً لهذه الحياة ان لم يكن فيها سوى العذاب ؟ تلك تعاليم ترمي الى وجوب الانتحار ، فيقول البعض وهو يدعو الى الموت : ان الملاذ الجنسية خطيئة فيجب الامتناع عنها والاضراب عن التوليد . ويقول البعض الآخر : ان الولادة مؤلمة ، فعلام تلد النساء وهن لا يقذفن الى الوجود الا بالاشقياء ؟ وهذه الفئة هي ايضاً من المنذرين بالفناء

وتقول لك فئة اخرى : ان الرحمة لازمة نخذ ما نملك ، بل خذ ما تتكوّن شخصيتنا منه ، فان فعلت فانك تقطع من الأسلاك التي تشد بنا الى الحياة . ولو أن رحمة هذه الفئة من الناس تتغلغل في صميم ذاتهم لكانوا يبذلون الجهد في سبيل دفع سواهم الى كره الحياة . ليستمر هؤلاء الناس على ما هم عليه ، لان رحمتهم الحقيقية كامنة في ايقاع الاذى

ان ما يقصد هؤلاء الناس انما هو التملص من تكاليف البقاء فلا يهمهم ان هم القوا باغلاهم على الآخرين

وانتم ايضاً ، ايها المتحمّلون من الدنيا همومها وجهودها المرهقة ، أفما تعبتم من الحياة ؟ أفما أنضجت المحن نفوسكم لتقوم هي ايضاً منذرة بالموت ؟

أنتم يا من تحبون الاعمال الوحشية وكل حادث يتمتعكم بكل جديد وغريب سريع الزوال ! لقد ضقتُم ذرعاً بانفسكم فما تنها الكون في العمل إلا تهرباً من الحياة وطلباً للاستغراق لتصلوا بذاتكم الى نسيان ذاتها . ولو كنتم أشد ايماناً

بالحياة لما كنتم تستسلمون هذا الاستسلام الكامل لحاضرکم . لقد خلت
سرائرکم من القوة اللازمة للانتظار ، بل خلت مما يستلزم كسلکم نفسه
من جسدک

ان صوت المنذرين بالموت يدوي في كل مكان ، والعالم مبعثز بئس وجبت
دعوتهم الى الموت أو بالحرى الى الحياة الابدية ، ولا فرق عندي بين ذاك وهذه
اذا كان هؤلاء الناس يسارعون الى اخلاء الارض
هكذا تكلم زارا ...

الحرب والمحاربون

لا نريد ان يراعيينا خيرة اعدائنا ، كما لا نريد ايضاً ان يراعيينا من نحبهم من
صميم القواد
دعوني اعلن لكم الحقيقة

إنني احبکم من صميم القواد ، ايها الرفاق في المعارك ، فما انا الآن الا ، كما
كنت في الامس ، جندي مثلكم ، فانا اذن من خيار اعدائکم . دعوني اعلن
الحقيقة لكم

اننى عارف ما في قلوبکم من حقد وحسد ، فأنتم من العظمة بحيث لا يمكنکم
ان تتجاهلوا الحقد والحسد ، فلتكن عظمتکم رادعة لكم عن الخجل بما في
قلوبکم . واذا امتنع عليكم ان تكونوا اولياء في معرفة الحق فكونوا على الاقل
جنوداً يكافحون من اجل هذه المعرفة ، وما المكافون الا طليعة الاولياء
لقد كثر عدد الجنود فليتنى ارى مثل هذا العدد من المحاربين ، وعسى الا
تكون سرائرهم على طراز واحد كالا لبسة التي يرتدونها

لتكن انظارکم منطلقة تفتش على عدو لكم ، وقد لاحت في لمعاتها بواذر
البغضاء . عليكم ان تجدوا العدو لتصلوا معه حرباً تناضلون فيها من اجل
افسارکم ، حتى اذا سقطت هذه الافكار في المعترك ، ينتصب اخلاصکم هاتفاً
بالظفر

احبوا السلام كوسيلة لتجديد الحروب ، وخير السلام ما قصرت مدته .
انني لا اشير عليكم بالسلم ، بل بالظفر . فليكن عملکم كفاحاً وليكن
سائمکم ظفراً

لا اطمئن ان في الراحة اذا لم تكن السهام مسددة على اقواسها . وما راحة
الاعزل الا مدعاة للثرثرة والجدال . فليكن سالمكم ظفراً . . .

تقولون ان الغاية المثلى تبرر الحرب ، اما أنا فأقول لكم ان الحرب المثلى
تبرر كل غاية ، فقد اتت الحروب والإقدام بعظائم لم تأت بمثلها محبة الناس ،
وما انتقد الضحايا حتى الآن الا إقدامكم لا إشفاقكم

انكم تتساءلون عن الخير ، وما الخير الا الاتصاف بالشجاعة ، فدعوا صغيرات
الاطفال يقلن : (ان الخير في اللطف والجمال)

يقولون ان لا قلوب لكم ، ذلك لأن قلوبكم تنبض بالاخلاص ، وأنا احب
تواضعكم واخلاصكم . إنكم تستحون لأن امواجكم تندفع في مدتها ، وسواكم
ينجمل من تراجعها في جزرها

ان قبحكم مريع ، فتدثروا به أيها الأخوة ، لأن في دثار القبح ما ليس في
سواه من الروعة والبهاء

ان النفس لتقف صاحبة عند ما تعتلي ، والقسوة كامنة في اعتلائكم ، فما
خفيت حالكم عني . ففي ميدان القسوة يلتقي الشديد العزم بمنهوك القوى فلا
يمكنهما ان يتفاهما — انني اعرف من انتم

اذا ظفرتم بعدو فصبوا عليه بغضكم ، وحاذروا ان تصبوا عليه احتقاركم ، فما
عدوكم الا مدعاة مباهاةكم ، فاذا عملتم بوصيتي يصبح انتصاره انتصاراً لكم ايضاً
ان الثورة مفخرة للعبيد ، فليكن افتخاركم انتم قائماً على طاعتكم . وليكن
امر الأمر فيكم جزءاً من هذه الطاعة نفسها . ان المحارب الصادق يفضل ما يجب
عليه على ما يريد . فعليكم ان توجهوا ما تؤمرون به الى هدف رغباتكم . وليكن
حبكم للحياة تعبيراً عن اسمى امانيتكم ، ولتكن هذه الاماني عبارة عن ارفع فكرة
في الحياة . وما ارفع فكرة لكم ، وانا استميحكم ابداءها لكم كأمر ، الا هذه
القاعدة : (ما الانسان الا كائن يجب ان تتفوق عليه)

على هذا الوجه تمر حياتكم بالطاعة والجهاد ، فما يهمكم اطالت الحياة ام قصرت
فليس من محارب يطلب ان يعامل بالمرعاة

لقد قلت لكم الحق بلا محاباة لأنني احبكم من صميم القواد ، ايها الاخوة
في السلاح

هكذا تكلم زارا ...

الصنم الجديد

لم يزل في بعض الاماكن من الارض شعوب وجامعات ، اما نحن فليس عندنا سوى حكومات وما ادراككم ما هي الحكومات ؟

أعيروني اسماعكم لاخاطبكم عن موت الشعوب : — ليست الحكومة إلا
أبر● مسخ بين المسوخ الباردة ، فهي تكذب بكل رصانة اذ تقول : « انا الحكومة
انا الشعب »

إياكم وتصديق ما تقول ، فما كوّن الشعوب الا المبدعون الذين نشروا الايمان
والمحبة ، فأتوا بأجل خدمة للحياة . وما الناصبون الا شركاء للجموع الغفيرة الا
من يهدمون كيانهما ليشيدوا الحكومات على انقاضها ، ويعلقوا نصلاً قاطعاً فوق
رأس الشعب ، وينصبوا مئات الشهوات امام عينه

ان الشعب ، حيث بقي له مرتع على الارض ، لا يفهم ما هي الحكومة ، بل
هو ينفر منها كما ينفر من العين الساحرة ، ويراها شذوذاً هادماً للشرائع والتقاليد.
واليكم الدليل : ان لكل شعب بيانه عن الخير والشر ، وجيرة هذا الشعب لا تفهم
هذا البيان الذي اوجده لنفسه محمداً به شرائعه وتقاليده ، على حين ان الحكومة
تكذب في جميع تعابيرها عن الخير والشر ، فليس ما تقوله الا كذباً ، وليس ما
تملكه إلا نتاج سرقتها واختلاسها

ان كل ما للحكومة مزيف ، فهي تنهش بأسنان مستعارة ، واحشاؤها مُخلقة
اختلاقاً ، وما شعارها الا « البيان المبهم المشوش عن الخير والشر » فهي تتجه
به نحو الفناء ، وتقوم بنشره بدعوة صريحة للمندرين بالموت
إن عدد من يدخلون الدنيا قد تجاوز الحد ، وما اوجدت الحكومة الا
خدمة الفضوليين الدخلاء على الحياة . انظروا الى هذه الحكومة كيف تجتذب
اليها الدخلاء فتضمهم الى صدرها وتشبهم عناقاً وتقبيلاً . اسمعوها تهدير
قائلة :

— ليس أعظم مني على وجه الغبراء ، فأنا يد الالهية المنظمة
وعندما تهتف هذا الهتاف ، تتهاوى الركاب جاثية ، وبين الراكعين كثير
من غير طوال الأذان وقصار النظر

ان هذه الاكاذيب تجد مصدقين لها واسفاه حتى بينكم انتم ، يا من تجول فيكم النفوس الأبية ، لان الحكومة تعرف ان تدغدغ قلوبكم الطامحة بالمكارم الطامحة الى الجود ، انها لتخترق سرائركم ، انتم ايضاً ، يا من تغلبتم على الالوهية القديمة ، فهي تعرف انكم تعبت من الكفاح فتستخدم ملائكم لعبادة الصنم الجديد

انه لصنم يتمنى ان يحيط به الابطال وفضلاء الرجال ، انه لمسخ بارد يريد ان يدفأ بشمس الضمائر المشعة المشرقة

انه ليمنحكم كل شيء اذا انتم سجدتم له . فهذا الصنم الجديد يشتري لمعان فضائلكم وما في لفتاتكم من عزة وكرامة . انه في حاجة اليكم ليجتذب اليه العدد الفائض من الدخلاء على الحياة ، فهناك البرج الجهنمي ، وهناك جياذ الموت تفرقع بعددِها حاملة شارات المراتب والابجاد ، اجل ذلك هو اختراع الموت اتى به للجموع ليحصدها حصداً وهو يباهي بأنه هو الحياة ، والمنذرون بالموت يرون بفعلته خير خدمة لمبادئهم

حيث يكرع الجميع السموم ويضيق كل انسان نفسه صالحاً كان او طالحاً ، هنالك تقوم الحكومة لانها تسود كل مكان يوصف فيه الانتحار البطيء بالحياة .

انظروا الى هؤلاء الدخلاء . انهم يختلسون ثمرة جهود المخترعين وكنوز الحكماء ويدعون هذا الاختلاس تمداً ، غير ان كل شيء يصبح ادواء ومصاعب تحت سلطانهم . انظروا الى هؤلاء الدخلاء وليس فيهم الا الاعلاء ينقثون غسلين صرائرهم ، وينتحلون صفة الصحافيين ... انهم يتناهشون ويلتهم بعضهم البعض الآخر وليس لهم قوة على هضم ما يلتهمون

انظروا الى هؤلاء الدخلاء ، انهم يحشدون الاموال ، وكلما ازدادت ذخائرهم زاد فقرهم ، فانهم يطمحون الى الاستيلاء على القوة فيبدأون بالقبض على محركيها الأول : على الاموال الطائلة ، وما هم الا الدخلاء العاجزون

انظروا اليهم ! انظروا الى هؤلاء القروء يتسلق بعضهم البعض الآخر فيتدافعون متمرعين في الأوحال على الشفير . ان كلا منهم يطمح الى التقرب من العرش ، وقد عراهم جنون التوصل اليه ، فكأن لا سعادة الا على مقربة منه ،

وقد يرتفع رشاش الاو حال الى العرش كما ينزلق العرش نفسه الى الاو حال (١)
انني اراهم وقد جنّ جنونهم ، قروداً لا تسكن لهم حركة وهم يتسلقون قاعدة
صنمهم البارد وقد انبعثت منه ومنهم أكره الروائح واخبثها
أفيحلو لكم ، أيها الاخوة ، أن يخنقكم ما يتبخر من أشواق هؤلاء المسوخ ؟
حطموا النوافذ واقفزوا منها لتنجوا بانفسكم

حاذروا هذه الابخرة الخائفة وابتعدوا عن عبادة الاصنام فانها دين الدخلاء
على الحياة . حاذروا هذه الابخرة وأعرضوا عن هذه الضحايا البشرية
لم يزل حتى الآن مجال تسعى في رحبه النفوس الكبيرة نحو الحرية في الحياة ،
ولم تخل الأرض من أماكن يلجأ اليها المنعزل منفرداً أو مزدوجاً حيث تهب
نسائم البحر الهادئة . فان الحياة الحرة لم تزل تفتح أبوابها لكبار النفوس ،
والحق أن من يملك القليل من حطام الدنيا لا يناله إلا اليسير من تحكم المتسلطين .
فطوبى لصغار الفقراء !

لا يظهر الانسان الاصيل في الحياة الا حيث تنتهي حدود الحكومات ،
فهناك يتعالى نشيد الضرورة بنغماته المحررة من كل مطاوعة وتقييد
هنالك عند آخر حدود الحكومات ، قفوا وتطلعوا ، يا اخوتي ، أفما ترون
تحت قوس قزح المعبر الذي يجتازه الانسان المتفوق ؟
هكذا تكلم زارا . . .

حشرات المجتمع

سارع الى عزلتك ، يا صديقي ، فقد اورثك الصداع صخب عظماء الرجال ،
وألمتك وخزات صغارهم . إن جلال الصمت يسود الغاب والصخور أمامك ،
فعد كما كنت شبيهاً بالدوحة التي تحب ، الدوحة الوارفة الظل المشرفة على البحر
مصغية في صمتها الى هدبره

(١) لا يغرب عن القاريء الكريم ان نيتشه يعالج في هذا النصل القضية الكبرى في مدينة
الغرب ، وقد نشأت من استخدام أصحاب الاموال للتاج عبقرية المخترعين وجهود المكتشفين في
سبيل حشد الثروات الطائلة والتسلط بها على الحكومات . وقد أصبحت مدينة الغرب من هذا
الوضع الشاذ في حاقة مفرغة تبتديء حيث تنتهي بين ملوك الحكومات وملوك المال وليس ،
والحمد لله ، في الشرق أمثال هؤلاء الملوك

على أطراف حقول العزلة تبدأ حدود الميادين حيث يصخب كبار الممثلين
ويطنّ الذباب المسموم . لا قيمة لخير الأشياء في العالم إن لم يكن لها من يمثلها ،
والشعب يدعو ممثليه رجالاً عظاماً ، إنه يسيء فهم العظمة المبدعة ، فيبتدع من
نفسه المعاني التي يجمّل بها ممثليه والقائمين بالأدوار الكبرى على مسرح الحياة
إن العالم يدور دورته الخفية حول موجدني السنن الجديدة . وحول لاعبي
الأدوار على مسرح الحياة يدور الشعب وتدور الأبحار ، وعلى هذه الوتيرة يسير
العالم .

ان للاعب الأدوار ذكائه ، ولكنه لا يدرك حقيقة هذا الذكاء لانصباب
عقيدته الى كل طريقة توصله لخير النتائج والى كل أمر يدفع بالناس الى وضع
ثقتهم به

غداً سيعتنق هذا الرجل عقيدة جديدة ، وبعد غدٍ سيستبدل بها أجدد منها .
ففكرته تشبه الشعب تذبذباً وتوقدًا وتقلباً

ان ممثل الشعب يرى بالتحطيم برهانه ، وبايقاد النار حجته ، وباراقة الدماء
أفضل حجة وأقوى دليل . إنه ليعتبر هباء كل حقيقة لا تسمعها الا الآذان
المرهفة ، فهو عبد الآلهة الصاخبة في الحياة

ان ميدان الجماهير يغص بالغوغاء المهرجين ، والشعب يفاخر بعظماء رجاله
فهم أسياد الساعة في نظره . ولكن الساعة تتطلب السرعة من هؤلاء الأسياد ،
فهم يزحونك ، يا أخي ، طالبين منك اعلان رفضك أو قبولك ، والويل لك اذا
وقفت حائراً بين (نعم) وبين (لا)

واذا كنت عاشقاً للحقيقة فلا يغرنك أصحاب العقول الرعناء المتصلبة ،
وما كانت الحقيقة لتستند يوماً الى ذراع أحد هؤلاء المتصلبين

دع المشاغبين وارجع الى مقرّك ، فما ميدان الجماهير الا معترك يهدد سلامتك
بين خنوع (نعم) وتمرد (لا) . ان تجمّع المياه في الينابيع لا يتم الا ببطء ، وقد
تمرّ أزمان قبل ان تدرك المجاري ما استقر في أغوارها

لا تقوم عظمة الا بعيداً عن ميدان الجماهير وبعيداً عن الأبحار ، وقد
انتحى الأماكن القصية عنها من أبدعوا السنن الجديدة في كل زمان

اهرب ، يا صديقي ، الى عزلتك . لقد طالت إقامتك قرب الصعاليك والأدنياء ،
لا تقف حيث يصيبك انتقامهم الدساس وقد أصبح كل همهم ان ينتقموا منك .

لا ترفع يدك عليهم فأن عددهم لا يحصى ، وما قُدِّر عليك أن تكون صياداً
للحشرات . إنهم لصغار أدنياء ولكنهم كثرة . ولكم أسقطت قطرات المطر
وطفيليات الأعشاب من صروح شاحات . ما أنت بالصخرة الصلدة ، ولشدَّ
ما فعلت بك القطرات ، ولسوف يتوالى ارتشاقها عليك فتصدعك وتحطِّمك
تحطيماً .

لقد أرهقتك الحشرات السامة فخذشت جلدك وأسالت منه الدماء ، وأنت
تتحصن بكبرك لتكظم غيظك ، وهي تودّ لو أنها تمتص كل دمك معتبرة أن
من حقها أن تفعل لأن دمها الضعيف يطلب دمّاً ليتقوى ، فهي لا ترى جناحاً
عليها إذ تنشب حمتها في جلدك . ان هذه الجروح الصغيرة لتذهب بالألم إلى مدى
بعيد في حسك المرهف ، فتتدفق صديداً يرتعيه الدود . أراك تتعالى عن أن تمدَّ
يدك لقتل هذه الحشرات الجائعة ، فحاذر ان يجول سم استبدادها في دمك
ان هؤلاء المشاغبين يدورون حولك بطنين الذباب ، فهم يرفعون أناشيدهم
تزلفاً اليك ليتحكموا في جلدك ودمك . انهم يتوسلون اليك ويداهنونك كما
يداهنون الآلهة والشياطين ، فيحتالون عليك بالملاطفة والثناء ، وما يحتال
غير الجبناء

انهم يفكرون بك كثيراً في سرهم فيلقون الشكوك عليك ، وكل من يفكر
الناس به كثيراً تحوم حوله الشبهات

انهم يعاقبونك على كل فضيلة فيك ولا يغفرون لك من صميم قوادهم إلا
ما ترتكب من اخطاء . انك لـكريم وعادل ، لذلك تقول في قلبك : « ان
هؤلاء الناس ابرياء وقد ضاقت عليهم الحياة » ولكن نفوسهم الضيقة تقول في
نجواها : « ان كل حياة عظيمة انما هي حياة مجرمة » ويشعر هؤلاء الناس بأنك
تحتقرهم عند ما تشملهم بمطفك ، فيبادلونك عطفك بالسيئات . انك لتصدعهم
بفضيلتك الصامتة فلا يفرحون الا عند ما يتناهى تواضعك فيستحيل غروراً .
ان الناس يطمحون بالطبع الى إلهاب كل عاطفة تبدو لهم ، فاحذر الصعاليك
لأنهم يحسّون بصغارهم امامك فيتحمسون حتى ينقلب احساسهم كرهاً
وانتقاماً .

أما شعرت انهم يخرسون عند ما تطلع عليهم ، فتبارحهم قواهم كما يبرح
الدخان النار اذا همدت

أجل يا صديقي ، ما انت الا تبكيت في ضمائر ابناء جلدتك لانهم ليسوا أهلاً
لك ، فهم لذلك يكرهونك ويودون امتصاص دمك -
ان ابناء جلدتك لن يرحوا كالحشرات المسمومة لأن العظمة فيك ستزيد
أبداً في كرههم لك
الى عزلتك ، يا صديقي ، الى الأعالي حيث تهب رصينات الرياح ، فانك لم تخلق
لتكون صياداً للحشرات
هكذا تكلم زارا ...

العفة

أحب الغاب ، فما تسهل حياة المدن عليّ وقد كثر فيها عبيد الشهوات
الشارعات .
خير ان يقع الرجل بين براثن سفاحٍ من ان تحديق به أشواق امرأة جاحجة
ملتهبة .
انك اذا ما تفرست في رجال المدن ، لتشهد لك نظراتهم بأنهم لا يرون في
الارض شيئاً يفضل مضاجعة امرأة ...
في أغوار أرواحهم ترسب الأقدار ، واشقاهم من تمرغ عقله بأقداره
ليتك حيوان اكتملت حيوانيته على الاقل ، ولكن أين منك طهارة
الحيوان ؟ ما انا بالمشير عليك بقتل حواسك ، ان ما أوجبه انما هو طهارة
هذه الحواس
ما انا بالمشير عليك بالعفة ، لأنها اذا كانت فضيلة في البعض فانها لتكاد تكون
رذيلة في الآخرين . ولعل هؤلاء يمسون عن التمتع ، غير ان شبقهم يتجلى
في كل حركة من حركاتهم
ان كلاب الشهوة تتبع هؤلاء المسكين حتى الى ذرى فضيلتهم فتنفذ الى
اعماق تفكيرهم الصارم لتشوش عليه سكينته ، ولسلاب الشهوة من مرونة الزنى
ما تتوسل به الى نيل قطعة من الدماغ المفكر اذا منعت قطعة اللحم عنها ...
انكم تحبون المآسي وكل ما يفطر القلوب ، اما أنا فلا اثق بكلاب شهواتكم
لأن نظراتكم الرصينة تتلىء شهوة عند ما تقم على المتألمين ، وقد تنكر الشبق
فيكم فدعوتهم إشفاقاً . واني لأضرب لكم مثلاً على هذا حالة العدد الوفير ممن

ارادوا طرد الشياطين فدخلوا هم في الخنازير بدلاً منها
اذا ما ثقلت العفة على احد منكم فعليه ان يعرض عنها كيلا تنبسط امامه سبيلاً
الى الجحيم ، جحيم اقدار النفس ونيرانها
لعلكم ترون بذاعة في كلامي ، اما انا فأرى البذاعة حيث لا ترونها أنتم
ليست البذاعة في قذارة الحقيقة ، بل هي في تدنيها وإسفافها ، وطالب المعرفة
يأنف من الانحدار الى مهاوئها
ان من الناس من دخلت العفة قلوبهم فلانت هذه القلوب لها . أولئك هم
الضاحكون وفي ابتسامهم ما ليس في ابتسامكم من إخلاص . انهم يهزأون بالعفة
ويتساءلون عما يمكن ان تكون
أفليست العفة غروراً ؟ أفليست هي التي جاءت الينا ولم نذهب نحن اليها ؟
لقد فتحنا قلوبنا لها فاستقرت ضيفاً ثقيلاً فيه ، فليبق هذا الضيف نازلاً فينا
ما طاب له المقييل
هكذا تكلم زارا ...

الصديق

يقول المنفرد في نفسه (لا أطيق وجود أحد بقربي) ولكثرة ما يقف
محدقاً في ذاته تظهر التثنية فيه ، ويقوم الجدال بين شخصيته وبين ذاته فيشعر
بالحاجة الى صديق . وما الصديق للمنفرد الا شخص ثالث يحول دون سقوط
المتجاذلين الى الأغوار كما تمنع المنطقة المفرغة غرق العائمين
ان اغوار المنفرد بعيدة القرار ، فهو بحاجة الى صديق له أنجاده العالية ،
فئة الانسان في غيره تقوده الى ثقته بنفسه ، وتشوقه الى الصديق ينهض افكاره
من كبواتها
كثيراً ما يقود الحب الى التغلب على الحسد ، وكثيراً ما يطلب الانسان
الاعداء ليستر ضعفه ويتأكد امكانه مهاجمة الآخرين
من يطمح الى اكتساب الصديق وجب عليه ان يستعد للكفاح من أجله ولا
يصلح للكفاح الا من يمكنه ان يكون عدواً . يجب على المرء ان يحترم عداؤه
في صديقه ، اذ لا يمكن لك ان تقترب من قلب صديقك الا حين تهاجمه وتحارب
شخصيته

انت تريد الظهور امام صديقك على ما انت عليه هاتك كل ستر عن خفايا
نفسك ، فلا تعجب اذا رأيت صديقك يعرض عنك ويقذف بك الى بعيد
من لا يعرف المصانعة يدفع بالناس الى الثورة عليه ، فاحذر العري ، يا هذا ،
لأنك لست الهماً ، والآلهة دون سواهم يخرجون من الاستتار
عليك بارتداء خير لباس امام صديقك ، لتهيئ به الى طلب المثل الأعلى :
الانسان المتفوق

أفما تقررت يوماً في وجه صديقك وهو نائم لترى حقيقته ؟ أفما رأيت ملامحه
اذ ذاك كأنها ملامحك انت منعكسة على مرآة مبرقة معيبة ؟ افما ذعرت لمنظر
صديقك وهو مستسلم للكرى ؟

ما الانسان ، ايها الرفيق ، الا كائن وجب عليه ان يتفوق على ذاته ، وعلى
الصديق ان يكون كشافاً صامتاً ، فامسك عن النظر علناً الى كل شيء ما دمت
قادراً في غفلتك على كشف كل ما يفعله صديقك في انتباهه . عليك ان تحل
الرموز قبل ان تعلن اشفاقك ، فقد ينفر صديقك من الاشفاق ويفضل ان يراك
مقنعاً بالحديد وفي عينيك لمعان الخلود

ليكن عطفك على صديقك متشجماً بالقسوة وفيه شيء من الحقد ، فيبدو هذا
العطف مليئاً بالركة والظرف

كن لصديقك كالهواء الطلق والعزلة والغذاء والدواء ، فان من الناس من
يعجز عن التحرر من قيوده ولكنه قادر على تحرير اصدقائه
دع الصداقة اذا كنت عبداً ، واذا كنت عاتياً فلا تطمح الى اكتساب
الأصدقاء .

لقد مررت أحقاب طويلة على المرأة كانت فيها مستبدّة او مستعبدة فهي لم
تزل غير أهل للصداقة ، فالمرأة لا تعرف غير الحب
ان حب المرأة ينطوي على تعسف وعماية تجاه من لا تحب ، واذا ما اشتعل
بالحب قلبها فان انواره معرضة ابداً لخطف البروق في الظلام ...
لم تبلغ المرأة بعد ما يؤهلها للوفاء كصديقة ، فما هي إلا هرة ، وقد تكون
عصفوراً ، واذا هي ارتقت اصبحت بقرة ...

ليست المرأة اهلاً للصداقة ، ولكن ليقول لي الرجال من هو اهل للصداقة

بينهم ؟ إن فقر روحكم وخساستها يستحقان اللعنة أيها الرجال ، لأن ما تبذلونه
لأصدقائكم يمكنني ان ابذله لأعدائي دون ان ازداد فقراً
انكم لا تتخذون الا الاصحاب ، فاي متى تسود الصداقة بينكم ؟

ألف هدف وهدف

لقد شاهد زارا كثيراً من البلدان وكثيراً من الشعوب ، فنفذ الى حقيقة
الخير والشر ، وعرف ان لا قوة في العالم تفوق قوتها
تحقق ان ليس على الارض من شعب تحلوه الحياة دون ان يُخضع النُظم
والسُنن لتقديره ، وان كل شعب يرى من واجبه ، اذا اراد الحياة ، ان يجيء
بتقدير يختلف عن تقدير من يجاوره من الشعوب . وهكذا كان ما يراه احدها
خيراً يراه الآخر دناءة وعاراً

ذلك ما عرفته ، فكم من عمل اتشح العيب في بلد ، رأيته مجللاً بالشرف والفخر
في بلد آخر
لم أراجاراً تمكن من ادراك حقيقة جاره ، بل رأيت كلا منهما يعجب لجنون
الآخر وقسوته

لقد علق كل شعب فوق رأسه لوح شريعته ، وسطر عليه ما اجتاز من عقبات
وما تضرر ارادته من عزم ، فما تراءى له صعب المنال فهو موضوع تمجيده ، وما
خيره الا حاجة ملحة عز مطلبها ، فهو يقدر كل وسيلة تمكنه من الظفر بهذه
الحاجة .

ان كل ما يوطد الحكم لهذا الشعب ، وكل ما ينيله النصر والمجد ويلقي الرعب
في روع جاره مثيراً حسده انما هو في نظره ذو المكانة الاولى ، وما احتلّ المقام
الاول في اعتباره يصبح مقياساً لجميع اموره ومعنى لجميع ما يحيط به ، فاذا ما
تمكنت من الاطلاع على حاجات اي شعب وخبرت ارضه وجوّه وحالة جاره ،
فأنك لتدرك النواميس التي تتحكم فيه وتحفزه الى المجالدة للغلبة على اهوائه ،
ولتعرف السبب في اختياره مراقيه الخاصة يتدرج عليها لبلوغ امانيه

(عليك ان تكون سباقاً مجلياً في كل مضمار ، فلتتلفع نفسك بغيرتها
كيلا تبذل الولاء الا للصديق)

انها لكلمات اذا وقعت في اذن يوناني ، ترتعش نفسه لها فيندفع الى اقتحام
الصعاب طلباً للمجد

(قل الحق ، وكن ماهراً في تفويق سهامك من قوسك)

انها لوصية صعبت وعزّت على الشعب الذي اقتبست اسمي منه ، وفي هذا
الاسم من المصاعب قدر ما فيه من ايجاد

(اكرم أباك وأمك ، ولتكن باراً بهما من صميم قلبك)

وهذه الوصية القائمة على إرغام النفس ، قد عمل بها شعب آخر فبلغ القوة
واصبح خالداً

(كن اميناً وابذل للأمانة دمك وشرفك حتى ولو كان جهادك في سبيل ما
يضير وما يورد المهالك)

وهذه ايضاً وصية عمل بها شعب آخر ، فتغلب على ذاته واصبح عظيماً تثقله
الاماني الجسام

لقد اقام الناس الخير والشر ، فابتدعوها لأنفسهم ، وما اكتشفوها ولا أنزلا
عليهم بهاتف من السماء

لقد وضع الانسان للأمر اقدارها ليحافظ على نفسه ، فهو الذي اوجد
للأشياء معانيها الانسانية

ما التقدير الا لايجاد بعينه ، فاصغوا اليها الموجدون

ما الكنوز والجواهر الا اشياء ارادها تقديركم جواهر وكنوزاً ، فما القيمة
الا اعتبار ، ولولا التقدير لما كان الوجود الا قشوراً لا نواة فيها . اسمعوا ايها
الموجدون : ان قيمة الاشياء تتغير تبعاً لتحوّل اعتبار الموجد ، ولا بد لهذا
الموجد من ان يهدم في كل حين

لقد كانت الشعوب تتولى اليجاد في البدء حتى ظهر الافراد الموجدون ، فما
الفرد في الواقع الا احدث هيئات الوجود

لقد اقامت الشعوب لنفسها قدماً شريعة خيرا ، وما نشأت هذه الشريعة
الا باتفاق المحبة التي طمحت الى السيادة ، والمحبة التي رضيت بالامتثال

ان هوى المجموع اقدم من أهواء الفرد ، واذا كان خير الضمائر ما يمكن في
المجموع ، فان شرّها ما يتجلى في الفرد المعلن شخصيته

والحق ان الشخصية المراوغة التي لا محبة فيها ، الشخصية التي ترمي الى

الاستفادة من خير الاكثرية ، انما هي عنوان انحطاط المجموع لا مبدءاً
كحياته .

ما خلق الخير والشر في كل عصر الا المتهوسون المبدعون ، وما أضرم نارها
الا عاطفة الحب وعاطفة الغضب باسم الفضائل جمعاء !
لقد شاهد زارا كثيراً من الشعوب والبلدان فما رأى قوة على الأرض تفوق
قوة المتهوسين ، والقوة معنى لكلمتي الخير والشر
ما أشبه ما يستدعي التمجيد ويستوجب العقاب بالمسخ الهائل ، فمن له بسحق
هذا المسخ ، أيها الاخوة ؟ من سيشد بالأغلال على ما يُتْلَعُ هذا الحيوان من
آلاف الأعناق ؟

لقد بلغت الأهداف الألف عدداً إذ بلغ عدد الشعوب ألفاً ، فنحن بحاجة
الى قيد واحد لألف عنق ، لأننا بحاجة الى هدف واحد ، فالبشرية لم تعرف
حتى اليوم لها هدفاً ، ولكن اذا كانت الانسانية تسير ولا غاية لها ، أفليس ذلك
لقصورها وضلالها ؟

هكذا تكلم زارا ...

محبة القريب

انكم لتعطفون على القريب ، وتعبرون غن عطفكم بتزويق الكلام ، اما انا
فأقول لكم ان محبتكم للقريب إن هي الا اناية مضللة
انكم تلجأون للقريب هرباً من انفسكم ، وتريدون ان تعدوا هذا العمل
فضيلة ، وهل يخفى عليّ كنه تجردكم هذا ؟

ان المخاطب اقدم من المتكلم ، فالأول مقدس أما الثاني فلم يُقدّس بعد .
ذلك هو السبب في عطف الانسان على قربه

ان ما أشير به عليكم هو ان تنفروا من القريب لا أن تحبوه وذلك لتمكنوا
من محبة الانسان البعيد ، فان ما فوق محبة القريب محبة الانسان البعيد المنتظر
واني اضع فوق محبة الانسان محبة الاشياء والأشباح

ان الشَّبَح الذي يعدو أمامك ، يا صديقي ، هو اجل منك ، فليم لا تعيره
لحمك وعظمك ؟

لقد استولى الخوف عليكم فلذلك تنزعون الى القريب . لا قبل لكم

باحتمال انفسكم وما حبكم بالحب الكامل ، لذلك اراكم تطمحون الى إغواء قريبكم
لتمتعوا بضلاله

أعني ان تنفروا من جميع فئات الاقربين ومن جيرتهم ايضاً لتضطروا الى
ايجاد الصديق الذي يطفح قلبه بالاخلاص . انكم لتدعون شهوداً عند ما تريدون
ان تغدقوا الثناء على انفسكم ، واذا ما توصلتم الى تضليلهم ليحسنوا الظن بكم
تبدأون حينئذ باحسان الظن بانفسكم

ما من احدٍ يرتكب الكذب الا اذا تكلم ضد ضميره ، فأصدق الناس من
لا ضمير له يحول دون قوله الصدق . على هذه القاعدة تتكلمون عن انفسكم بين
الناس لتضللوهم في حقيقتكم

يقول المجنون في نفسه : (ان مخالطة الناس تفسد الاخلاق ، بل هي تفسد
بخاصة من لا اخلاق لهم)

ان منكم من يهرع الى جاره ليفتش عن نفسه ، ومنكم من يذهب اليه لينساها
انكم تسيئون محبة انفسكم ، لذلك يصبح افرادكم بمثابة سجنٍ لكم
ان الغائبين يؤدون ثمن حبكم للقريب ، لأن خمسةً يجتمعون منكم يقضون
دائماً على السادس الغائب

انني لا احب اعيادكم ، إذ رأيتها مليئة بالمثلين ، ورأيت النُظارة أبرع
منهم تمثيلاً

لا ادعوكم الى محبة القريب ، بل ادعوكم الى محبة الصديق . فليكن الصديق
لكم مظهر حبور الارض ، فتحسون بما ينبئكم بالانسان المتفوق
أوصيكم بالصديق يطفح قلبه اخلاصاً ، غير أن من يطمح الى الظفر بمثل هذا
القلب يجب عليه ان يكون كالاسفنجة قادراً على تشرب السائل المتدفق . أوصيكم
بالصديق الذي يحمل عالمًا في نفسه ، فهو الصديق المبدع الذي يسعه ان يقدم
لكم هذا العالم في كل حين ، فيعرض عليكم ما مرَّ به من عِبَر الحياة ، فتشهدون
كيف يتحوّل الشر الى خير ، وكيف تنتهي الصدف بكم الى غاياتكم

ليكن المستقبل والمقاصد البعيدة ماتصبو اليه في يومك ، فتحب في صديقتك
الانسان المتفوق ، وتضعه نصب عينيك كغاية لوجودك

لا أشير عليكم بمحبة القريب أيها الاخوة ، بل بمحبة الآتي البعيد
هكذا تكلم زارا ...

طرق المبدع

أتقصد العزلة يا أخي لتجد الطريق التي توصلك الى ممكن ذاتك ؟ إذن ، فقف قليلاً في تردد واصنع اليّ :

لقد قال القطيع : (مَنْ فَتَشَ فَقْدَ تَاهَ ، وَمَنْ انْزَلَ فَمَا أَمِنَ العِثَارَ)
وأنت قد عشت طويلاً بين هذا القطيع ، ولسوف يدوي صوته ملياً في داخلك . فاذا قلت له : — لقد تغير ضميري جانحاً عن ضميرك — فلن تكون الا شاكياً متألماً

ان اشتراكك بالشعور مع القطيع قد أورك هذا الألم ، وآخر وهج من هذا الضمير المشترك لا يزال يلهب فجيعتك فيجددها . ولكنك ترغب في اتباع هاتف آلامك لأنه يقودك الى التوغل في ذاتك ، فأين برهانك على حقك في الماضي اليها وعلى انك قادر على هذا السفر . أفأنت قوة جديدة وحق جديد ؟ أنت حركة ابتداء ؟ أنت عجلة تدور على ذاتها ؟ أبوسعك ان تجعل النجوم تدور حولك ؟

لَكُمْ من طموح يتحفز نحو الاعالي ، ولكم من طمع يرتعش في امانيه ، فاثبت لي انك لست من الطامحين الطامعين

ان كثيراً من ساميات الافكار لا تعمل الا عمل الأكر المنتفخة فلا تكاد تتضخم حتى يحكمها الضمور

انك تدعو نفسك حراً ، فقل لي ما هي الفكرة التي تقيمها مبدأ لك . ولا تكتفِ بقولك انك خلعت نيرك . فهل كنت يا ترى ذا حق بخلعة ؟ ان من الناس من يفقدون آخر منية لهم اذا هم انعتقوا من عبوديتهم

لا يهم زارا أن تقول له من أية عبودية تحررت ، فلتعلن له نظراتك الصافية الغاية التي تحررت من أجلها

هل بوسعك ان تسنّ لنفسك خيراً وشرها فترفع ارادتك شريعة تسود أعمالك ، أبوسعك ان تكون قاضياً على نفسك وان تكون منتقماً منها لشريعتك ؟ انه لأمرٌ مريع ان يبقى الانسان منفرداً مع مَنْ أقامه قاضياً على نفسه ومنتقماً منها بالشرعية التي أوجدها . ان مثل هذا الانسان ليذهب في الفضاء ذهاب الكوكب مقدوفاً الى فراغ الوحدة وصقيعها

إنك وقد أصبحت منفرداً لا تزال تتألم من المجتمع لأنك لم تطرح شجاعتك ولم يزل للأمل مرتعٌ فيك . غير أنك ستتعب من انفرادك يوماً ، اذ تلين قناتك وينحطم غرورك فلا تمالك من الهتاف قائلاً انني أصبحت وحيداً فريداً
سَيَأْتِي يومٌ تحتجب فيه عظمتك عنك فيلتصق صغارك فيك حتى لترتجف فرقاً من تساميك نفسه اذ يبدو امامك كشبح مرعب فتصرخ قائلاً : (كل شيء باطل)

ان في المنفرد عواطف تطمح الى القضاء عليه ، فان لم تنل منه نالت من نفسها وانتحرت . فهل انت مستعد لارتكاب جريمة القتل
أُتَعْرِف ، يا أخي ، معنى كلمة الاحتقار ، وما ستكون آلامك اذا أنت اردت العدل واضطرت الى الاقتصاص ممن يحتقرونك ؟

انك تُكره الكثيرين على تغيير اعتقادهم فيك ، فتثير حفيظتهم عليك ، لقد اقتربت منهم ثم تجاوزتهم ، فهم لذلك لن يغفروا لك
لقد تفوقت عليهم ، فكلمنا اعتليت فوقهم ازددت صغاراً في أعين الحاسدين . وما كره الناسُ أحداً كرههم للمخلق فوق السحاب

لقد وجب عليك ان تقول للناس : — انني اخترت ظلمكم نصيباً حقاً لي منكم لذلك عزٌ إنصافي عليكم . ان الناس يرشقون المنفرد بالمظالم والمثالب ، ولـكنك اذا كنت تريد أن تصبح كوكباً فعليك ان ترسل انوارك حتى الى الراشقين واحترس بخاصة من أهل الصلاح والعدل لأنهم يتوقون الى صلب من يوجد فضيلة لنفسه . انهم يكرهون المنفرد

واحترس أيضاً من السذاجة المتقية ، لأنها ترى الكفر في كل انسان لا يلتصق بها . وقد كان الساذجون في كل مكان يتوقون الى ايقاد النار واللعب بها كن على حذر من التطرف في حبك ، فان المنفرد يمد يده متسرعاً لمصافحة من يلتقي في طريقه . ان من الناس من يجب عليك الاتمد اليهم يداً ، بل مخلباً ناشباً غير ان اشد من تصادف من الاعداء خطراً انما هو انت وما يترصدك في المغاور والغابات الا نفسك .

لقد تبينت الطريق الذي يقودك الى ذاتك . ايها المنفرد ، وطريقك منبسط امامك وامام شياطينك السبعة . فستصبح منذ الآن جاحداً لنفسك ، ساحراً

مجنوناً مشككاً كافراً شريداً . فيجب عليك ان ترضى بالاحتراق بلهبك اذ لا
يمكنك ان تتجدد مالم تشتعل حتى تصبح رماداً .

انك تتبع طريق الخالق ، ايها المنفرد ، فأنت تفتش على إله لك تقيمه من
شياطينك السبعة . انك تتبع طريق العاشق ، ايها المنفرد ، وقد عشقت نفسك ،
فأنت لذلك تحتقرها احتقار العاشقين .

يريد العاشق ان يبتدع لأنه يحتقر ، وما له ان يدعى الحب اذا كان لم يبدأ
باحترار المحبوب .

توغل في عزلتك يا اخي . سِرْ فلا رفيق لك الا حبك وابداعك . انك
ستسير طويلاً قبل ان تقفوا العدالة اثرك متشاقلة متعارجة .

اذهب الى عزلتك فأني اشيّعك بدموعي يا اخي ، لأنني احب من يتفاني
ليوجد في فنائه من يتفوق عليه .
هكذا تكلم زارا . . .

الشيخة والفتاة

لماذا تدلج مخفياً في الغسق يازارا ؟ وما هو الذي تخفيه بكل احتراص تحت
ردائك ؟ أكنز وُهْبته أم طفل رزقه ؟ والى اين تتجه على طريق اللصوص
يا صديق الاشرار ؟

فأجاب زارا : — والحق يا اخي ، ان ما احمل هو كنز وُهْبته ، فهو حقيقة
صغيرة طائشة كالطفل ، ولولا انني كمت فيها لصاحت بملء شديها .
بينما كنت اسير اليوم منفرداً في طريقي عند الغروب ، التقيت بشيخة
ناجتي قائلة : —

لقد كلنا زارا مراراً نحن النساء ، ولكنه لم يتكلم عنا مرة واحدة .

قلت لها : — يجب الا يتكلم الرجل عن النساء الا للرجال .

فقلت : — لك ان تتكلم امامي عن النساء لأنني بلغت من العمر اُردله فلن

تستقر اقوالك في ذهني .

وقبلت رجاء المرأة العجوز فقلت لها : — كل ما في المرأة لغزٌ ، وليس لهذا

اللغز الا مفتاح واحد وهو كلمة (الحبَل)

ليس الرجل للمرأة الا وسيلة ، اما غايتها فهي الولد ، ولكن ما تكون المرأة

للرجل يأتري ؟ ان الرجل الحقيقي يطلب امرين : المخاطرة واللعب ، وذلك ما يدعوهُ الى طلب المرأة ، فهي اخطر الالعب
خُلِقَ الرجل للحرب ، وخلقت المرأة ليسكن الرجل اليها ، وما عدا ذلك
جُنُونٌ ، ولا يجب المحارب الثرة اذا تناهت حلاوتها ، فهو لذلك يتوق الى المرأة
لانه يستطعم المرارة في اشد النساء حلاوة
تفهم المرأة الطفل باكثر مما يفهمه الرجل ، غير ان الرجل اقرب الى خُلُقِ
الطفل من المرأة ، ففي كل رجل حقيقي يحتجب طفل يتوق الى اللعب . فلتعمل
النساء على اكتشاف الطفل في الرجل

لتكن المرأة لعبة صغيرة طاهرة كالماس تشعُ فيها فضائل العالم المنتظر
ليتوهج الكوكب السني في حبك ايتها المرأة ، وليهتف شوقك قائلاً :
لاضعن للعالم الانسان المتفوق . ليكن في حبك استبسال تتسلحين به لاقتحام
من يثير الوجل في قلبك . ضعي شرفك في حبك ، وما تعرف المرأة من الشرف
الا يسيراً ، غير ان الشرف في حبك هو الخلق الذي يجعلك تبادلين المحبة باكثر
منها فلا تنحدرين الى المقام الثاني

ليحذر الرجل المرأة عند ما يستولي الحب عليها ، فهي تضحي بكل شيء في
سبيل حبها ، اذ تضحج في نظرها قيَمُ الاشياء كلها تجاه قيمته ، ليحذر الرجل
المرأة عند ما تساورها البغضاء لانه اذا كان قلب الرجل مكناً للقسوة ، فقلب
المرأة مكن للشر

الى من توجه المرأة اشد بغضاًها ؟
والجواب في قول الحديد للقوة الجاذبة :
— ان اشد كرهى موجه اليك لانك تجتذنين وليس فيك من طاقة تربط
على ما تجتذنين

ان سعادة الرجل تابعة لارادته ، اما سعادة المرأة فتوقفة على ارادة الرجل
تقول المرأة وقد استسلمت لحبها العميم : لقد اكتمل العالم
ولا بد لها ان تخضع وان ترى اعماقاً على سطحها ، لان روح المرأة سطحية فهي
صفحة ماء متماوجة تداعبها الرياح ، في حين ان روح الرجل اعماق تزجرامواجها
في المغاور السحيقة القرار ، وقد تشعر المرأة بقوة الرجل ولكنها لن تفهمها
عندئذ قالت العجوز : لقد تكلم زارا عن اشياء طريفة اجدر بسماعها من

النساء مَنْ لَمْ يَزَلْنَ فِي مَقْتَبِلِ الْعُمُرِ . وَمَنْ الْغَرِيبُ أَنْ يَنْطِقَ زَارَا بِالْحَقِّ عَنْ
النساء وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا . افْتَكُونِ إِصَابَتَهُ نَاشِئَةً عَنْ أَنْ لَيْسَ فِي حَالَةِ
الْمَرْأَةِ شَيْءٌ مُمْتَنِعٌ

وَالْآنَ اصْنَعِ إِلَيَّ يَا زَارَا ، فَأَنْتِي سَأُعْلِنُ لَكَ حَقِيقَةَ صَغِيرَةٍ مَكْفَأَةٌ عَلَى مَا قُلْتَ ،
وَكَبِيرٍ سَنِي يُجِيزُ لِي أَنْ أَعْلِنَهَا لَكَ ، فَاسْتَرِعِيهَا وَاطْبِقِي شَفَتَيْكَ عَلَيْهَا لئَلَّا يَتَعَالَى
صَرَخُهَا مِنْ فَمِكَ

فَقُلْتَ هَاتِيهَا ، هَذِهِ الْحَقِيقَةُ الصَّغِيرَةُ آيَتُهَا الْمَرْأَةُ . وَهَذَا مَا قَالَتْ الْعَجُوزُ :
— إِذَا مَا ذَهَبْتَ إِلَى النِّسَاءِ فَلَا تَنْسَ السُّوْطَ
هَكَذَا تَكَلَّمَ زَارَا . . .

لِسَعَةِ الْإَفْعَى

وَاسْتَسْلَمَ زَارَا لِلْكَرَى يَوْمًا تَحْتَ شَجَرَةِ التِّينِ ، وَكَانَ الْحَرُّ شَدِيدًا فَسَتَرَ
وَجْهَهُ بِسَاعِدِهِ فَأَتَتْ أَفْعَى وَلَسَعَتْهُ فِي عُنُقِهِ فَصَرَخَ مَتَأَلِّمًا وَانْتَفَضَ مُحْدَقًا بِهَا
فَعَرَفَتْ عَيْنِيهِ وَتَمَلَّكَتْ لِتَنْصَرِفَ ، فَقَالَ لَهَا زَارَا : — « لَا تَذْهَبِي قَبْلَ أَنْ أَقْدِمَ
لَكَ شُكْرِي ، لِأَنَّكَ نَبَهْتَنِي فِي الزَّمَنِ الْمُنَاسِبِ لِأَقُومَ بِسَفَرٍ بَعِيدٍ »

فَأَجَابَتْ الْإَفْعَى وَفِي صَوْتِهَا غَنَّةٌ الْأَسَى : — بَلْ سَفَرُكَ قَرِيبٌ فَزُفَا فِي قَاتِلِ
وَإِبْتَسَمَ زَارَا وَقَالَ : وَهَلْ لَزِمَافِ الْإَفْعَى أَنْ يَقْتُلَ تَنْيُنًا ؟ خُذِي سَمَّكَ ، أَنْتِي
أَعْيَدُهُ إِلَيْكَ فَلَسْتُ مِنَ الْغَنَى عَلَى مَا يُسَمِّحُ لَكَ بِتَقْدِيمِهِ هَدِيَّةً لِي

وَسَارَعَتْ الْإَفْعَى إِلَى الْإِلْتِفَافِ حَوْلَ عُنُقِ زَارَا تَلْحَسُ جِرْحَهُ
وَقَصَّ زَارَا هَذِهِ الْحَادِثَةَ يَوْمًا عَلَى اتِّبَاعِهِ فَقَالُوا لَهُ : وَمَا هُوَ الْمَغْزَى الْأَدَبِيُّ
لِهَذِهِ الْقِصَّةِ ، فَاجَابَ : — أَنْ أَهْلَ الصَّلَاحِ وَالْعَدْلِ يَدْعُونَنِي هَدَامًا لِلْمُبَادِيءِ
الْأَدَبِيَّةِ فَقِصَّتِي لَا تَتَّفَقُ وَهَذِهِ الْمُبَادِيءُ

إِذَا كَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَلَا تَقَابِلُوا شَرَّهُ بِالْخَيْرِ لِأَنَّهُ يَسْتَصْغِرُ بِذَلِكَ نَفْسَهُ ، بَلْ
أَكْدُوا لَهُ أَنَّهُ أَحْسَنُ بِعَمَلِهِ إِلَيْكُمْ ، وَالْأَجْدَرُ بِكُمْ أَلَّا تُحْتَقَرُوا أَحَدًا ، تَظَاهَرُوا
بِالْغَضَبِ ، وَإِذَا وَجَّهْتَ اللَّعْنَةَ إِلَيْكُمْ ، فَلَا يَسْرُنِي أَنْ تَمْنَحُوا الْبَرَكَهَ ، أَنْ مَا يَسْرُنِي
هُوَ أَلَّا تَأْبُوا اللَّعْنَ أَنْتُمْ أَيْضًا ، وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ بِكُمْ مَظْلَمَةٌ كَبِيرَةٌ فَبَادِلُوا الْمُعْتَدِي
مِثْلَهَا وَارْفُقُوا بِخَمْسِ مَظَالِمٍ صَغِيرَى ، لِأَنَّهُ مَا مِنْ مَشْهَدٍ أَشَدَّ قُبْحًا مِنْ مَشْهَدٍ
مَنْ لَا يَخْضَعُ إِلَّا لِلظُّلْمِ

أن اقتسام المظالم بالتساوي إنما هو مساواة بالحق فهل كنتم تعرفون هذا من قبل ؟ من يقدر على إرهاب الناس بظلمه فعليه أن يحتمل هو الظلم أيضاً لأن ينتقم الإنسان قليلاً ، فذلك أدنى إلى المعروف وليس من الإنسانية أن يترفع المظلوم عن الانتقام . انني لأنفر من اقتصاصكم إذا لم يكن عبارة عن حق تؤدونه للمعتدي ، فإن من يسند الخطأ إلى نفسه لأنبل ممن يعلنون في كل آن أن الحق في جانبهم ، وأخص من هؤلاء من كانوا حقيقة على صواب . أن اغنياء الروح لا يفعلون هذا

انني أكره عدالتكم الباردة ، فإن في عيون قضاتكم ازورار الجلاّد ولمعان سيفه . فإن العدالة تلمح في عينيها الصفاء . أوجدوا لي الحب الذي لا يكتفي بحمل كل انواع العقاب ، بل يحمل ايضاً جميع الخطايا

أوجدوا لي العدل الذي يبريء الجميع ليحكم على الإنسان الذي يدين أتريدون أن اذهب إلى أبعد مما قلت فأعلن لكم أن الكذب نفسه يصبح محبة للإنسانية في نفس من يتوق إلى إقامة العدل ؟

ولكن هل بوسعي أن اقيم العدل بكل اخلاص ؟ وكيف يمكنني أن أتوصل إلى اعطاء كل ذي حق حقه . اذن ، لا كتفين بأن اعطي اصحاب الحق حتي الخاص

واخيراً ، حاذروا ظلم المنفرد ، اذ ليس بوسعه أن ينسى وأن يبادل الظالمين ظلماً ، وما المنفرد إلا بئر عميقة يسهل على من يشاء أن يلقي فيها حجراً . ولكن من يقدر أن يستخرج هذا الحجر اذا بلغ قعر البئر السحيق ؟
احترسوا من اهانة المنفرد ، واذا انتم حقّرتموه فاجهزوا عليه بقتله
هكذا تكلم زارا . . .

الطفل والزواج

لي سؤال اخصّك به لأسبر اعماق روحك يا اخي :
— أنت في مستقبل العمر وتتمنى أن يكون لك زوجة وولد ، ولكن قل لي هل أنت الرجل الذي يحق له هذا التمني ؟ أنت الظافر المنتصر على نفسه ، الحاكم على حواسه ، السائد على فضائله ؟ أم أن تمنيك هذا ليس إلا شهوة حيوان أو خشية منفرد أو اضطراب من قام النزاع بينه وبين نفسه ؟

ان ما اريده منك هو ان تتوق بانتصارك وحرثتك الى التجدد بالولد . اذ عليك ان تقيم الانصباب الى ما فوق مستوالك . وهل بوسعك ان تفعل اذا لم تكن متين البنية من رأسك الى اخمص قدميك ؟

ليس عليك ان ترسل سلاتك الى الامام فحسب ، بل عليك بخاصة ان ترفعها الى ما فوق . فليكن عملك في حقل الزواج منصّباً الى هذه الغاية

عليك ان توجد جسداً جوهره انقى من جوهر جسدك ليكون حركة اولى وعجلة تدور لنفسها على محورها ، فواجبك اذاً انما هو ابداع من يبدع ما الزواج في عرفي الا اتحاد ارادتين لايجاد فرد يفوق من كانا علة وجوده . فالزواج حرمة متبادلة ترسو على احترام هذه الارادة

ليكن هذا معنى زواجك وحقيقته ، اما ما يدعوه الدخلاء الاغبياء زواجاً فأمر احرار في تعريفه ، فما هو الا مسكنة روحية يتقاسمها اثنان ، ودنس يتمرغ به اثنان ؟ ولذة بأسة تتحكم في اثنين . ولكن الدخلاء يرون في مثل هذا الزواج رباطاً عقدته السماء

وما انا بالمرتضى بمثل هذه السماء ، سماء الدخلاء اطبقت شبا كها عليهم ، تباً لها ، وبسحقاً لمثل هذا الاله الذي يتقدم متراجعاً ليبارك اثنين لم يجمع هو بينهما لا يضحكنكم هذا الزواج ، فكم من طفل من حقه ان يبكي على ابويه ! رأيت رجلاً وقوراً فحسبته بالغاً من النضوج ما يدرك به معنى الارض ، ولكنني رأيت امرأته بعد ذلك فلاحت لي الارض كأنها مأوى المجانين . اود لو تميد الارض بي عند ما ارى رجلاً فاضلاً يتخذ له زوجة حمقاء

من الناس من يتجرد كالا بطل سعيّاً وراء الحقائق ، فلا يلبث حتى يصطاد رباطاً مزيفاً يدعوه زواجاً . ومنهم من اشتهر بحذره في علاقاته وبصرامته في اختياره ، فاذا هو بين ليلة وضحاها قد افسد حياته ووقف يدعو هذا الافساد زواجاً . ومنهم ايضاً من كان يفتش عن خادمة لها فضائل الملائكة ، فاذا هو ينقلب فجأة خادماً لامرأة وقد حق عليه ان يتصفى هو بالفضائل الملائكية

فتشت في كل مكان فما رأيت الا مشتريين يقلّبون السلع وعيونهم تتدفق مكرراً ، ولكن امكر هؤلاء الناس لا يتوصل في آخر الامر الا الى ابتياع هرّة يدسها في جلبابه

ان ما تدعونه عشقاً انما هو جنون يتتالي نوبة بعد نوبة حتى يجيء زواجكم

خاتماً هذه الحماقات بالجماعة المستقرة الكبرى . ويا ليت حب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل كانا إشفاقاً يتبادلان إلهان يتألمان ، ولكن هذا الحب لا يتجلى في الغالب الا تفاهماً بين احساس حيوانين . وما خير الحب لو تعلمون الا تحوّل واضطرام في ألم وخشوع ، ان هو الا المشعل ينير امامكم مسالك الاعتلاء . وسيأتي يوم يتجه فيه حبكم الى مقر ابعد وارفع من مستقر ذاتكم ، لقد بدأتم بتعلم الحب ، لذلك ترتشفون الآن المرارة الطافية كالحبّ على كأسه ان في كأس كل حب اطلاقاً وحتى في كأس ارقى حب مرارة لا بد لكم من تجرعها ، وهذه المرارة هي التي تنبّه فيكم الشوق الى الانسان المتفوق وتلهب فيكم الظم الىه ، ايها المبدعون . اذا كان هذا الظم هو الذي يدفع بك الى طلب الزواج يا اخي ، واذا كنت تشعر بشوقك يندفع كالسهم نحو الانسان المتفوق ، فاني اقدس ارادتك واقدس زواجك هكذا تكلم زارا . . .

تخير الموت

كثيرٌ من يتأخرون في موتهم ، وكثير من يبكّرون . فاذا قال قائل للناس بالموت في الزمن المناسب ، رفعوا عقيرتهم مستغربين . وزارا يعلم الناس ان يموتوا في الزمن المناسب . ولكن انى لمن يعرف الحياة ان يتخير الموت في اوانه ؟

اذا كان خيراً للدخلاء على الحياة لو انهم لم يولدوا . ولكن هؤلاء الدخلاء يريدون ان يولي الناس اهمية كبرى لموتهم ، وكم من نواة تباهي بانها كسرت وهي جوفاء

انهم يعلّقون اهمية على الموت لانهم ما عرفوا بهجة الموت ، فالناس لم يعرفوا حتى اليوم كيف يقدّسون أبهج الأعياد . ولسوف انبثكم بالموت الذي يقدّس ، الموت الذي يدفع الأحياء ويجتذبهم بحوافزه وآماله . ان من أكمل عمله يموت ظافراً وحوله من يحفزهم الأمل وتنطوي فيهم الأمانى . تعلموا أن تموتوا هكذا ، ولكن أعلموا أن لاظفر لمن يموت إذا هو لم يبارك ما أقسم الأحياء باتمامه

تلك هي الميتة الفضلى ، تليها في المراتب ميتة من يسقط في المعركة وهو

ينشر عليها عظمة روحه . غير أن ما يحتقره المجاهدون والظافرون على السواء إنما هو ميّتهم الشوهاء التي تزحف لصاً وتتقدم آمراً مطاعاً
ما أجل ميتتي إذا أنا تخيرتها فجاءتني لأنني اطلبها
ولكن متى يجدر بالإنسان ان يطلب الموت ؟

إن من يتجه الى مقصد في الحياة وله وريث ، وجب عليه ان يتمنى الموت
في الزمن المناسب لغايته ولوريثه ، لأنه يأنف حرمة لهما من ان يلقي بالأكاليل
الذابلة على هيكل الحياة

انني لا اريد ان احبك الخيوط وانسحب الى الوراء كمن يفتلون الحبال .
من الناس من لا يتجاوزون بأعمارهم الحد اللائق بالحقائق والظفر ، وخلق
بأنهم المجرد عن اسنانه الا يتناول ببيانه جميع الحقائق . على الطامحين إلى الظفر
ان يودّعوا الأعمار في الزمن المناسب ليعمرنوا على فن الرحيل عن الدنيا في الزمن
المناسب ايضاً ، ومن واجب المرء ان يتوقف عن عرض نفسه للأكلين عندما
يكفّون عن تذوقها ، ولا يعرف هذه الحقيقة إلا من يود الاحتفاظ بمحبة
من حوله .

ولكن من الأثمار كالتفاح من تقضي طبيعته الحامضة عليه ان ينتظر
النضوج الى آخر ايام الخريف ، فاذا هو مائل للنظر باصفرار الشيخوخة وتجاويز
أساريها .

ومن الناس من يدب الهرم الى قلوبهم أولاً ، ومنهم من يدب الهرم الى
عقولهم ، ومنهم من يشيخون في ربيع الحياة ، غير ان من يبلغ الشباب متأخراً
يحتفظ بشبابه امداً طويلاً .

ومن الناس من ضلوا السبيل في حياتهم ، فاضاعوا عمرهم ، فعلى هؤلاء ان
ان يعملوا على بلوغ التوفيق في موتهم على الأقل .

وهناك اثمار لا تنضج لأنها تنهرا في الصيف ولكنها تبقى معلقة بأغصانها
لأن جنبها يصددها عن السقوط . وهكذا نرى في العالم اناساً يلتصقون التصاقاً
بأغصانهم ، فهل من عاصفة تهب على الشجرة لتسقط ما عليها من اثمار تنهرا ت
ورعى الدود قلبها ؟ ليتقدم دماء الموت العاجل وليهبوا كالعاصفة على دوحه
الحياة ، غير انني لا ارى غير دماء الموت البطيء يعطون بالصبر واحتمال كل
مصائب الارض .

انكم تدعون الى مكابرة الارض ومجالدتها ، ايها المجدفون والارض صابرة عليكم صبرها الجميل .

والحق ان ذلك العبراني الذي يمجده المبشرون بالموت البطيء قد مات قبل اوانه ، ولم يزل جم غفير يعتقد بان ميته المبكرة كانت مقدورة عليه وما كان هذا المسيح العبراني قد عرف غير دموع قومه واحزانهم وكيد اهل الصلاح والعدل ، لذلك راودته فجأة شهوة الفناء.

ولو انه بقي في الصحراء بعيداً عن اهل الصلاح والعدل لكان تعلم حب الحياة وحب الأرض ، ولكان تعلم الضحك ايضاً.

صدقوني ، ايها الاخوة ، ان المسيح قد مات قبل اوانه ، ولو انه بلغ العمر الذي بلغت ، لكان جحد تعاليمه ، وقد كان له من النبل مايكفيه لاقتحام العدول عنها ، ولكنه لم يبلغ النضوج ، ولم تبلغه المحبة في الشباب ، فكره الناس وكره الأرض . وهكذا بقيت روحه مثقلة ولم ينشر جناحه المهيض^(١)

ان في الرجل من الطفولة ما ليس في الشاب ، فالرجل الناضج اقل حزناً واقدر على فهم الحياة والموت ، لأنه يشعر بحريته للموت وبحريته في الموت ، وإذا امتنع عليه ان يثبت شيئاً انكره

حاذروا أن يكون موتكم تجديدًا على الأرض والانسان أيها الصحاب . تلك هي النعمة التي استجديها من وداعة روحكم

ليرسل فكركم وفضيلتكم آخر أشعثهما في احتضاركم كما ترسل الشمس الغاربة آخر انوارها على الأرض ، وإلا فان ميتتكم ستكون فاشلة . انني هكذا أريد

(١) يعترف زارا بان عيسى عرف دموع الشعب المظلوم وغطرسة من يدعون الصلاح والعدل ، فلذا يراد منه أن يعرف بعد ، وليس من قضية اجتماعية تخرج عن حدي دمة الضعيف وكيد المستقوين في الحياة

كان يريد زارا أن يبلغ عيسى ما بلغه هو من العمر ليجد تعاليمه ويطلق جناحي نفسه فيحب الانسان والأرض ، فهل بلغ أحد من مصلحي الانسانية « باعتبار القضية الاجتماعية مستقلة جدلاً عن المسألة الروحية » ما بلغه العبراني والعربي بعده من حب الانسانية والتضحيات في سبيل اصلاح الحياة

وهل لنيته أن يدعي أنه أتى بشيء جديد في فلسفته عند تصويره مبادئ الحياة ، أفليس كل ما أصاب فيه مستمداً مما أوحى الى رسل الله وانبياؤه الاطهار ، أفليس كل ما ضل فيه ناشئاً عن محاولته الاستغناء عن أنوار هذا الوحي ...

أن أموت ليزداد حبكم الأرض من أجل ، أيها الأصحاب . أريد أن أعود إلى
الأرض التي خلقت منها لأجد الراحة في أحضانها
لقد كان زارا يرمي إلى هدف وقد أطلق سهمه الآن فارموا إلى هذا الهدف
بعدي ، لأنني من أجلكم أطلقت سهمي الذهبي . فما أشتهي شيئاً إشتهائي أن
أراكم تطلقون سهامكم الذهبية أيضاً ، وسوف أبقى على الأرض قليلاً لأمتع
عيني بهذا المشهد ، فاغتنفروا لي هذا التخلف إلى حين .
هكذا تكلم زارا . . .

الفضيلة الواهبة

— ١ —

وبعد أن ودّع زارا مدينة (البقرة الملوّنة) التي شغف قلبه بها ، شيعه عدد
غفير ممن كانوا يدعون أنفسهم أتباعه حتى بلغوا إلى منعطف الطريق فقال زارا
انه يريد متابعة سيره وحده . فودّعه أتباعه وقدموا إليه عصا قبضتها من ذهب
بشكل أفعى ملتفة حول الشمس ، فسرّ زارا من هذه الهدية واتسكأ على العصا
قائلاً لا أتباعه :

— قولوا لي ، لماذا أصبح الذهب ذا قيمة ؟ أليس لأنه نادر ولا فائدة منه ،
ولأنه وديع في لمعانه ، ويبذل نفسه في كل حين ؟ لم يبلغ الذهب أسمى مراتب
الاشياء القيّمة إلا لأنه رمز لاسمى الفضائل ، فعين الواهب برّاقه كالذهب ، ووهج
الذهب رسول سلام بين النيران

إن أسمى الفضائل نادرة ولا نفع منها ، فهي تتوهج بنورها الهاديء ، وليس
بين الفضائل من يطاول فضيلة السخاء

والحق ، انني شاعر برغبتكم ، أيها الأصحاب ، فانكم تطمحون مثل طموحي
إلى الفضيلة الواهبة ، قائم تريدون ان تحولوا نفوسكم إلى هبات وعطايا ، وإلا
لكنتم أشبه بالهررة والذئاب . ولهذا تتعطشون إلى حشد جميع الكنوز لأنها
ظامئة ابداً إلى العطاء . انكم تجذبون كل ما حولكم ليتسرّب إلى داخلكم فينفجر
ينبوعكم بها كأنها هبة من محبتكم

ان المحبة السخية الواهبة تستحيل إلى لص يمد يده إلى جمع الاشياء القيّمة ،
وما ارى هذه الانانية إلا عملاً صالحاً مقدساً

غير ان هنالك انانية أخرى تدهورت الى ادنى دركات المسكنة في مجاعتها المتحكمة ابدأ فيها ، تلك هي الانانية التي تطمح الى السرقة في كل آن ، فهي انانية المرض بل هي الانانية المريضة ، تكدج كل شيء بنظرات اللص وبنهم الجائع ، فتزن لقبات الآكلين من ابناء النعمة وتدب ابدأ حول موائد الواهبين . وما مثل هذه الشهوة إلا عَرَضُ الداء الدفين ودليل الانحطاط الخفي ، وما الطموح الى السرقة بمثل هذه الانانية إلا نزعة من نزعات الجسوم العلية

أي شيء نراه اقبح الاشياء ، ايها الاخوة ، أفليس الانحطاط اقبحها ؟ وهل يسعكم إلا ان تحكموا بالانحطاط مجتمع لا اثر لروح السخاء والعطاء فيه

ان سبيلنا يتجه الى الاعالي ، وما نقصده انما هو الارتقاء من نوع الى نوع ، لذلك نرتعش عند ما نسمع الانحطاط يهتف قائلاً : (لي كل شيء) وهل روحنا الا رمز لجسدنا وهي تطمح الى الاعتلاء ، وهل الصفات التي ندعوها فضيلة الا عبارة عن هذه الرموز عينها ؟

ان الجسد يقطع مسافات التاريخ بكفاحه ، ولكن ما تكون الروح من الجسد يا ترى إن لم تكن المزيغ لكفاح الجسد وانتصاراته ؟ ما الجسد الا الصوت ، وما الروح الا الصدى الناجم عنه والتابع له . ليست الكلمات الموضوعة للدلالة على الخير والشر سوى رموز فهي تشير الى الامور ولا تعبر عنها ولا يطلب المعرفة فيها ومنها الا المجانين

انتبهوا ، ايها الاخوة ، الى الزمن الذي يطمح فكركم فيه الى البيان بالرموز لأن في هذا الحين تتكوّن الفضيلة فيكم ، وعندئذ يُبعث جسدكم ويتجه الى الاعالي مجتذباً عقلكم من سكونه ليدفع به الى مراحل الابداع حتى اذا ما سار عليها عرف قيمة الاشياء وأحب فاجاد في كل اعماله

في الزمن الذي يختلج فيه قلبكم تتكوّن فضيلتكم لأن هذا القلب يفيض باختلاجه كالنهر العظيم فيغمر القائمين على ضفافه بالبركة كما يهددهم بأشد الأخطار

انما تنشأ فضيلتكم عند ما يعجز المدح والذم عن بلوغ شعوركم ، فتطمح إرادة الرجولة فيكم الى السيادة على كل شيء
انما تنشأ فضيلتكم عند ما تحتقرون النعم والفراش الوثير وعندما لا تجدون راحة الا بعيداً عن مواطن الراحة

انما تنشأ فضيلتكم عند ما تنصب ارادتكم على مقصد واحد ، وعندما يصبح
هذا التحول في آلامكم ضرورة لا يسعكم التحول عنها
أفليس هذا شكلاً جديداً للخير والشر ؟ أفما تسمعون بهذا القول خير ينبوع
العميق الذي غربت مسالكه من قبل عنكم ؟
انها لفضيلة جديدة تمنح الانسان قوة وتبعث فيه عزماً ، هذه الفكرة
المتحركة في روح بلغت الحكمة لانها شمس مذهب التفت عليها أفعى الحكمة

— ٢ —

وصمت زارا مرسلًا نظرات الحب الى اتباعه ، ثم ارتفع صوته بنبرات
جديدة قائلاً : — اخلصوا للارض ، يا إخوتي ، بكل قوى فضائلكم . لتكن
محبتكم الواهبة وتكن معرفتكم خادمتين لروح الارض ، اني اطلب هذا
متوسلاً

لا تدعوا فضيلتكم تنسلخ عن حقائق الارض لتطير باجنحتها ضاربةً أسوار
الآبدية ، ولكم ضللت من فضيلة من قبل على هذا السبيل
ارجعوا الفضيلة الضالة كما رجعت بها انا الى مرتعها في الارض . عودوا بها
الى الجسد والى الحياة لتنفخ في الارض روحها ، روحاً بشرية
لقد تاه العقل وتاهت الفضيلة فخدعتها آلاف الامور ، ولما يزل هذا الجنون
يتسلط على جسدنا حتى اصبح جزءاً منه فتحول فيه الى ارادة
لقد قام العقل وقامت الفضيلة معه بتجارب عديدة فضلاً على ألف سبيل ،
وهكذا أصبح الانسان عبارة عن تجارب ومحاولات ألصقت بنا الجهل والضلال .
وليس ما استقر فينا من التجارب حكمة الاجيال فحسب ، بل جنونها ايضاً .
ولكم يتعرّض الوارثون الى اخطار
اننا لم نزل نصارع جبار الصدف ، ولم يزل العتة سائداً على الانسانية حتى
اليوم

ليكن عقلكم وفضياتكم بمثابة روح للأرض وعقل لها ، أيها الاخوة ،
فتجدد بكم قيم الأشياء جميعها ، من أجل هذا وجب عليكم ان تبدعوا
إن الجسد يطهر بالمعرفة ، فيرتفع بمرانه على العلم ، لان من يطلب الحكمة
يطهر جميع غرائزه ، ومن ارتقى فقد ادخل المسرة في نفسه

— ٦٣ —

أَعْنِ نَفْسَكَ ، أَيُّهَا الطَّبِيبُ ، لِتَتِمَكَّنَ مِنْ إِعَانَةِ مَرِيضِكَ . إِنْ خَيْرَ مَا تَبْذُلُهُ
مِنْ مَعُونَةٍ لِهَذَا الْمَرِيضِ هُوَ أَنْ يَرَى بِعَيْنِهِ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى شِفَاءِ نَفْسِكَ
إِنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ السَّبِيلِ مَا لَمْ تَطَّأْهَا قَدَمٌ بَعْدَ ، فَمَا أَكْثَرَ مَجَاهِلَهَا وَمَا أَكْثَرَ
خَفَايَاهَا !!

اسْهَرُوا وَانْتَبِهُوا أَيُّهَا الْمُنْفَرِدُونَ لِأَنَّ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ تَهْبٌ نَسَمَاتٍ سَرِيَةٍ حَامِلَةٍ
بِشَأْرٍ لَا تَقْرَعُ إِلَّا الْأَذَانَ الْمَرْهَفَةَ
أَنْكُمْ فِي عِزْلَةٍ عَنِ الْعَالَمِ ، أَيُّهَا الْمُنْفَرِدُونَ ، وَلَكِنْكُمْ سَتَصْبِحُونَ شُعْبًا فِي آتِي
الزَّمَانِ ، وَمِنْكُمْ سَيَقُومُ الشَّعْبُ الْمُخْتَارُ لِأَنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ . وَمِنْ هَذَا
الشَّعْبِ سَيُولَدُ الْإِنْسَانُ الْمُتَفَوِّقُ
وَالْحَقُّ أَنَّ الْأَرْضَ سَتَصْبِحُ يَوْمًا مُسْتَشْفَى لِلْأَعْلَاءِ ، فَانْ فِي نَشْرِهَا عَبِيرًا
جَدِيدًا هُوَ عَبِيرُ الْإِخْلَاصِ وَالْأَمَلِ الْجَدِيدِ

— ٣ —

وَسَكَتَ زَارَا كَمَنْ يَقِفُ عِنْدَ كَلِمَةٍ تَتَلَجَّلِجُ فِي فَمِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ قَلَّبَ عَصَاهُ طَوِيلًا
بَيْنَ يَدَيْهِ ، أَطْلَقَ صَوْتَهُ وَقَدْ تَغَيَّرَتْ نَبْرَاتُهُ فَقَالَ :
— سَأَذْهَبُ وَحْدِي الْآنَ ، أَيُّهَا الصَّحَابُ ، وَأَنْتُمْ أَيْضًا سَتَذْهَبُونَ بَعْدِي
وَحَدِّكُمْ لِأَنِّي هَكَذَا أَرِيدُ
هَذِهِ نَصِيحَتِي إِلَيْكُمْ ، ابْتَعدُوا عَنِّي وَقِفُوا مَوْقِفَ الدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ تَجَاهِي ،
بَلْ أَذْهَبُوا إِلَى أَيْدِي مَنْ هَذَا ، أَخْجَلُوا مِنْ أَنْتَسَابِكُمْ إِلَيَّ فَلَقَدْ أَكُونُ لَكُمْ
خَادِعًا

عَلَى مَنْ يَطْلُبُ الْحِكْمَةَ إِلَّا يَتَعَلَّمَ حُبَّ أَعْدَائِهِ فَحَسْبُ بَلْ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يَتَعَلَّمَ
بَغْضَ أَصْدِقَائِهِ . وَمَا يَعْتَرِفُ التَّامِيزَ اعْتِرَافًا تَامًا بِفَضْلِ اسْتَاذِهِ إِذَا هُوَ بَقِيَ أَبَدًا لَهُ
تَلْمِيزًا . لِمَاذَا لَا تَرِيدُونَ أَنْ تَحْطُمُوا تَاجِي ؟

أَنْكُمْ تَحُوطُونَنِي بِالْإِجْلَالِ ، وَلَكِنْ مَا هِيَ السَّكَارَةُ الَّتِي تَتَوَقَّعُونَهَا مِنْ
إِعْرَاضِكُمْ عَنِّي ، إِنْ فِي رَفْعِ الْأَنْصَابِ لَخَطَرًا فَاحْتَرَسُوا مِنْ أَنْ يَسْقُطَ عَلَيْكُمُ التَّمَثَالُ
الْمَنْصُوبُ فَيَقْضَى عَلَيْكُمْ

تَقُولُونَ أَنْكُمْ تَوَافُونَ زَارَا ، وَلَكِنْ أَيْةُ أَهْمِيَّةٍ لَهُ ؟ تَقُولُونَ أَنْكُمْ مُؤْمِنُونَ ،
وَلَكِنْ مَا أَهْمِيَّةُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ مَا كَانَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَتَشَ عَنْ نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ

— ٦٤ —

وجدتموني ، وهكذا جميع المؤمنين ، فليس الايمان شيئاً عظيماً . لذلك آمركم
الآن ان تضيّعوني لتجدوا انفسكم ، ولن اعود اليكم الا عند ما تكونون
جحدتموني جميعكم

والحق ، يا اخوتي ، انني في ذلك الحين ، سافتش عن خرافي الضلالة بعين اخرى
فأبذل لكم حباً غير هذا الحب

سيأتي يوم تصيرون فيه اصحاباً لي اذا ما وحد بينكم الامل الواحد ، عندئذ
سارغب في الإقامة بينكم للمرة الثالثة للاحتفاء بانوار الهاجرة العظمى
وستبلغ الشمس الهاجرة عند ما يصل الناس الى منتصف طريقهم بين الحيوان
والانسان المتفوق ، وعند ما يرون املهم الاسمى على منتهى السبيل الذي يقودهم
الى الفجر الجديد

في ذلك الحين يتوارى من يسير الى الجهة الثانية وهو يبارك نفسه إذ ترتفع
شمس معرفته لتتكبد الهاجرة

لقد مات جميع الآلهة ، فلم يعد لنا من امل إلا ظهور الانسان المتفوق .
فلتكن هذه إرادتنا الأخيرة عند ما تبلغ الشمس الهاجرة
هكذا تكلم زارا . . .

هكذا تكلم زرادشت

الجزء الثاني

« وان اعود اليكم الا عند ما تكونون
« جحدموني جميعكم
« والحق، يا اخوتي، انني في ذلك الحين
« سأفتش عن خرافي الضالة بعين
« اخرى فابذل لكم حبا غير هذا الحب »
زرادشت

الفضيلة الواهبة الجزء الاول صفحة ٦٥

الطفل حامل المرأة

ورجع زارا الى الجبال ، الى عِزلة كهفه ليحتجب عن الناس كالزارع القى بذوره في اثلام ارضه ويات يتوقع نبتها ، ولكنه ما لبث ان حنت جوارحه الى احبائه اذ كان عليه ان يمنحهم بعد كثيراً من الهبات واصعب ما يلقي الحب اضطراره الى قبض يده اجابة لداعي محبته وتقادياً للمنة في عطائه ومرت على المنفرد الشهور والأعوام وحكمته تزداد نمواً فتزيده الماء باتساع آفاقها

. وافاق يوماً ، من نومه قبل انفلاق الفجر واستغرق في تفكيره وهو ممدد على فراشه وتساءل قائلاً :

— لماذا ارعيني هذا الحلم حتى استفتقت منه مذعوراً ؟ رأيت كأن ولداً « يحمل امرأة » اقترب مني وهو يقول :
— انظر في هذه المرأة يا زارا

وما نظرت الى المرأة حتى صرخت وخفق قايي خفوقاً شديداً . لأن ما انعكس لي في المرأة لم يكن وجهي بل وجهاً تقطبت اساريه بضحكة شيطان ساخر

والحق ما يفوتني تعبير هذا الحلم وإدراك ما نُبِئت اليه فان تعاليمي مشرفة على خطر ، والزوان يريد ان ينتحل صفات الحنطة . لقد استأسد اعدائي فشوهوا تعاليمي حتى اصبحت اتباعي ينجلون مما وهبتهم
لقد فقدت صحي وآن لي ان افتش عمّن فقدت

وانتفض زارا لا كمن استولى الذعر عليه بل كأخوذ برؤى وكشاعر هزّه شيطانه . فوجم نسرته وافعوانه وحدّقا بوجهه وقد لاحت بواذر السعادة عليه كتباشير الفجر . فقال لها :

— ماذا حدث لي ؟ انما تريان انني تغيرت ؟ انما تحسان ان الغبطة قد نزلت عليّ كأنها عصفات الرياح ؟

لقد جنّ شعوري بهذه السعادة فلن يسلم بياني من اختلال هذا الشعور ،
ان سعادتي لم تزل في حداتها فتذرعاً بالصبر معي عليها
لقد اوجعتني سعادتي فليكن أساتي كل من ارهقتهم الاوجاع
ان في وسعي الآن ان انحدر الى مقر صحي والى مقر أعدائي فقد اصبح
زاراً قادراً على استطراد القول والاحسان الى من يحب
لقد آن لحبي ان يتدفق كالنهر يندفع من الاعالي الى الاعماق ، ويتجه من
المشرق الى المغرب

ان نفسي تندفع مرغية مزبدة في الوديان متملصة من الجبال الصامته نصخب
فوقها عواصف الآلام . ولطالما تعللت بالصبر وعلقت ابصاري على بعيد الآفاق ،
لقد ارهقتني العزلة فما أطبق السكوت بعد
اصبحت وكأني بأجمعي فمّ أو هدير جدول يتحدّر من شامخات الصخور .
اريد ان اقذف بكلماتي الى الاغوار . فيجري نهر حي في المفاوز البعيدة ، ولن
يفضل هذا النهر سبيله الى مصبه في البحار
ان في داخلي بحيرة وحيدة قانعة بنفسها ، غير ان نهر محبتي يجتذبها في مسيره
ليقطع معها السيول ويتراعى واياها في لجّة البحر
انني اتبع مسالك لم اعرفها من قبل فألهمت بياناً « جديداً » بعد ان اتعبتني
اللهجات القديمة التي ترهق كل المبدعين وقد امتنع على فكري ان يقتني رواشم
النعال المقطعة

ما من لغة إلا واراها بطيئة تقصر عن مجازاة بياني
سأقفز الى صهوتك ايتها العاصفة فألهبك انت ايضاً بسوط سخريتي
اريد ان اقطع اجواء البحار كهتفة مسرة وجبور الى ان استقر على الجزائر
السعيدة حيث يقيم احبابي ، وبينهم أعدائي ايضاً ، لشدّ ما احب الآن جميع
من يتسنى لي ان اوجه اليهم الكلام . وسيكون لهؤلاء الاعداء ايضاً قسطهم
في ايجاد غبطتي

عندما انحفز لاعتلاء اشد جيادي جموحاً لا اجد لي معيناً اصدق من
رحمي منكاً ارتفع عليه

هو ربحي اهدد به اعدائي ، ولكم يستحقون ثنائي اذا ما تمكنت من طرح
هذا الرمح من يدي :

لقد طال اصطبار غيومي بين قهقهة الرعود وقد آن لي ان ابرشق الاعماق
بقذائف بردي

ان صدري سيتعاضم بانتفاخه حتى يزفر بالعاصفة الهائلة على الشاغحات وهكذا
سأفرج عنه

ان سعادي وحرיתי سيندفعان اندفاع العواصف وليكني اتمنى لو يحسب
اعدائي ان ما يزجر فوق رؤسهم انما هو روح الشر لا روح سعادة وحرية
وانتم ايضاً ايها الصحاب سيتولاكم الرعب عندما تنزل عليكم حكمتي الكاسرة
ولعلكم تولون هارين منها كما يهرب الأعداء

ليت لي ان استدعيكم اليّ بجنين شبابة الرعاة ، وليت تتعلم لبؤة حكمتي
ان تزار بنبرات العطف والحنان ، فلطالما وردنا سوياً من مناهل العرفان .
ولكن حكمتي الوحشية تمخضت بآخر صغارها في الجبال السحيقة بين الجلامد
الجرداء ، وهي الآن تطوف بجنونها الصحارى القاحلة مفتشة على المروج الناضرة
انها لشيخة وحشية هذه الكلمة التي تقصد انزال اعز ما لديها في مروج
قلوبكم الناضرة

هكذا تكلم زارا . . .

في الجزر السعيدة

ها ان التين يتساقط عن اشجاره عطر النكهة حلو المذاق وقشوره الحمراء
تتشقق بسقوطها ، وأنا هو ريح الشمال يهب على هذه الأعمار الناضجة . ان تعالمني
تتساقط اليكم ايها الصحاب كمثل هذه الأعمار فتذوقوها الآن عند ظهيرة من
أيام الخريف وقد صفت فوقكم السماء .

سرحوا أبصاركم فيما حولكم من خيرات الأرض ثم مدوا بها إلى آفاق البحر
البعيد فليس أجمل لمن فاض رزقه من أن يتطلع إلى الأبعاد
لقد كان الناس يتلفظون باسم الله عندما كانوا يسرحون أبصارهم على شاسعات
البحار ، أما الآن فقد تعلمتم الهتاف باسم الانسان المتفوق

إن الله افتراضٌ وأنا أريد ألا يذهب بكم الافتراض إلى أبعد مما تفترض
إرادتكم المبدعة

أفتستطيعون أن تخلقوا الها؟ إذن أقلعوا عن ذكر الآلهة جميعاً ، فليس
لكم إلا إيجاد الإنسان المتفوق

ولعلمكم لن تكونوا بنفسكم هذا الإنسان ولكن في وسعكم أن تصبحوا
آباءً واجداداً له . فليكن هذا التحول خير ما تعملون

إن الله افتراضٌ وأنا أريد ألا يتجاوز بكم الافتراض حدود التصور ،
فهل تستطيعون أن تتصوروا إلهاً ؟ فأعرفوا من هذا أن واجبكم هو طلب
الحقيقة فلا تطمحوا إلى ما لا يبلغه تصور الإنسان وبصره وحسه ، امسكوا
بتصوركم كيلا يتجاوز حدود حواسكم

يتحتم عليكم أن تبدأوا بخلق ما كنتم تسمونه عالماً من قبل فيتكوّن عالمكم
من تفكيركم وتصوركم وإرادتكم ومحبتكم وعندئذ تبلغون السعادة يا من تطلبون
المعرفة . وكيف تطيقون الحياة إذا لم يكن لكم هذا الرجاء ؟

على من يطلب المعرفة ألا يتورط في ما يريده العقل من المعميات
لسوف افتح لكم قلبي فلا تخفى عنكم خافية فيه ، فأقول لكم : لو كان هنالك
أرباب اكنتم أتمثل إلا اكون رباً ؟ إذن ليس في الكون أرباب
لقد استخرجت لذاتي هذه النتيجة ، وها هي تستخرجني الآن

إن الله افتراضٌ ولكن من له بتحمل كل ما يضمن هذا الافتراض من
اضطراب دون أن يلاقي الفناء ؟ تريدون أن تأخذوا من الخالق إيمانه ومن
النسر تحليقه في اجواز الفضاء ؟

إن الله عبارة عن إيمان ينكسر به كل خط مستقيم ويميد عنده كل قائم ،
فالزمان لدى المؤمن وهم ، وكل فانٍ في عينيه بطل وخداع ، فهل مثل هذه
الأفكار إلا أعاصير تنطير فيها عظام البشر وتورث الدوار لشاهدها ؟ تلك
افتراضات يدور المبتلى بها على نفسه كالرحى حتى يموت

أفليست من الشر والافتيات على الإنسانية كل هذه التعاليم تقيم الواحد
المطلق الذي لا يناله تحوّل ولا تغيير ؟

إن الرموز وحدها لا تتغير ، وطالما كذب الشعراء ، غير أن خير ما يضرب
من الأمثال ما يصور الحاضر وآتي الزمان فيأتي حجة لكل زائل لا تقضاه

ليس في غير الابداع ما ينقذ من الأوجاع ويخفف اثقال الحياة ، غير ان
ولادة المبدع تستدعي تحولات كثيرة وتستلزم كثيراً من الآلام

ايها المبدعون ستكون حياتكم مليئة بمرير الميئات لتصبحوا مدافعين عن
جميع ما يزول

على المبدع إذا شاء ان يكون هو بنفسه طفل الولادة الجديدة ان يتذرع
بعزم المرأة التي تلد فيتحمّل اوجاع مخاضها

لقد اخترقت لي طريقاً في ميئات النفوس والأسرّة واوجاع المخاض غير انني
كثيراً ما نكصت على اعقابني لأنني اعرف ما تقطع الساعات الأخيرة من
نياط القلوب .

ولكن ذلك ما تطمح إرادتي المبدعة اليه ، وتعبير اشد صراحة ذلك هو
المقصد الذي تريده إرادتي

إن جميع ما في من شعور يتألم مقيداً سجيناً وليس غير إرادتي من بشير
يؤذن بالمسرة ، ويأني بالافراج عن الشعور

إن الارادة وحدها تحرر ، وما بغير هذه الآية من شرعة صحيحة للارادة
واللحرية ، على هذا تقوم تعاليم زارا

بعداً وسحقاً لكل وهنٍ وملال يشلان الارادة ويوقفان كل تقدير وإبداع
ان طالب المعرفة يشعر بلذة الارادة والايجاد وبلذة استحالة الذات الى
ما تحس به في اعماقها ، فاذا انطوى ضميري على الصفاء فما ذلك الا لاستقرار ارادة
الايجاد فيه . وهذه الارادة هي ما اهاب بي للابتعاد عن الله وعن الآلهة اذ لو
كان هنالك آلهة لما بقي شيء يمكن خلقه.

إن طموح إرادتي الى الايجاد يدفعني ابداً نحو الناس اندفاع المطرقة
فوق الحجر

ايها الناس انني المح في الحجر تمثالا كامناً هو مثال الأمثلة . افيجدر ان
يبقى ثاوياً في اشد الصخور صلابة وقبحاً

ان مطرقتي تهوي بضرباتها القاسية على هذا السجن فأرى حجره يتناثر
اريد ان اكمل هذا التمثال ، إن طيفاً زارني والطف الكائنات واعمتها
سكوتاً قد اقترب مني

لقد تجلّى بهاء الانسان المتفوّق لعيني في هذا الخيال الطارق فما لي
وللاّله بعد : (١)
هكذا تكلم زارا . . .

الرحماء

لقد بلغني ، ايها الصحاب قول الناس : « افما ترون زارا يمر بنا كأنه يمر
بين قطع من الحيوانات »
وكان اولي بهم ان يقولوا : ان من يطلب المعرفة يمر بالناس مروره بالحيوانات
ان طالب المعرفة يرى الانسان حيواناً له وجنتان حمراوان
ولم يراه هكذا ؟ افليس لانه كثيراً ما علتة حمرة الخجل ؟
هذا ما يقوله طالب المعرفة ايها الصحاب : — ان تاريخ الانسان عار
في عار

ولذلك يفرض الرجل النبيل على نفسه ألاّ يلحق إهانة باحد لانه يستحي
جميع المتألمين

إنني والحق اكره الرُحماء الذين يطلبون الغبطة في رحمتهم ، فاذا ما قضى
عليّ بأن ارحم تمنيت ان تُجهل رحمتي والاّ ابذلها إلاّ عن كُتب . احب ان استر
وجهي عند اشفاقي وان اسارع الى الهرب دون ان أعرف . فتمثلوا بي ايها
الصحاب

ليت حظي يسوقني ابداً حيث ألتقي أمثالكم رجالاً لا يتألمون وفي طاقتهم
ان يشاركوني آمالي وولامي وملذاتي
لقد قت باعمال كثيرة في سبيل المتألمين ولكن كنت أرى ان الأفضل من
هذا زيادة معرفتي في تمتعي بسروري ، فان الانسان لم يسرّ الا قليلا منذ وجوده
وما من خطيئة حقيقية الا هذه الخطيئة
اذا نحن تعلمنا كيف نزيد في مسرتنا فاننا نفقد معرفتنا بالاساءة الى سوانا
وياخترع ما يسبب الآلام

(١) ونحن نقول بدورنا لنيتشه متخذين قياسنا من قياسه : لو أمكن للانسان ان يخلق
شيئاً لما كان هنالك اله ، وبما ان الانسان يقصر عن ايجاد ذرة وخطرة فكر في عالمي المادة
والروح فالكائن الأزلي مفروض فرضاً على الناقل وكل قول يخالف هذا القول ثرثرة وجنون . . .

ذلك ما يدعوني الى غسل يدي اذا انا مددتها لم تألم ، بل والى تطهير روحي
ايضاً ، لأنني اخجل لخلجه وتؤلمني مشاهدتي لآلامه ولأنني جرحتُ معزة نفسه
بلا رحمة عند ما مددت له يدي

إن عظيم الاحسان لا يولد الامتنان بل يدعو الى إيقاد الحقد ، واذا تغلب
تافه الاحسان على النسيان فانه يصبح دوداً ناهشاً
لا تقبلوا شيئاً دون احتراس ، وحكموا تمييزكم عندما تأخذون ، ذلك ما
أشير به على من ليس لهم ما يبذلونه للناس

اما أنا فممن يبذلون العطاء وأحب ان اعطي الاصدقاء كصديق ، أما الابدون
فليتقدموا من انفسهم لاقتطاف الاثمار من دوحتي فليس في إقدامهم على الاخذ
ما في قبولهم العطاء من مهانة لكرامتهم
غير انه من اللازب ان يقطع دابر المتسولين لان في الجود عليهم من الكدر
ما يوازي كدر انتهارهم وحرمانهم
وكذلك هو حال الخطاة واهل الضمائر المضللة فان تبكيت الضمير يحفز
الانسان الى النهش وايقاع الاذى

وشر من كل هذا الافكار الحقيرة وخير للانسان ان يسيء عملاً من ان
تستولي المسكنة على تفكيره

انكم تقولون « إن في التفكير الملتوي كثيراً من الاقتصاد في شر الاعمال »
وما يستحسن الاقتصاد في مثل هذا

إن لشر العمل أكلاًناً والتهاباً وطفحاً كالقروح ، فهو حرٌّ وصریح لأنه يعلن
نفسه داءً كما تعلن القروح ، في حين ان الفكرة الدنيئة تختفي كنواحي الفطر وتظل
منتشرة حتى تودي بالجسم كله ، ومع هذا فاني أصر في اذن من تملكه الوسواس
الخناس : « إن من الخير ان تدع الوسواس يتعاطم فيك لان امامك انت ايضاً
سبيلاً يوصلك الى الاعتلاء »

مما يؤسف له أن يكون جهل بعض الشيء خيراً من إدراك كله ، غير ان من
الناس من يشف حتى تبدو بواطنه ، ولكن ذلك لا يبرر طموحنا الى استكناه
مقاصده . ومن الصعب أن نعيش مع الناس ما دمنا نستصعب السكوت

إن ظلمنا لا ينزل بمن تنفر منه اذواقنا بل يسقط على من لا يعيننا أمره
وبالرغم من هذا ، اذا كان لك صديق يتألم فكن ملجأ لآلامه وليكن

لا تبسط له فراشاً وثيراً بل فراشاً خشناً كالذي يتوسّده المحاربون وإلا فما أنت مجديه نفعاً

وإذا اساء إليك صديق فقل له : انني اغتفر لك جنايتك عليّ ولكن هل يسعني أن أغفر لك ما جنيته على نفسك بما فعلت ؟

هكذا يتكلم عظيم الحب ، لأنه يتعالى حتى عن المغفرة والاشفاق علينا ان نكبح جماح فلوبنا كيلا نتجرّ عقولنا معها الى الضلال أين تجلى الجنون في الارض بأشدّ مما تجلى بين المشفقين ؟ بل اي ضرر لحق بالناس أشد من الضرر الناشيء عن جنون الرحماء ؟

ويلٌ لكل محب ليس في محبته ربوة لا يبلغها إشفاق الرحماء قال لي الشيطان يوماً : إن للرب ججياً هو ججيم محبته للناس وقد سمعت هذا الشيطان يقول اخيراً : لقد مات الاله وما اماته غير رحمته احترسوا من الرحمة لأنها لا تلبث حتى تعقد فوق الانسان غماماً متلبداً : وما انا بجاهل ما تنذر به الايام

احفظوا هذه الكلمة ايضاً : — إن المحبة العظمى تتعاضى عن رحمتها لأن لها هدفها الاسمى وهو خلق مَنْ تحب

— إنني أقف نفسي على حيي ، وكذلك يفعل امثالي : هذا ما يقوله كل مبدع ، والمبدعون قساة القلوب هكذا تكلم زارا . . .

الكهنة

وتمثل زارا مرور رهط من الكهنة امامه ، فقال لاتباعه : هؤلاء هم الكهنة ، فعليكم — وإن كانوا اعدائي — ان تمروا امامهم صامتين وسيوفكم ساكنة في اغمارها فان بينهم ابطالا ومن تحمّلوا شديد العذاب فهم لذلك يريدون ان يعذبوا الآخرين

انهم لاعداء خطرون ، وما من حقد يوازي ما في اتضاعهم من ضغينة ، وقد يتعرّض من يهاجمهم الى تلطيخ نفسه ، ولكن بيني وبينهم صلة الدم وانا اريد ان يبقى دمي مشرفاً حتي في دماءهم

وعاد زارا يتمثل انهم مروا وانصرفوا ، فشرع بألم شديد قاومه لحظة حتى

سكن روعه ، فقال : — إني اشفق على هؤلاء الكهنة ، وأنا لا ازال انفر منهم
ولكنني تعودت الاشفاق مرغمًا نفوري منذ صحبت بني الانسان ، ومع ذلك
فأنا أتألم مع الكهنة لأنهم في نظري سجناء يحملون وسم المنبوذين في العالم ،
وما كبّلهم بالاصفاد إلا من دعوته مخلصاً لهم ، وما اصفادهم إلا الوصايا الكاذبة
والكلمات الوهمية ، فليت هؤلاء من يخلصهم من مخلصهم

لقد لاحت هؤلاء الناس جزيرة في البحر على حين ثارت عليهم زوبعة فنزلوا
اليها فاذا هم على ظهر تنين نائم على العباب

وهل من تنين اشد خطراً على ابناء الحياة من تنين الوصايا والكلمات الوهمية
وقد كمن فيها المقدور طويلاً حتى حان وقت انتباه التنين ؟ وما هو يهب مفترساً
جميع من بنوا مساكنهم على ظهره

انظروا الى المساكن التي بناها هؤلاء الكهنة وقد اسموها كنائس وما هي
إلا كهوف تنبعث روائح التعفن منها . وهل للروح ان ترتفع الى مستواها تحت
لألاء هذه الانوار الكاذبة وفي هذا الجو الكثيف ، حيث لا يسود إلا عقيدة
تصم الناس بالخطيئة وتأمّرهم بصعود درجات الهيكل زحفاً على الركب

اني لأفضل ان انظر الى اللحظات الفاحشة من ان ارى هذه العيون اطبقت
اجفانها معلنة خشوعها واستغراقها

من ذا الذي اخترع هذه الكهوف وهذه الدرجات يرقاها النادمون
زاحفين ، أهي من ايجاد من استحيوا من صفاء السماء فلجأوا الى الاستتار ؟
لن اعود بقلبي لآلج مساكن هذا الاله إلا اذا انشئت قبابها واخرقها
نور السماء الصافية لتكشف عن الشقائق الحمراء النابتة على جذرائها المتهدمة
لقد اراد هؤلاء الكهنة ان يعيشوا كأشلاء اموات فسرّبوا جثثهم بالسواد
فاذا هم القوا مواعظهم انتشرت منها رائحة اللحود

ان من يجاور هؤلاء الناس فكأنما هو ساكن على ضفة الانهار السوداء
حيث لا يسمع إلا نقيق الضفادع الحزين

ليسمعني هؤلاء الناس نشيداً غير هذا النشيد لأمرن نفسي على الاعتقاد
بمخلصهم ، إذ لا يلوح لي ان اتباع هذا المخلص قد ظفروا بالخلاص

لكم اتنى ان اراهم عراة ، وهل لغير الجمال ان يدعو الناس الى التوبة ،
ولكنهم عبارة عن فجائع مستترة لا يسعها ان تجتذب الى الايمان احداً

والحق ، ان مخلصي هؤلاء الكهنة أنفسهم لم ينحدروا من سماء الحرية وما وطئوا مسالك المعرفة قط ، فما كانت حكمتهم إلا نسيجاً ملائته الخروق رقعه بما اوجد جنونهم من آلهة . لقد اغرقتهم حكمتهم في بحيرة الاشفاق فهم كلما زفروا فيها ارسلوا بجثة عظمى تطفو على سطحها

لقد زعق هؤلاء الرعاة بقطعاتهم فضت متدافعة في فجوة واحدة وقد علا صراخها كأن التوصل الى مخارج المستقبل ممتنع من غير هذه الفجوة الضيقة . اما والحق ما هؤلاء الرعاة إلا فريق من هذه السائمة وقد ضاقت عقولهم ورحبت نفوسهم وسرعان ما تصغر العقول اذا كبرت النفوس

لقد تركوا على كل معبر اجتازته ارجلهم آثار الدماء ، اذ كانوا يستلهمون جنونهم ليعلموا الناس ان الدماء تقوم شاهدة للحق . وقد جهلوا ان افسد شهادة تقوم للحق إنما هي شهادة الدم ، لان الدم يقطر سماً على أنقى التعاليم فيحولها الى جنون والى احقاد

أفتقيمون للحق دليلاً من اقتحام أحد الناس للهب في سبيل تعاليمه . وهل لمثل هذا التعليم ما للعقيدة التي تتولد متقدمة من لهبها نفسه ؟ اذا ما تلاقى رأس بارد بقلب مضطرب نشأت من التقائهما تلك العاصفة التي يدعوها الناس مخلصاً ولكم وجد على الارض من رجل أعرق منشأ وأرفع مقاماً ممن يدعوهم الشعب مخلصين ، وما كان هؤلاء المخلصون إلا عاصفات كاسحات تهب متوالية على الارض

اذا ما كنتم تنشدون سبل الحرية ، أيها الاخوة ، فعليكم أن تنقذوا انفسكم حتى ممن يفوقون هؤلاء المخلصين عظمة ومجداً . فان الانسان المتفوق لم يظهر على الارض بعد . لقد حدثت باعظام رجل وباحقر رجل عن كذب وهما عاريان فظهر لعياني متشابهين ، بل رأيت اعظمهما أشد توغلاً في المعائب البشرية من الآخرين

هكذا تكلم زارا . . .

الفضلاء

لا ينبه الشعور الغافل إلا الارعاد والايراق ، وما تكلم الجمال إلا بنبرات هامسة لا تنفذ إلا الى أشد الارواح انتباهاً

اسمعتني عصمتي اليوم ضحكة تعالت فيها قهقهة الجمال السامية . فجألي يسخر
بكم ، ايها الفضلاء ، إذ سمعته يقول : — إنهم يطلبون لفضائلهم ثمناً
إنكم تتقاضون ثمن فضيلتكم وتطالبون بالجزاء ، أيها الفضلاء ، طامحين الى
امتلاك اما كن في السماء ، بدلاً من اما كن في الأرض ، والى الظفر بالأبدية بدلاً
من الدهر الزائل

إنكم لتحقدون عليّ لأنني أعلم الناس أن ليس هنالك لا حسيب ولا مثيب ،
والحق انني أمتنع عن القول بالثواب بل أذهب الى أبعد من هذا فأقول ان
ليس للفضيلة ما تجزي به نفسها جميل الجزاء

إن ما يؤلمني هو ان العقاب والثواب قد دسّ دساً في غاية كل امر ، بل
حشراً حشراً في اعماق نفوسكم ، ايها الفضلاء . ولكن لكلمي ان تلج هذه
النفوس ذاهبة فيها كقرن الوعل وكالسكة تشق الارض لتحرقها . فلتكشف
نفوسكم عن خفاياها امام النور ، لان الحقيقة لن تنفصل عن الضلال فيكم
حتى تنطرحوا عراة تحت شعاع الشمس . ذلك لان حقيقة ذاتكم انما هي
أظهر من ان تسمح بتدنسكم بكلمات الانتقام والعقاب والمكافأة والمقابلة بالمثل
إنكم تحبون فضيلتكم كما تحب الام طفلها ، وهل سمعتم ان أماً طلبت مكافأة
على عطف الامومة فيها ؟

هل فضيلتكم إلا ذاتكم نفسها وهي اعز ما لكم ، وما امنيتكم إلا أمنية
الحلقة التي لا تلتوي وتستدير إلا ليصبح اخرها اولاً لها
إن كل عمل ينشأ عن فضيلتكم إنما هو بمثابة نور كوكب يعرفه الانطفاء ،
فما يزال نوره يخترق مجراه في الافلاك ، وليس من حد ينتهي سيره اليه . وهكذا
لن تزال أشعة فضيلتكم سائرة في سبيلها حتى بعد انتهاء عملها وتواريه في عالم
النسيان ، لان إشعاع الفضيلة مستمر لا يعرف زوال
لتكن فضيلتكم تعبيراً عن ذاتكم وما تلك غريبة عن هذه فلا تحسبوا انها
جلد ورداء

هذه هي حقيقة روحكم الكامنة ، ايها العقلاء . ولكن من الناس من يخيل
له أن الفضيلة عبارة عن تشنج تحت السياط الجالدة ، ولطالما سمعتم صياح هؤلاء
الواهمين

ومن الناس من يرى الفضيلة في الكسل والذيلة ، وما ينتبه عدلهم إلا عند

ما يتناوب حقدهم وحسدهم ، عندئذ يفركون أجفانهم وقد أثقلها النعاس
من الناس من تشدهم شياطينهم الى أسفل فكلما تدهوروا على الدركات
زادت أحداقهم توهجاً وتزايد شوقهم الى ربهم . إن صوت هؤلاء المتدهورين
يبلغ آذانكم ، ايها الفضلاء وهم يصيحون : — إن كل ما هو خارج عن كياني
إنما هو الله وإنما هو الفضيلة

وهناك آخرون يتقدمون مثقلين مقرقعين كأنهم عجلات تحمل صخوراً الى
الوادي ، وهؤلاء الناس لا ينون يتكلمون عن الفضيلة ، وما الفضيلة في عرفهم
إلا عبارة عن كالج عجلاتهم

وهناك قوم أشبه بالساعات يربط زبركها فتسمعك تكتكتها وهم يريدون
ان تدعى حركتهم الآلية فضيلة . إنني ألهو بمشاهدة مثل هذه الساعات لأنني
ما صادفتها مرة إلا ربطت زبركها بتهكمي واكرهتها على تحريك رقاصها
وهناك المغترون بذرة من العدل ترتفع فيهم على جبل من الدعوى فتراهم
يجدفون على كل شيء الى ان يغرقوا العالم بظلمهم ، وما تخرج كلمة الفضيلة من
أفواه هؤلاء الناس إلا وتحسب انهم يتجشأونها ، واذا قال احدهم : — لقد
عدلت ، فكأنه يقول : — انتقم

هؤلاء من يريدون ان يفتقروا أعين اعدائهم بفضيلتهم وما يطلبون من
الاعتلاء إلا إسقاط سائر الناس

وهناك من يدب اليهم الفساد كأنهم ماء آسن في المستنقعات . فهؤلاء الناس
يعلنون انهم لا ينهشون أحداً ويتحاشون الالتقاء بالناهشين ، فاذا عرض عليهم
أي رأي اخذوا به تفادياً لكل اخذ ورد

وهناك عشاق الحركات المعتقدون بان الفضيلة نوع من الايمان فتراهم في كل
حين جاثين على ركبهم وقد قبضت إحدى راحتيهما على الأخرى تمجيداً للفضيلة
وما يدرك قلبهم منها شيئاً

وهناك من برون الفضيلة في القول بلزوم الفضيلة وهم لا يعتقدون إلا بلزوم
ردع الشر بالقوة

وبعض من امتنع عليهم إدراك ما في الانسان من صفات عليا لا يذكرون
الفضيلة إلا عندما يحدقون بما فيه من دنيا وهكذا لا تنشأ فضيلة هؤلاء القوم
إلا من عيوب عيونهم

من الناس من يطلب المعرفة وتقويم ما التوى فيه فيدعو هذه النزعة فضيلة،
ومنهم من يطلب قلب كيانه رأساً على عقب فيدعو هذه الرغبة فضيلة ايضاً ،
وهكذا ترى الجميع يعتقدون بوجود الفضيلة في ناحية من نواحي كيانهم و تراهم
يتجهون الى معرفة ما فيهم من خير وشر . غير ان زارا قد جاء الى جميع هؤلاء
المخادعين والى جميع هؤلاء المجانين ليقول لهم انهم لا يعرفون عن الفضيلة شيئاً
وان ليس في وسعهم ان يعرفوها

ما اتى زارا إلا ليشعركم بأنكم تعبتُم من تكرار الاقوال القديمة التي
علّمكم اياها المخادعون والمجانين ، فينفّرکم من كلمات المكافأة والمقابلة بالمثل
والعقاب والانتقام في العدل لتقلعوا عن القول بصلاح الاعمال عند تجردها
عن الغايات

لتكن ذاتكم متجلية في عملكم كما تتجلى الأم في طفلها وليكن هذا التعبير ما
تعرفون الفضيلة به

والحق انني انتزعت منكم كثيراً من اقوالكم وسلبتكم أعزّ ما تتلهون
بعضغه عن الفضيلة ، لذلك اراكم تزورون كالأطفال . وقد كنتم مثلهم تتسلون
بالعابكم على الشاطئ فطغت موجة انتزعتها من بين ايديكم وحملتها الى العباب ،
فها انتم تعولون الآن كهؤلاء الأطفال ، غير ان الامواج ستكرّ راجعة حاملة
اليهم العباباً جديدة نائرة بين ايديهم الأصداف المخططة ، وانتم ايضاً ايها الصحاب
ستسلون مثلهم حين تأتيكم التعزية نائرة بين ايديكم الأصداف المخططة
هكذا تكلم زارا . . .

الوغد

ما الحياة الا ينبوع مسرة ، ولكن أيا ن شرب الوغد فهناك جدول مسموم
احب كل ما هو نقي ، ولكنني لا احتمل رؤية الاشداق تتشاءب معلنة ظمأ
الارجاس ، وقد جاؤوا يسبرون اعماق البئر بأنظارهم فانعكست في قرارها
ابتسامتهم الشنعاء توجه سخريتها اليّ .

لقد دنّسوا المياه المقدسة بارجاسهم ، وما تورّعوا فدعوا احلامهم القنطرة
سروراً فدسّوا سمومهم حتي في البيان .

إن اللهب يتعالى مشمراً عند ما يعرضون قلوبهم المائعة عليه ، والروح

نفسها تغلي وتتصاعد بخاراً عند ما يقترب الاوغاد من النار ، والاثمار نفسها يفسد
طعمها وتتراخي عند ما يلمسونها بأيديهم ، واذا ما حذجوا بانظارهم الاشجار
المشجرة فانها لتجف على اعراقها .

لكم من معرض عن الحياة لم ينقره منها سوى الوغد الزنيم ، فعافها اذ لم
يشأ ان يقاسم هذا الوغد ما عليها من ماء ولهب واثمار .

لكم من شارد لجأ الى الصحراء متحملاً السُّعار عائشاً بين الوحوش
كيلا يجلس الى بئر يدور بها حداة العيس بما عليهم من اقدار .

ولكم جاء الارض من مكتسح اشبه بالبرد المتساقط من السحاب ولا
امنية له سوى ضرب قدمه في اشدق الاوغاد ليسد حناجرهم .

ما صعب علي الاعتقاد باحتياج الحياة الى العداة والقتل والاستشهاد كما
صعب علي التسليم بضرورة وجود الوغد الزنيم فيها .

أمن ضرورة الحياة هذه الينابيع المسممة والنيران المشبوبة تفوح بالروائح
الكريهة وهذه الاحلام الرجسة وهذه الديدان ترتعي في خبز الحياة ؟

ليس العداة ما قرض حياتي بل الكراهة والاشمزاز . ولكم استثقلت
الفكر نفسه عند ما رأيت شيئاً من الفكر في رأس الوغد الزنيم .

لقد ولّيت ظهري للحاكمين عند ما ادركت معنى الحكم في هذه الازمان
وتأكدت انه متاجرة بالقوة ومساومة الاوغاد عليها .

استولى اليأس علي فاجتزت مراحل الماضي والمستقبل وانا اسدٌ انني اذ
انتشرت علي منهما روائح البيان السخيف

لقد عشت طويلاً كالكسيح اصابه الصمم والعمى والخرس كيلا اعايش
اوغاد السلطة وزعانف الاقلام والمسرات

ارتفع فكري درجة فدرجة وهو يعاني من حذره ما يعاني ولا عزاء له الا
بالغبطة ، وهكذا مرت حياة الاعمى وهو يتوكأ على عصاه

ما حدث لي يا ترى ؟ وما الذي انقذني من اشمزازي واعاد النور الى عيني
وكيف تمكنت من ارتقاء المرتفعات حيث ينبوع الذي لا يحيط به الاوغاد ؟

أهي الكراهة نفسها استنبتت جناحي واوجدت لي القوة للاهتداء الى
مفجر الينابيع ؟ والحق انني ارتقيت الذروة ، ولو لم ابلغها لما وجدت ينبوع

الغبطة والسرور .

لقد وجدته ، ايها الاخوة ، فرأيتَه يتدفَّق على الذروة غبطة وجبوراً ،
فاهتديت الى المكان الذي يتاح فيه للانسان ان يروي ظمأه دون ان يعكّر عليه
الاوغاد الادنياء

إنك لتسيل بشدة ، أيها ينبوع المتفجر بالغبطة فتفرغ الكأس التي تملأها
دهاقا .

عليّ ان اتمرّن على الاقتراب منك بثوذة ، ايها ينبوع فان قلبي يندفع بعنف
الى مسيلك . لقد استولى اليأس مع الجبور على هذا القلب الذي تمرّ عليه بحرّها
ايامُ صيفه فهو يتشوّق الى مياهاك تنزل عليه برداً وسلاما .

لقد انقضت احزان ترددي في الربيع واذاب الصيف ثلوج نقيتي ، فاصبحت
وكل جوارحي تتوق الى الاصطياف . ان خير الراحة ما تُنتجع في اعالي الجبال
قرب الينابيع الباردة . اليّ ايها الاصحاب لنحوّل هذه الراحة الى غبطة وجبور
فهذه ذروتنا ، وهنا موطننا حيث نعتم بصخور فلا يبلغها الأرجاس ولا يصل
اليها عطشهم المدنس .

ارسلوا انظاركم الطاهرة على ينبوع مسرتي ، ايها الاصحاب ، فانها لن تعكره
بل تُبقي على نقائه فيبتسم لكم .

هنا تتعالى دوحة المستقبل ، فلنبن لنا عشاءً بين اغصانها فتجىء الينا العقبان
حاملة لنا الغذاء ، نحن المنفردين .

ذلك عزاء لا يستطيع الأرجاس مقاسمتنا إياه فهو النار تحرق اشداقهم . وما
نعدّ هنا مساكن للمدنّسين ، فان سعادتنا تلتفح اجسادهم وارواحهم . ونحن
نريد ان نحيا فوقهم فنهب كالرياح في مسارح العقبان ومطالم الشمس .

انني سأعصف كالريح الصرصر على الأرجاس فأخذ انفاسهم بانفاسي ، ذلك
هو المقدور . فما زارا الا ريح عاصفة ترهق الاعماق ، وهو ينصح اعداءه وكل
متقيء نافث بالآل يصبقوا في وجه الرياح .

هكذا تكلم زارا ...

العناكب

هذا هو العنكب ، فاذا كنت ترغب في مشاهدته فامس نسيجه ليتحرك
ويسرع بالظهور ، أهلا بك ايها العنكب ، انني أرى على ظهرك شعاراً أسود مثلث .

الزوايا ، وما يخفى عني ايضاً ما تضر من النعمة في سريرتك
ان لسعادتك بقعاً فاحمة على الجلود، ولها سمها المضلل في النفوس، ايها العنكب،
اني اخاطبك بالرموز ، أيها العناكب المضللون المبشرون بالمساواة ، فما اتم في
نظري الا مستودع لعواطف الانتقام

سأكشف عن مكانكم وانا أواجهكم بتهمة تسقط عليكم من الذرى التي
أتسممها . وهأنذا أمرق نسيجكم حتى اذا تملككم الغضب خرجتم من مغاور
اكاذيبكم وتدفتت نقيمتكم بكلمة العدل التي تنفوهون بها

لقد وجب عليّ أن أنقذ الانسان من عاطفة الانتقام ، وهذا الواجب هو
المعبر المؤدي الى أشرف الآمال ينتصب فوقه قوس قزح بعد هبوب العواصف
الكاسحات . ولكن إرادة العناكب لا تتجه الى هذه الغاية ، فهم يتناجون
فيما بينهم قائلين : لا عدل إلا في عواصف انتقامنا تهب على العالم لتلقي العار على
كل من ليس منا

وهم يقولون ايضاً : ما من فضيلة إلا في طلب المساواة ، فلنرفع عقيرتنا ضد
كل سلطان

أي كهان المساواة ! لقد تسلط عليكم جنون عجزم ، فهتفتم بهذه المساواة
وقد كنتم شهوة عتوكم واستبدادكم وراء ما تعلنون من الفضائل
إنني أرى فيكم الغرور المتمرص والحسد المقيم ، ولعل الحسد الذي رعى
قلوب اسلافكم يتعالى منكم الآن لهباً يندلع بجنون الانتقام ، وما الابناء إلا
مظهر ما أضر الآباء . ولكم أفشى الابن سر آبيه !

إن هؤلاء الناس مظهر المتحمسين ، وما تلهب حماسهم المحبة بل الانتقام .
وإذا ما بدت لك منهم رصانة ومرونة ، فما مصدرها فيهم العقل بل الحسد المهيّب
يهم الى التفكير . ودليل حسدهم هو أنهم يندفعون دائماً الى أبعد من صراميتهم
فيطرحهم العياء على وساد الثلوج

وما تسمع هؤلاء الناس اينما يخلو من نبرات الانتقام، فكل ما يصدر عنهم
من مدح ينطوي على أذية ، فهم يرون منتهى السعادة في إقامة انفسهم قضاة على
العالمين . فاصغوا الى نصيحتي ، ايها الأصدقاء : احذروا من تغلبت عليهم
غريزة انزال العقاب . لأنهم متحذرون من أفسد الانواع وعلى وجوههم سياء
الجلادين

إِحذَرُوا مَنْ لَا يَنْقُطِعُونَ عَنْ ذِكْرِ عَدَائِهِمْ فَإِنَّ نَفْسَهُمْ خَالِيَةٌ مِنْ كُلِّ صِفَةٍ
حَمِيدَةٍ ، وَإِذَا مَا هُمْ أَدَّعَوْا الصَّلَاحَ وَالْإِنْصَافَ فَلَا تَنْسُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ
الْفَرِيسِيِّينَ مَقَامَهُمْ إِلَّا لَمَّا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنْ عَجْزٍ

إِنِّي أَرَبُّاً بِنَفْسِي ، أَيُّهَا الصَّحَابُ ، أَنْ تَنْزِلُوهَا بَيْنَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ فَلَا تُمَيِّزُونَ
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ . فَهِنَالِكَ مَنْ يَذْبَعُونَ تَعَالِيِي عَنْ الْحَيَاةِ وَهُمْ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ يَنَادُونَ
بِالْمَسَاوَاةِ وَيَنْتَمُونَ إِلَى الْعَنَاكِبِ الْمُسْمُومَةِ ، هُمْ يَدَافِعُونَ عَنْ الْحَيَاةِ وَلَكِنَّهُمْ
يَعْرِضُونَ عَنْهَا قَابَعِينَ فِي مَغَاوَرِهِمْ لِيَتِمَكَّنُوا مِنْ اجْتِرَاحِ الشُّرُورِ وَالْإِيقَاعِ بِمَنْ
يَقْبِضُونَ عَلَى زِمَامِ السُّلْطَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، وَقَدْ تَعَوَّدُوا إِنْذَارَهُمْ بِالسَّقُوطِ ، وَلَوْ
أَنَّ السُّلْطَةَ كَانَتْ فِي يَدِ الْعَنَاكِبِ لَكَانَتْ تَعَالِيَهُمْ تَتَّخِذُ شَكْلًا آخَرَ ، لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا
فِيَا مَضَى ، أَكْثَرَ مِمَّا عَرَفَ غَيْرُهُمْ ، كَيْفَ يَوْقِدُونَ الْمَحَارِقَ وَيَرْهَقُونَ مَخَالِفَهُمْ
اضْطِهَاداً وَتَعْذِيباً

لَا أَرِيدُ أَنْ أَحْسِبَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَادِينَ بِالْمَسَاوَاةِ لِأَنَّ الْعَدَالََةَ عَلَّمْتَنِي : (أَنْ
لَا مَسَاوَاةَ بَيْنَ النَّاسِ) وَإِنَّهُ مِنَ الْوَاجِبِ إِلَّا يَتَسَاوَوْا ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ
هَذَا الْمَبْدَأِ وَإِلَّا فَانْ مَحَبَّتِي لِلْإِنْسَانِ تَصْبِحُ أَدْعَاءً وَمِينًا . . .

عَلَى النَّاسِ أَنْ يَسِيرُوا عَلَى آلَافِ الطَّرِيقِ وَآلَافِ الْمَعَابِرِ مَسَارِعِينَ نَحْوَ آتِي
الزَّمَانِ فَتَنْشَأَ بَيْنَهُمُ الْحُرُوبُ وَتَتَّسِعُ شُقَّةُ التَّفَاوُتِ بَيْنَهُمْ عَلَى مَرِّ السَّنِينَ ، ذَلِكَ مَا
الْهَمْنِي إِيَّاهُ حَيُّ الْعَمِيمِ

يَجِبُ أَنْ يَقِيمَ النَّاسُ فِي أَعْمَاقِ سَرَائِرِهِمْ مُثُلًا عَلِيًّا وَاشْبَاحًا يَجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِهَا فَيَسِيرُ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ وَالْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ وَالرَّفِيعُ وَالْوَضِيعُ إِلَى التَّصَادُمِ
بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ نَظْمٍ فَتَضْطَرُّمُ الْحُرُوبُ سَلَاحًا وَرَمًى لِرَمْلِ لَانِ
عَلَى الْحَيَاةِ أَنْ تَتَفَوَّقَ أَبَدًا عَلَى ذَاتِهَا

إِنَّ الْحَيَاةَ تَتَجَهَّى إِلَى الْارْتِقَاءِ بِدُمَائِهَا وَدَرَجَاتِهَا ، فَهِيَ تَتَطَّلَعُ إِلَى الْآفَاقِ الْبَعِيدَةِ
مَا وَزَاءَ الْجَمَالِ الْمُقْتَعَدِ عَرْشِ غِبْطَتِهِ ، لِتَبْلُغَ مُسْتَقَرَّهَا فِي أَعَالِي الدَّرَى
إِنَّ الْحَيَاةَ بِحَاجَةٍ إِلَى ارْتِقَاءِ الْمَرْتَفَعَاتِ ، فَلَا غَنَى لَهَا عَنْ الدَّرَجَاتِ وَالدَّرَكَاتِ ،
لِيَعَارِضَ الْمُنْخَفَضُونَ الْمَرْتَفِعِينَ ، إِنَّهَا لَنِي حَاجَةٌ إِلَى التَّفَوْقِ عَلَى ذَاتِهَا وَهِيَ مُتَجَهِّةٌ
إِلَى الْارْتِقَاءِ

انْظُرُوا ، أَيُّهَا الصَّحَابُ ، هَا هِيَ مَغَارَةُ الْعَنَاكِبِ وَقَدْ لَاحَتْ فِيهَا خَرَائِبُ
هَيْكَلٍ قَدِيمٍ فَارْسِلُوا عَلَيْهِ نَظَرَاتِ الْمُسْتَلْهِمِينَ

والحق أن من جمع أفكاره قديماً ليرفعها صرحاً من الصخر ينطح السحاب
كان كأحكم الحكماء عارفاً بأسرار الحياة
إن الجمال نفسه ليقوم على التفاوت والمجادة في القوة والتفوق، وهذا ما يعلمنا
إياه هذا الحكيم بأشد الرموز إشراقاً
هنا تتدافع القباب والنوافذ في عراك جليل فتهاجم الظلمة النور ويهاجم النور
الظلمة كأنهما إلهان ينازل أحدهما الآخر
اقتدوا بهذا الرمز، انتم أيضاً في مجال الجمال والثقة بالنفس. لنكن نحن
أيضاً أعداء فيما بيننا أيها الصحاب
وليحشد كل منا قواه ليحارب الآخرين
ويلاه، لقد أصبت أنا أيضاً بلسعة العنكبة عدوتي القديمة فقد توصلت
بثقتها بنفسها وبجمالها الآلهي إلى نوال بناني بلسعتها، وها هي تقول الآن: لا بد
من إنزال العقاب، لا بد من أن يأخذ العدل مجراه، فأنك تغيت بعظمة السرائر،
فلن يذهب إنشادك جزافاً
أجل لقد انتقمتم، ويلاه أنها ستوجه نفسي إلى عاطفة الانتقام
تقدموا أيها الصحاب وقيدوني بهذا العمود كيلا اتحول عن مبدئي فخيري
أن أصبح تمثالاً جامداً من اهب كعاصفة منتقمة
لن يكون زارا عاصفة وإعصاراً، فما هو إلا رقاص ولكنه ليس رقاص
عناكب... (١)

مشاهير الحكماء

جميعكم أيها الحكماء المتمتعون بالشهرة، قد خدمتم الشعب وما يؤمن به من
خرافات، ولو انكم خدمتم الحقيقة لما كرمكم احد، ومن اجل هذا احتمل الشعب
شكوككم في بيانكم المنمق لأنها كانت السبيل الملتوي الذي يقودكم اليه. وهكذا

(١) ما تخبط زارا بمثل تخبطه في هذا الفصل، فهو القائل بسحق الضعفاء وتطهير الارض
من الدخلاء او الذين يدعوههم بهذا الاسم ولكنه الآن لا يريد ان يكون عاصفة واعصاراً +
فهو يكتفي بان يكون رقاصاً لا نتيجة لحركته عند ما يقتحم مبدأه نصره الضعفاء والمطالبة بحق
الشعوب، غير انه لا يصل الى آخر فصله حتى ينقض بعبارة واحدة كل ما اراد اثباته

يوجد السيد لنفسه عبيداً يلهو بضلالهم الصاخب . وما الإنسان الذي يكرهه
الشعب كره الكلاب للذئب إلا صاحب الفكر الحر عدو القيود الذي لا يتعبّد
ولا يلذ له إلا ارتياد الغاب

إن ما حسبه الشعب في كل زمان روحاً للعدل إنما هو العدو الكامن المترصد
لروح الحرية يستنبح عليها أشد كلابه افتراساً وقد قيل في كل زمان (لا حقيقة
إلا في الشعب فويل لمن يطلبها خارجاً عنه)

لقد أردتم ان تؤيدوا الشعب في ما يبدي من خشوع وإجلال ، فدعوتهم
هذه المذلة (إرادة الحق) فيا لكم من حكماء

غير انكم كنتم تقولون في انفسكم لقد نشأنا من الشعب وصوت الشعب هو
صوت الله ، فكنتم كالحمار الصبور المراوغ تعرضون وسطاكم على الشعب ،
ولكنكم من ذي سلطان اراد ان توافق عجلته ذوق الشعب فقطر لجرها حملاً
صغيراً ، حكماً مشهوراً . . .

فيا مشاهير الحكماء ، انني أطلب منكم ان تخلعوا عنكم ما تتلبسون به من
جلود الأسود وجلود الوحوش الكاسرة المخططة وفراء المستكشفين للمجاهل
والفاتحين . اذ لا يسعني ان اؤمن بالحقائق التي تنادون بها ما لم تقلعوا عن بذل
التبجيل والتعظيم ، فما رجل الحق إلا الضارب في القفار ولا إله له لأنه حطم بين
جنبيه التبجيل والتعظيم واذا هوت لقت ورمال الصحراء تحرق قدميه الى الواحات
حيث يتدفق الماء الزلال ، ويمتد وارف الظلال ، وترتاح الحياة ملقية عصا
الترحال ، فلا يقتاده الظمأ الى الاتجاه نحوها طلباً للاغتباط بين المغتبطين لأنه
يعلم ان لكل واحة اصنامها ، وما يريد الأسد إلا الاتفراد محرراً من عبودية
الارباب ومن سعادة المستبددين ، بعيداً عن الآلهة والمتعبدين وعن الخوف
ومنزليه في القلوب ، ذلك ما يصبو رجل الحق اليه . وما عاش رجال الحق إلا في
القفار يسودونها بانطلاق تفكيرهم في مجاها الواسع . وهل في المدن إلا مشاهير
الحكماء يتناولون خير الغذاء كذوات الضرع تغدّي لتُحلب . انهم يجرون عجلة
الشعب وقد كدّوا بها كالحمير

وما انا بالناقم عليهم ولكن ليعلموا انهم خدّم مشدودون الى عجلة وما يرفع
من ذلهم توهج الذهب على العجلة التي يجرونها

ولطالما اخلص هؤلاء الناس في خدمتهم فاستحقوا الثناء لان الحكمة تقضي بان يفتش الخادم عن سيد يستفيد من خدماته

لقد وجب ان يتسامى عقل سيدك وتعلو فضيلته لانك بهما تعلو انت والحق انكم قد علوتم بارتقاء عقل الشعب وفضيلته ، ايها الحكماء الخادمون للشعب كما اعتلى هو بكم ، وما أعلن هذا لتجيدكم ، فانكم قد بقيتم انتم شعباً حتى في فضائلكم ، وما تزالون شعباً لا بصيرة له ولا يدرك للعقل معنى انما العقل حياة تمزق الحياة تمزيقاً ، وما تزداد الحياة معرفة إلا بما تتحمل من آلام ، فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين ؟ لا يسعدُ العقل إلا اذا مسح بالدموع وتوج بالتضحية فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين ؟

إن عماء الضير وتلمسه لطريقه إنما هو شهادة لقوة الشمس ، التي حدثت بها فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين ؟

على طالب المعرفة ان يتعلم البناء باستخدامه الجبال حجارة لاقامة صرحه ، وما يصعب على العقل ان ينقل الجبال ، فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين ؟ انكم لا تلمحون من العقل إلا ما يقذف به من شرر ، فلا تعرفون أي سندان هو هذا العقل ، ولا تعرفون ايضاً قساوة المطرقة التي تنهاوى عليه والحق انكم تجهلون كبر العقل ويصعب عليكم احتمال تواضعه لو اراد تواضع العقل ان يعلن حقيقته

انكم ما تمكنت في أي زمان من إرسال عقلكم الى مهاوي الثلوج ، فما بكم الحرارة الكافية لاقتحامها ، ولذلك لا تدركون لذة من تنعشه لفحات هذه المهاوي ، غير انني اراكم بالرغم من هذا تتقدمون على مداعبة التفكير ، وقد جعلتم الحكمة ملجأً ومستشفى للمتشاعرين . . .

لستم عقباناً ايها الحكماء المشتهرون ، فانتم إذا لا تدركون ما يلد العقل من لذة في ارتياعه ، فلا يحق لغير المجنح ان يخترق الهواء فوق الوهاد ما انتم إلا فاترون ايها الحكماء ، وفي كل معرفة عميقة يهب تيار من الصقيع لان ينابيع العقل الخفية باردة كالثلج ولا تلد ببردها غير الايدي الملتهبة بحرارة جهادها

إنني أراكم أمامي أيها الحكماء المشتهرون ملفعين بقساوتكم جامدين على
 غروركم فما للريح أن تدفعكم ولا للارادة أن تهيب بكم الى الإقدام
 أما رأيتم على مضطربات الأمواج شراعاً خفاقاً يندفع وقد عصفت في ثنياته
 هوجاء الرياح . إن حكمتي تجتاز العمر خافقة كهذا الشراع وقد ملأتها عواصف
 التفكير ، تلك هي حكمتي الشاردة النفور . فهل لكم أن تجاروني في اندفاعي
 أنتم يا من تخدمون الشعب ، أنتم مشاهير الحكماء
 هكذا تكلم زارا ...

نشيد الليل

لقد أرخى الليل سدوله فتعالى خرير المياه المتدفقة ، ولنفسي ايضاً ينبوعها
 المنفجر

لقد أرخى الليل سدوله فتعالت الاناشيد من أفواه جميع المغرمين ، وما
 روحي إلا نشيد من هذه الاناشيد . إن في داخلي قوة نائرة تريد إطلاق صوتها
 وهي شوق الى الحب بيانه بيان المغرمين . أنا نور وليتني كنت ظلاماً ، وما قضي
 عليّ بالعزلة والانفراد إلا لاني تلفعت بالانوار . ولو انني كنت ظلاماً ، لكان
 لي ان ارسل بركتي اليك ايها النجوم المتألقة كصغيرات الحباحب في السماء
 فاتمتم بما تدرين عليّ من شعاع . غير انني أحيا بانواري فأتشرب اللهب المندلع
 من ذاتي وقد حرمت لذة الآخذين ، وقد خطرتي مراراً أن في السرقة من اللذة
 ما ليس في الاخذ

إن يدي لا تقف عن البذل وذلك هو فقري فأنا أنظر ابداً الى العيون
 يملأها الانتظار والى الليالي تلهبها الأشواق ، وذلك هو الحسد الذي يقض
 مضجعي

يا لشقاء الواهين . . . يا لظلمة شمسي ويا لشوقي الى الاشتياق ويا لشدة
 المجاعة في شعبي

إنهم يأخذون ما أهبهم ولكنني ابقي بعيداً عن أرواحهم فان بين الباذل
 والآخذ هوة عميقة ، ولعل أقرب الأغوار قعراً أصعبها ردماً
 إن نوعاً من الجوع ينشأ في أحشائي فيحفزني الى إيلام من ارسل اليهم
 انواري ، فأتوق الى سلب من أغدق عليهم هباتي وهكذا اتعطش الى إيقاع

الأذية فأرد يدي بعد ان أكون مدتها وأتردد تردد الشلال في تدفقه نحو
مراميه

إن مثل هذا الانتقام يراود عظمي ، ومثل هذا المكر ينشأ من عزلي
لقد فقدت السعادة في العطاء لوفرة ما أعطيت وقد زهقت فضيلتي من نفسها
ومن جودها ، إن من يستمر على بذل الهبات مهدد بفقد الحياء . ولا بد أن
تتصلب راحته وتتصلب قلبه

لم تعد ماقي تذرف الدموع على خجل المسترحمين وها إن يدي قست حتى
امتنع عليها أن تشعر بارتعاش الأيدي اذا امتلأت
أين هي دموع عيني واين رقة قلبي . فيا لوحدة جميع الواهين ويا لصمت
كل متلفع بالسناء

إن شمساً لا عداد لها تدور في قفار الأجواء مخاطبة بأشعاعها لبدات الظلام
وأنا وحدي محروم من حديث هذه الشمس وبيانها

ويلاه ! اية علاقة يمكن ان تربط الأنوار بالأجرام المنيرة من نفسها ؟
فان الانوار تمر عليها وهي تحجبها بلفئات الجفاء وتمضي ذاهبة في سبيلها ،
وهكذا تسير جميع الشمس في أجوائها نافرة من كل جرم منير باردة لا تحس
اخواتها بحرارتها

ان الشمس تندفع كالعاصفات في ابراجها متبعة ما اختطته إرادتها الجبارة
وفي ذلك كتمان حرارتها وبرودتها

هل غيرك أيتها الأجرام المملعة بظلام الليل من يخلق حرارة من اللعان ؟
أنت وحدك ترضعين أفاويق القوة من أئداء النور

ويلاه ان الصقيع يدور بي ويدي تحترق من انفحات الجليد ، فانا مشتعل
بسعار لا يطفى أواره غير عطشكم ، لقد سادت الظلمة فلماذا قضي علي ان
أكون نوراً منفرداً متعطشاً الى الظلام ؟

لقد سادت الظلمة فتدفقت كالجداول اشواقي وهي تريد ان تهتف بما
تضمهر

لقد أرخى الليل سدوله ، فتعالى خير المياه المتدفقة ولنفسى ايضاً ينبوعها
المتفجر

لقد ارخى الليل سدوله فتعالت الأناشيد من أفواه جميع المغرمين ، وما
روحي إلا نشيد من هذه الأناشيد
هكذا تكلم زارا ...

نشيد الرقص

ومر زارا بالغاب يوماً ومعه صحبه فاكتشف وهو يفتش عن ينبوع مرجاً
منبسطاً بين الأشجار والأدغال . وكان هنالك رهط من الصبايا يرقصن بعيداً
عن عين الرقباء . واذ لحن القادم وعرفنه توقفن عن الرقص ولكن زارا اقترب
منهنّ وخاطبنّ قائلاً :

— داومن على رقصكنّ ، أيتها الأنسات الجميلات ، فما القادم بمزعج للفرجين
وما هو بعدو للصبايا . انا من يدافع عن الله امام الشيطان ، وما الشيطان الا
الروح الثقيل فهل يسمعي ان اكون عدواً لما فيكنّ من بهاء ورشاقة وخفة روح
وهل لي ان اكون عدواً للرقص الالهي ترسمه مثل هذه الاقدام الضوامر
الرشيقات ... ؟

لا ريب في انني غابة اشتبكت فيها قائمات الأشجار وساد الحلك على ارجائها
ولكن من يقتحم ظلماتي بلا خوف ليجدن تحت سرواتي الرهيات طرقاً تحفّ
بجانبيها الورود . وليجدن ايضاً الاله الصغير الذي تشاقه الصبايا منطرحاً بسكون
قرب ينبوع وقد اغمض عينيه

لقد نام في وقت الظهيرة ، هذا الاله المتراخي ، ولعله سعى طويلاً ليصطاد
من الفراشات عدداً كبيراً .

لا يكدركن مني ايتها الراقصات الجميلات تأديبي لهذا الاله الصغير ، ولعله
يصيح ويبكي ولكنه اله يجلب المسرة حتى في بكائه . فلسوف اقتاده اليكنّ
والدموع سائلة على خديّه ليطلب اليكنّ ان ترقصنه ، واذا ما رقص فسأرافقه
انا بانشادي فأتجيء نغماتي الا هزيجاً اصنع به الروح الثقيل ، روح الشيطان
المتعالي الذي يقول الناس انه يسود العالم

وهذه هي الاغنية التي رفع زارا صوته بها بينما كان (كوييدون) إله الحب
يرقص مع الصبايا الفاتنات :

« لقد حدثت يوماً في عينيك ، ايتها الحياة ، فحسبتي هويت الى غور بعيد

القرار . غير انك سحبتني بشابك من ذهب واطلقت قهقهة ساخرة عندما قلت
إن غدرك لاقرار له . وأجبتني : — هذا ما تقوله الاسماك جميعها ، فهي إذ تعجز
عن سبر الاغوار تحسبها لاقرار لها . وهل انا الا المتقلبة النفور ؟ وهل انا الا
امرأة ، وامرأة لا فضيلة لها . لقد تقول الناس كثيراً عن صفاتي ولكنهم
اجمعوا على اني غير المتناهية ، المليئة بالاسرار
ايها الناس ، انكم ترون فضائلكم في ، فأنتم لا قبل لكم بادراك شيء آخر
غيرها ايها الفضلاء . . .

هذا ما كانت تقهقه به في سخريتها تلك الحياة، غير انني لا أثق بها ولا اصدق
ضحكها عند ما تهجو نفسها

وناجيت يوماً حكمتي النفورة فقالت لي غاضبة : — إنك تطلب الحياة
وتشتاقها وتحبها وذلك ما يحفز بك الى بذل الشناء عليها
ولولا أنني تمالكت نفسي لكنت رددت بعنف على حكمتي وأعلنت الحقيقة
لها وهي تغاضبني وهل من جواب أشد وقعاً على الحكمة من أن تهتك سرائرها
ما أحب شيئاً من صميم الفؤاد الا الحياة ، ولا يبلغ حيي لها أشده الا حين
اكرهها . واذا ما انا اندفعت الى الحكمة وأغرقت في الالتجاء اليها فما ذلك الا
لأنها تبالغ بتذكيري بالحياة . فان للحكمة عيني الحياة ولها ابتسامتها ، بل لها
ايضاً شابكها المذهب ، فما حيلتي بهما اذا تشابهتا الى هذا الحد ؟

وعند ما سألتني الحياة عن الحكمة أجبتها : هي الحكمة يشتهيها الانسان
بكل قوته ولا يشبع منها . فهو يحدق فيها ليتبين وجهها من وراء القناع ويمد
اصابعه بين فرجات شباكها متسائلاً عن جماها وما يدريه ما هو هذا الجمال ومع
هذا فان اقدم الاسماك لا تنفك عن الانجذاب الى طعمة شباكها فهي متقلبة شديدة
المراس . ولكم رأيتها تعض على شفيتها وتسرح شعرها ، ولعلها شريرة ومخادعة،
بل لعل لها صفات المرأة بأجمعها فهي لا تبلغ ابعاد مداها في اجتذاب القلوب
الا عند ما تهجو ذاتها . . .

وبعد ان قلت هذا عن الحكمة للحياة ، مرت على شفيتها ابتسامة شريرة
وغيضت من جفنيها قائلة : — عمّن تتكلم . . . لعلك تتكلم عني انا . . . وهل
للانسان ان يعلن مثل هذه الامور بوجه من تعنيه حتى ولو كان محقاً . فما قولك
الآن في حكمتك يا هذا ؟ . . .

وفتحت الحياة المحبوبة عينيها فحسبني عدت الى التدهور في الهاوية البعيدة
القرار

هذا ما تغنى به زارا وما انتهى الرقص وتوارت الصبايا عن ابصاره حتى
تملكه حزن عميق فقال : لقد اختفت الشمس وترطب المرج وقد بدأ الغاب
يرسل لفحاته الياردات . ان شيئاً مجهولاً يدور حولي ويحدجني قائلاً : — ألم
تزل على قيد الحياة ، يازارا ؟ ولماذا انت حي بعد ؟ وما هي فائدة هذه الحياة ؟
ما هو مصيرك والى اين مصيرك أفليس من الجنون ان تبقى في الحياة ؟
ويلاه أيها الصباح ، ان ما يتناجى في انما هو الغسق فاغتنفروا لي شجوني
لقد جاء المساء فاغتنفروا لي قدوم المساء . . .
هكذا تكلم زارا . . .

نشيد القبور

هنالك جزيرة القبور ، جزيرة الصمت والسكون ، وهنالك ايضاً أحداث
شبابي ، فلا حملن اليها إكليلاً من الأزهار الخالدات
بهذا ناجيت نفسي ، فقررت أن أقتحم الغمر
يا لصور الشباب وأشباح أحلامه ، يا لحظات الغرام ! يا لأويقات الحياة
الإلهية ! لقد تراميت سريعاً الى الزوال ، فاصبحت أستعرض ذكرياتك كما
أستعرض خيال الأحبة الراقدين في القبور
إن نفحات الطيب تهب منك يا اعز المضيغات فتروح عن قلبي وتستقطر
مدامعي ، انها لنفحات تستنبض قلب العائم وحيداً على العباب
انا المنفرد أراني أغنى الناس وأجدرهم بالغبطة لأنك كنت لي يوماً أيتها
الذكريات ولما ازل انا لك ، فقولي لي : على م تساقطت ثمراتك الذهبية عن
أغصانها ؟

إنني لم ازل منبتاً لغرامك الذي اورثنيه يا أيام الشباب وبذكرك تنور فضائي
بعد وحشتها بعدد ألوانها الزاهية
وآسفاه ، ما كان اولاك بالأ تفارقيني ، أيتها الأيام الساحرات فقد اقتربت
الي شهواتي لا كأطياف يسودها الذعر بل كأطياف تستأنس بالوائق بنفسه
أجل لقد كنت معدة مثلي للبقاء على العهد الى الأبد ، يا اويقات الشباب ،

وليس لي أن ادعوك خائنة وقد وصفتك بالأويقات الإلهية . لقد مررت سراعاً
ايتها الأويقات الهاربات وما هربت مني ولا انا هربت منك فما انا مسؤول ولا
انت ايضاً عن خيانتك وعن خيانتني

لقد اमतوك طلباً لقتلي ، يا اطيوار آمالي وصوبت الشرور سهامها نحوك لتصل
مخضبةً بالدماء الى قلبي فاصابت هذه السهام مقتلاً مني لانك كنت اعز
شيء لدي بل كنت كل ما املك ، لذلك قضى عليك بالذبول في صباك والزوال
قبل اوانك

لقد صوبت السهام اليك وانت أنعم من الحرير واضعف من ابتسامة تمحوها
نظرة قاسية

فليسمع اعدائي ما اقول :

— إن القتل اخف جرمًا من جنائكم عليّ ، فقد سلبتموني ما لا قبل لي
بالاستعاضة عنه بشيء ، ذلك ما اقوله لكم ، ايها الاعداء . افما قتلتم أحلام شبابي
وحلتم دون اتيانني بمعجزاتي ؟ لقد سلبتم مني تفكيري ، وهأنذا احمل هذا
الاكليل لتذكاره حاملاً معه لعنتي لكم ، ايها الاعداء ، لانكم قصّرت مدى ابدتي
فانقطعت كأنها صوت ينقطع في الزمهرير تحت جناح الظلام فما تسنى لي ان انظر
الى هذه الأبدية إلاّ للحآ لأنها توارت عني بطرفة عين
واتت ساعة ناجتني فيها طهارتي قائلة :

— يجب ان تكون جميع الكائنات إلهية ، وانت ارسلت اليّ الأشباح
المدنسة ، يا ايام الشباب ، فانقضت تلك السانحة وعادت حكمة الشباب تقول لي :
(يجب ان تكون جميع الايام مقدسة في نظري) وما هذه الكلمة إلاّ كلمة الحكمة
المرحة . وعندئذ اتيم ايها الاعداء فحولتم ليالي راحتي الى أرق وهموم ، فأين
توارت هذه الحكمة المرحّة ؟

لقد كنت فيما مضى اتوقع السعادة فأرسلتم على طريقي بومة مروعة مشئومة
فتبددت امانتي العذاب

نذرت يوماً ان ارجع عن كل كراهة ، فحولتم كل ما حولي الى قروح ، فأين
مضت مخلصات نذوري الطاهرات ؟

لقد مررت على سبيل السعادة كفيف البصر فرميت على طريق الاعمي كوماً
من الاقدار فأصبحت كارهاً للطريق القديم الذي تلمسته . وعندما توصلت الى

القيام بأصعب أعماله ، عندما تمكنت من الاحتفال بالانتصارات التي تغلبت فيها على ذاتي اهبطت بمن يحبونني الى الهتاف قائلين بانني اوقعت بهم اشد الآلام والحق انكم لم تنقطعوا عن تشريد خير العائلات في قفيري وتحويل جناها الى علقم مرير ، ولستم ارسلتم الى احساني اشد المتسولين إلحاحاً ودفعتم اهل القحة ليطوفوا باشفائي وهكذا نلت من فضيلتي وهي ممنوعة بإيمانها

وكنت كلما قدمت أقدم ما عندي محرقة للتضحية تسارعون في تقواكم الى إحراق أدسم ذبائحكم لتتصاعد البخرة شحمها مدنية خير ما قدست وطمحت يوماً الى الرقص متعالياً بنفي الى ما وراء السبع الطباق فافسدت علي اعز المنشدين لدي ، فرفع عقيرته بأفطع الاناشيد وقرع اسماعي بنغمات الابواق الحزينة الباكية

لقد كنت قاتلاً أيها المنشد البريء ، اذا غدوت آلة في يد الغدر فقضت نغماتك على خشوعي بينما كنت اتهاً للقيام بأروع رقصي

ما انا بالمعبر عن اسمي المعاني بالرموز إلا عند ما ادور راقصاً ، لذلك عجزت اعضائي عن رسم اروع الرموز بحركاتها . فأرتج علي وامتنع علي ان ابوح بسر آمالي . لقد ماتت أحلام شبابي وفقدت معانيها المعزيات

إنني لأعجب لتحلي هذه الصدمات وأعجب لصبري على ما فتحت في من جراح ، فكيف امكن لروحي ان تبعث من مثل هذه القبور ؟

أجل إن في شيئاً لا تنال منه السهام مقتلاً ، ولا قيل لأحد بدفنه لانه يزحزح الصخور عنه فتتحطم ، وما هذا الشيء إلا إرادتي ، والارادة تجتاز مراحل السنين صامته لا يعترها تحول وتغير. إن إرادتي قديمة لا تنى تدفع قدمي الى السير فهي القوة المتصلبة المتعالية عن الفناء

ليس في من عضو لا يصاب إلا قدمي السائرة الى الامام تدفعها هذه الارادة الثابتة الصامدة المتجلدة التي تخترق المدافن دون ان تنطرح تحت لحودها

إن فيك وحدك يا إرادتي يصمد ما لا تبدده ايام الشباب ، فانت لا تزالين حية وفتية تملك الآمال ، تجلسين على ركام المدافن وقد طبع الزمان عليها قبلاته الصفراء. إنك لن تزالي ايتها الإرادة هدامة لجميع القبور، فسلام عليك يا إرادتي، لانه لا بعث إلا حيث تكون القبور

هكذا تكلم زارا ...

الانتصار على الذات

ليست إرادة الحق في عرفكم ، ايها الحكماء ، إلا تلك القوة التي تحفزكم وتضطرم فيكم ، تلك هي إرادتكم التي اسميها انا (إرادة تصوّر الوجود) فانكم تطمحون الى جعل كل موجود خاضعاً لتصوركم ، وانتم تحاذرون بحق ان يكون هذا الوجود قد احاط به التصوّر من قبل فتريدون ان تخضعوا لإرادتكم كل كائن لتحكموا فيه بالصقل ليصبح مرآة تنعكس عليها صورة العقل هذا ما تطمحون اليه ، يا أحكم الحكماء ، وتلك هي إرادتكم تجاه القوة والخير والشر وتقدير قيسم الاشياء

انكم تريدون خلق عالم يمكن لكم ان تجثوا امامه ، تلك هي نهاية نشوتكم وآخر امنية لكم . ولكن البسطاء الذين يدعون شعباً يشبهون نهرأ تخوضه ابداً مآخرة تقل الشرائع ، وقد جلسن عليها بعظمة وانزلن على وجوههن الحجاب .

لقد ارسلتم إرادتكم وشرعتكم على نهر الزمان ، ولكن إرادة القوة مثلت امامي وكشفت لي حقيقة الخير والشر في اعتقاد الشعوب

وهل سواكم ، ايها الحكماء ، من انزل بإرادته المتسلطة هذه الشرائع في هذه المآخرة وقد حليتموهن بالجواهر واسبغتم عليهن ارواح الاسماء

لقد سار النهر يحملهن بانسيابه وسبهم المآخرة يشق امواجه ومن يبالي بالموجة تقاوم عبثاً في إرغائها وإزبادها

إن الخطر الذي يهدد خيركم وشركم لا يكمن في النهر ، ايها الحكماء ، بل الخطر كل الخطر في إرادة القوة نفسها لانها الارادة الحية الدائمة المبدعة

ان ما سأقوله عن الحياة سيوضح لكم اعتقادي في الخير والشر عند ما اتناول بياني ما تفعل العادات في الاحياء

لقد سايرت الكائن الحي على معابره وأشواطه لاتعرّف الى عادته ، وعند ما كانت الحياة صامته نصبت امامها مرآة بألف ضلع لاستنطق عينيها فكلمتني لحاظها

في كل مكان عثرت فيه على حي . طرقت اذني كلمات الطاعة فما من حي يتعالى

عن الخضوع ، وعرفت ايضاً ان ليس من محكوم في الحياة سوى مَنْ لا قبل له
بإطاعة نفسه . . . تلك هي عادة كل حي . . .

وهذا ما سمعت أخيراً : إنَّ توليَّ الحكم اصعب من الطاعة لان الأمر يحمل
اثقال جميع الخاضعين له وكثيراً ما ترهق هذه الاثقال كواهل الأمرين
إنَّ في كل امر خطراً ومجازفة ، وكل مرة يصدر الحيُّ فيها امراً يقتحم
خطراً

واذا ما تحكَّم الحيُّ في ذاته فانه يؤدي جزية لسلطانه اذ يصبح قاضياً
ومنقذاً وضحياً للشرائع التي يستنّها

وتساءلت عن علة هذه الامور وعن القوة التي ترغم الحيُّ على الاتقياد والتحكم
فتجعله خاضعاً حتى اذا حكم . ولعلني توصلت الى سبر قلب الحياة الى الصميم ،
فاصغوا الى قولي ايها الحكماء

لقد تيقنت وجود إرادة القوة في كل حي ورأيت الخاضعين انفسهم
يطمحون الى السيادة لان في إرادة الخاضع مبدأ سيادة القوي على الضعيف ،
فإرادة الخاضع تطمح الى السيادة ايضاً لتتحكم فيمن هو أضعف منها وتلك هي
اللذة الوحيدة الباقية لها فلا تتخلى عنها

وبما أن الأضعف يستسلم للأقوى والأقوى يتمتع بسيادته على هذا الأضعف
فإن الأقوى يعرض نفسه للخطر في سبيل قوته فهو يجاذف بحياته مستهدفاً
للأخطار

ان إرادة القوة كامنة حتى في مجال التضحية والخدمة المتبادلة وبين نظرات
العاشقين لذلك يتجه الأضعف الى السبل المتلوية قاصداً اجتياز الحصن والتربع
في قلب الأقوى مستولياً فيه على قوته

لقد اودعتني الحياة سرها قائلة : لقد تحتم عليَّ ان اتفوق ابداً على ذاتي .
وانكم لتحسبون هذا الاندفاع إرادة ابداع او غريزة تحفزني الى الهدف الأسمى
والأبعد منالاً بعديد جهاته ، في حين ان ليس هنالك إلا وجهة واحدة وسر
واحد . وانني لأفضل العدم على التحول عن هذه الوحدة

والحق انكم حيث تشهدون انحداراً وسقوط اوراق من الأدواح ، فهناك
تشهدون تضحية الحياة من أجل القوة

لقد وجب عليَّ ان اكون انا الجهاد والمستقبل والهدف وان اكون في الوقت

نفسه الحائل الذي يعترضني في انطلاقي الى هدي لذلك لا يعرف الانسان الطريق
المتعرجة التي عليه ان يسلكها اذا هو لم يدرك حقيقة ارادتي
مهما كان الشيء الذي أبدعه ومهما بلغ حيي له فان عليّ ان انقلب له خصماً ،
وانحوّل عن حيي وحناني ، ذلك ما قضته ارادتي عليّ
وانت ، انت يا من تطلب المعرفة ليس لك من سبيل غير سبيلي فعليك ان
تقتني أثر ارادتي ، وماتقتني ارادتي الا آثار ارادة الحق
ما عثر على الحقيقة من قال بارادة الحياة ، لأن مثل هذه الارادة لا وجود
لها ، وليس للعدم ارادة كما ان المتمتع بالحياة لا يمكنه ان يطلب الحياة
ولا ارادة الا حيث تتجلى حياة ، ومع هذا فان ما ادعوا اليه ان هو الا ارادة
القوة لا ارادة الحياة

ان هنالك اموراً كثيرة يراها الحي ارفع من الحياة نفسها ، وما كان ليري
اشياء افضل من الحياة ، لو لم تكن هنالك ارادة القوة .

هذا ما علمتني اياه الحياة يوماً ، وانا بهذا التعليم أهتك اسرار قلبكم ، ايها
الحكماء ، فأقول لكم : انه ليس هنالك من خير دائم وشر دائم ، لأن على الخير
والشر كليهما ان يندفعا ابداً الى التفوق والاعتلاء

وأنتم ايها الواضعون للقيّم اقدارها بمقاييسكم وموازينكم وبما تقولونه عن
الخير والشر هل كان لكم ان تفعلوا هذا لو لم تكن لكم ارادة القوة ؟ وماتطمحون
في اعماق ضمائركم الا الى الشهرة والشعور بتأثيركم وفيضات ارواحكم . انكم
تجهلون ان في الامور التي تخضعونها لتقديركم قوة اعظم من تقديركم تنمو وتتفوق
على ذاتها لتحطم غلافها وقشورها ، فمن اراد ان يكون مبدعاً سواء اكان في
الخير أم في الشر فعليه ان يبدأ بهدم ما سبق تقديره وبتحطيمه تحطيماً . وهكذا
فان اعظم الشر يبدو جزاء من اعظم الخير ، ولكن هذا الخير لم يُعط ادراكه
الا للبعدين

لقد حق علينا القول ايها الحكماء ، مهما كلفنا الجهر به فان الصمت أشد
وطأة علينا ، لأن كل حقيقة نكتُمها انما تتحول الى سم زعاف فينا ، فلنحطم
الحقائق التي نجهر بها ما يمكنها ان تُحطم فان هنالك ابنية عديدة يجب علينا ان
نرفعها .

هكذا تكلم زارا . . .

العظماء

إن في بحرأ هدأت اعماقه ، فمن يظن انه يخفي مسوفاً دأبها المزاح ؟ ان اغواري صامدة لا تنزعزع ، غير انها تماوج بالمعميات وتتجاوب فيها من الضحك نبرات واصداء .

رأيت اليوم رجلا من العظماء الاجلاء الذين يكفرون من اجل الروح فاستغرقت روحي في ضحكها هازئة بقبحه . غير ان هذا العظيم لم يبد ولم يعد . بل انتفخ صدره كمن يتنفس الصعداء ، فلاح لي بحقائقه المروعة وباثوابه الممزقة غصناً كله اشواك وليس فيه ورود .

ما تعلم هذا القناص الضحك ولا عرف الجمال ، فانه راجع من غاب المعرفة أغبر الوجه بعد ان صارع فيها الوحوش فانطبعت صورهم على سيمائه ، فهو كالنمر يتحفز للوثوب ، وما أحب مثل هذه الارواح المنقبضة على ما تضر .
تقولون ايها الصحاب ، انه لا جدال في الذوق وفي الالوان فكأنكم تجهلون ان الحياة بأسرها نضال من اجل الاذواق والالوان .

ما الذوق الا الموزون والميزان والوازن . . . فويل لكل حي يريد ان يعيش دون نضال من اجل الموزونات والموازن والوازنين
ليت هذا الرجل العظيم يتعب من عظمته ليظهر الجمال فيه فانه في ملاله من هذه العظمة يستحق ان تذوقه فأجده طعماً .

اذا لم يتحول العظيم عن نفسه فلا يمكنه ان يقفز فوق خياله لتغمره أشعة شمس . لقد تقيأ الظل طويلاً ، هذا المفكر من اجل الروح ، فشحب وجهه وكاد في انتظاره ان يموت جوعاً ، وهذه عيناه تشعان بالاحتقار وشفته تترمان بالاشمزاز ، انه يلتبس الراحة الآن ولكنه لم ينطرح تحت الشمس بعد .
ليت هذا الرجل يتمثل بالثور فيفوح من سعادته عبق الارض لا احتقار الارض . ليت كالثور الابيض يعج امام المحراث فيرتفع عجيجه تسبيحاً للارض وما عليها .

لقد اكفهر وجه هذا العظيم إذ تلاعبت على خديه أظلال يده فاخفت عيناه واعماله لم تزل كالخيال تلوح ولا تبدو عليه . فان اليد ترسل ظلاً قائماً على العامل اذا هو لم يتفوق على عمله .

إنني أقدر احتمال هذا الرجل لنير الثور ولكنني أتمنى أن تشع نظرات الملاك في عينيه ، ولن تشع هذه النظرات ما لم ينس ما فيه من إرادة الأبطال . لأن ما أريد له هو أن يصير رجلاً سامياً لا أن يبقى في مرتبة الرجل العظيم حيث يفقد الإنسان ارادته فتتلاعب به اضعف النسمات .

لقد تغلب هذا العظيم على الجبارة وتوصل الى حل الرموز ولكن عليه الآن أن ينقذ هؤلاء الجبابرة وهذه الرموز ليحوّلها الى طفولة الالهية .

أن معرفة هذا الرجل لم تتعلم الابتسام ولا الترفع عن الحسد كما أن موجة شهواته لم تسكن في خضم الجمال . وما عليه أن يدفع بهذه الشهوات الى سكون الشبع بل عليه أن يغرقها في الجمال لأن اللطف لا ينفصل عن مكارم من بلغوا الأوج بتفكيرهم .

على البطل ألا يستسلم للراحة ما لم يضع يده على رأسه ليتفوق على راحته ، وما يصعب على البطل شيء كادراكه الجمال ، لأن الجمال لا يستسلم لأبناء العنف أن بين الإفراط والتفريط قيد انملة ، فلا تحتقروا هذا المدى لأنه بعيد وأن قصر وفيه الاهمية الكبرى . ولكن عضلات العطاء لا تلجأ الى السكون واراقتهم لا تنضب . وما من جمال الا في تنازل القوة الى الرحمة وحلولها في المنظور .

انني لا أطالب بالرحمة سواك ، أيها المقتدر ، فلتكن الرحمة آخر مرحلة تقطعها في انتصارك على ذاتك . وما كنت لأفرض الخير عليك لولا انني اراك قادراً على ارتكاب كل الشرور . ولكم اضحكني أولئك الصعاليك يعدّون انفسهم رحماء وقد شلت يدهم ولا حول لهم ولا طول

عليك ان تتمثل في فضيلتك بفضيلة الاعمدة التي تزداد بهاء ودقة وصلابة في لبابها كلما ازداد ارتفاعها .

أجل ايها الرجل العظيم إنك ستبلغ الجمال يوماً فترفع المرأة الى وجهك لتتمتع برؤية جمالك وعندئذ تختلج روحك بالشهوات وعندئذ تتجلى العبادة في غرورك .

لا يقترب البطل في احلامه الى مرتبة البطل الكامل ما لم يُغفل الروح ويتحوّل عنها .

هكذا تكلم زارا . . .

في بلاد المدنية

ذهبت بعيداً طائراً في اجواء المستقبل فارتعشت وذعرت عند ما نظرت
ما حولي فما وجدت من مُعاصرٍ لي غير الزمان . ولّيت الادبار مسرعاً حتى وصلت
اليكم ، يا رجال اليوم ، ونزلت بينكم في بلاد المدنية ، فألقيت عليكم اول نظراتي
بصفاء نية لأنني جئتكم بقلب مصدوع ، ولا أعلم ما أهاب بي إلى الضحك بالرغم
من ارتياحي ، فان عيني ما رأت من قبل مثل هذه الخطوط والالوان .
ذهبت في ضحكي وقد ارتعش قلبي واصطكت رجلاي فقلت في نفسي (لعل
هذه مصانع الآنية الملونة) .

لقد برزتم امامي يا رجال اليوم ، وعلى وجوهكم واعضاءكم من الالوان
عشرات الانواع ، وحولكم عشرات المرايا تعكس تموجات الوانكم ، والحق انكم
لا تستطيعون ان تجدوا ما تتقنعون به أشد غرابة من وجوهكم نفسها ، فمن له
ان يعرف من انتم ؟

لقد حفر الماضي في وجوهكم آثاره فألقيتم فوقها آثاراً جديدة ، لذلك خفيت
حقيقتكم عن كل معبر وأعجزت كل بيان .

ولو كان لأحد ان يفحص الاحشاء فهل بوسعكم ان تثبتوا ان لكم احشاء
وما انتم إلا جيلة هباب وقطع اوراق ألصقت الصباغاً . وهذه جميع الازمنة وجميع
الشعوب تتراحم مرسله نظراتها من وراء قناعكم كما تفصح جميع حركاتكم عن
تراكم كل العادات والمعتقدات فيكم . فاذا ما نُزعت اقنعتكم وألقيت احمالكم
ومسحت الوانكم ووقفت حركاتكم فلا يبقى منكم الا شبح ينصب مفرعة
للطيور .

والحق ، ما أنا الا طائر مروّع ، لأنني رأيتم يوماً عراة لا تستركم الوانكم
فاستولى الذعر عليّ اذ انتصبتم امامي هياكل عظام تومئ اليّ باشارات العاشقين
انني افضل ان اكون من عمّال الجحيم وخدام الاشباح ، لأن لسكان الجحيم
ما ليس لكم من شخصية معينة ، وأمر ما القاه هو ان انظر اليكم سواء استترتم
أو تعريتم ، يا رجال اليوم . . .

ان جميع ما يدعو الى القلق في آتي الزمان وجميع ما ارتاعت له في الماضي
تأوهات الطير ، انما هو ادعى الى الاطمئنان والارتياح من حقيقتكم ، لأنكم

انتم القائلون : (انما نحن الحقيقة المجردة عن كل خرافة واعتقاد) وبهذا تتبجحون وتنتفخون دون ان يكون لكم صدور .

وهل من عقيدة لكم وانتم المبرقشون بجميع ما عرف الزمان من الوان حتى اليوم ؟ وهل انتم الا دحض صريح للايمان نفسه وتفكيك للافكار جميعها ؟ فانتم كائنات أو هام يا من تدعون انكم رجال الحقائق .

لقد قامت العصور كلها تتعارك في تفكيركم ، وما كانت هذه العصور في احلامها وهذيانها الا اقرب الى الحقيقة من تفكيركم وانتم منتهون .
بليتكم بالعقم ففقدتم الايمان وقد كانت للمبدع أحلامه وكواكبه قبلكم فوثق من ايمانه

ما انتم الا ابواب فتحت مصاريعها لحفار القبور ، وما حقيقتكم الا القول بأن كل شيء يستحق الزوال

انكم تنتصبون أمامي كهياكل عظام متحركة ، ايها المبتلون بالعقم ، ولا ريب في ان اصرركم لم يخف عليه امر عند ما تساءل : (هل اختطف إله مني شيئاً وانا نائم ؟) والحق ان ما سلب مني يكفي لايجاد امرأة ، فما اضعف اضلاعي) هكذا يتكلم العدد الوفير من رجال هذا الزمان

إن حالكم ليضحكني ايها الرجال ، ويزيد في ضحكي انكم لانفسكم مستغربون . ولشد ما يكون ويلي لو امتنع علي ان اضحك من استغرابكم ولو اضطرت الى ازدراد ما في اوعيتكم من كره الطعام

إنني أستخف بكم لما على عاتقي من ثقل الاحمال فما يهمني لو نزل عليها بعض الدباب فإنه لن يزيدها ثقلاً وما انتم من يحملني اشد الاتعاب ايها المعاصرون

وأسفاه ! الى اية ذروة يجب علي ان ارتقي باشواق فاني ادير لحاظي من أعالي النرى مفتشاً عبثاً عن مسقط رأسي راوطاني ، فانا لا ازال في اول مرحلتي تائهاً في المدن أتنقل امام ابوابها

لقد اندفعت بعواظي نحو رجال هذه الايام ، ولكنني ما لبثت ان تبينت فيهم قوماً غرباء عني لا يستحقون إلا سخريتي ، وهكذا اصبحت طريداً يتشوق الى مسقط رأسه وأوطانه . ولا وطن لي بعد الآن إلا وطن ابنائي في الارض

المجهولة وسط البحار السحيقة ، لذلك وجب عليّ ان اندفع بشراعي على صفحات
المياه لأفتش عن هذا الوطن
عليّ ان أكفر عن ذنبي امام ابنائي لانني كنت ابناً لآبائي . عليّ ان أكفر
عن حالي العتيد بكل جهودي في آتي الزمان
هكذا تكلم زارا ...

المعرفة الطاهرة

عند ما أطلّ القمر عليّ ليلة امس خيل اليّ انه أنثى أثقلها الحبل وكأن في
احشائها كوكب النهار . وقد جاءها المخاض وانا أميل الي تذكر القمر مني الي
تأنيته وان خلا من صفات الرجولة فانه رائد ليل يمر على السطوح وقد ساءت
نواياه ، فهو كالراهب المتدفق شهوة وحسداً يتمنى لو يتمتع بمسلذات جميع
العاشقين

لا ، انني لا احب هذا الهر المتجول على مزاريب السطوح ، لانني اكره كل
متلبص امام النوافذ التي لم يحكم إقفالها
ان القمر لير خاشعاً متعبداً على بساط النجوم وانا اكره كل من ينساب في
مشيته فلا تسمع وقعاً لاقدامه . فان خطوات الرجل الصريح تستنطق
الارض ، وما يمشي الهر إلا متجسساً ، وهذا القمر لايتقدم إلا بخطوات الغدر
كالهر

ما اوردت هذا المثل إلا لكم وعنكم يا ابناء الخبث وقد ارهقكم احساسكم
لطلب المعرفة الصافية ، وما انتم في نظري إلا عبيد الملهذات لانكم انتم ايضاً
تحبون الارض وما عليها ومنها . لقد عرفت طويتكم فاذا في حبكم ما ينجل وما
يفسد الاخلاق ، فما أشد شبهكم بكوكب الليل

لقد اقنعوكم بان تحرقوا كل ما ينشأ من التراب ، ولكن هذا الاقناع لم
ينفذ الي احشائكم ، واحشاؤكم هي أقوى ما فيكم ، وهكذا اصبح عقاكم خجلاً
من سيطرة احشائكم عليه ، فهو يتبع الطرق الخفية المضللة فزعاً من خجله .
انصتوا الي مناجاة عقلكم لنفسه فهو يقول : ليت لي ان ارتقي الي حيث انظر الي
الحياة محرراً من الشهوة فلا ألهث امامها ككلب يدلي لسانه وقد شفه السغب
من شهوته

ليت لي ان أسعد بالتأمل متفوقاً على إرادتي متحرراً من خساسة الانانية
ومطامحها فيسود عليّ السلام ولا يبقى لعيني سوى لحظات القمر الثملة
ان عقلكم يطلب التملص من ذاته لانه طريد يشتهي ان يتعشق الارض كما
يتعشقها القمر فلا تتمتع إلا عيونكم بجهاها
ان المعرفة الطاهرة لا تحتلّ عقولكم ما لم ينبسط امام الاشياء دون
امتلاكها مكتفياً بانعكاس اشباحها عليه كما تنعكس الاشباح على مرآة لها مئات
العيون

ايها الخبيثاء المتحرّقون بالشهوات ، لقد خات شهوتكم من الطهارة فلذلك
تجدّفون على الشهوة ، فأنتم لا تحبون الارض كما يحبها المبدعون والمجددون
الذين يسرون بما يبدعون وبما يجددون . فلا طهارة إلا حيث تنجلي إرادة
الابداع ، فمن اتجه الى خلق من يتفوق عليه فذلك عندي صاحب اطهر إرادة
وانقاها .

طلبت الجمال فما وجدته إلا حيث تنصبّ الارادة بأكملها الى المراد ، وحيث
يرتضي الانسان بالزوال لتجديد الصور وتبديلها ، فالمحبة والموت صنوان
متلازمان منذ الازل فمن أراد المحبة فقد رضي بالموت . هذا ما اقوله لكم ايها
الجبناء

ولكن نظراتكم المنحرفة المؤنثة تحب الاستغراق في التأمل فتريدون
ان يدعى جمالاً ما تجدونه انتم بعين الحذر والجبن ، انكم لتدنسون أشرف
الاسماء

ان اللعنة التي تحمل بكم ، ايها السائرون وراء المعرفة الطاهرة انما هي عجزكم
عن التوليد في حين انكم تلوحون كالحبالى المثقلات على الآفاق
انكم تحشون افواهكم بأنبال الكلمات لا يها منا بأن قلبكم يتدفق عطفاً وما
انتم إلا منافقون

لقد أخشنت القول لكم فكلماتي مشوهة ذرية ، غير انني اتناولها من
الفتات المتساقط من موائد ولائمكم فاستعملها حين أعلن الحقيقة للجبناء وهذا
ما بيدي من حسك وأصداف يخذش آفانكم ايها الخبيثاء
ان الهواء الفاسد يهب بلا انقطاع حولكم وحول ما ديبكم لانه مشبع من
افكاركم الدنسة واكاذيبكم وخداكم

عليكم أن تبدأوا باطراح خوركم لتتوصلوا الى الوثوق بأنفسكم فما ينقطع
عن الكذب من لا ثقة له بنفسه
لقد اخفيتم وجوهكم بأقنعة الآلهة ايها الرجال الاتقياء فأنتم ديدان قبيحة
تتشح برداء الأرباب

انكم لجد متبجحون يا رجال التأمل ، حتى ان زارا نفسه أخذ بمظاهر
جلودكم الالهية خفيت عنه الافاعي الكامنة وراءها
لقد كنت ارى في عيونكم روح إله ايها الطالبون المعرفة الطاهرة ، قبل ان
تكشف لي تصنعكم فعرفت انكم أمهر المتصنعين
لقد بعد المجال بيني وبينكم فما تميزت فيكم الثعبان القبيح ، ولا وصلت الي
رائحته الكريهة ، وما خطر لي ان امامي حرباء تتلون بشهواتها ، ولكنني عندما
اقتربت منكم تبددت الظلمة حولي . وها ان الفجر يغمركم بانواره فكل قر
جنوح الى الغياب في شهوته . انظروا الى هذا القمر فهو في أفقه شاحب مذخور
وقد باغته الفجر بانواره المرسلة ، فكل شمس يتجلى حبها الطاهر في تشوقها الى
الابداع

اما ترون الفجر ينسحب على البحر وقد احتاجه الشوق والحنين ؟ انما
تشعرون بظمأه في حبه وحر انفاسه ، فكأنه يريد ارتشاف اللجج . وها هي ذي
تتعالى نحوه بألاف نهودها ، واللجة نفسها متشوقة الى وصال كوكب النهار
ليرشفها ارتشافاً فتتحول الى سحب ومسالك انوار ، بل هي نفسها تفتنى في النور
متحولة الى نور

وانا كوكب النهار احب الحياة وكل لجة بعيدة الأغوار ، تلك هي معرفتي .
انني اجتذب كل غور ليتعالى الي ...
هكذا تكلم زارا ...

العلماء

وكنت نائماً فاذا نعجة تتقدم فتقضم الغار المعقودا كليل على رأسي ، فكانت
تعمل انيابها فيه وتقول : لم يعد زارا من العلماء
وذهبت بعد ذلك مزدرية متفاخرة . ذلك ما اخبرني احد الاولاد
احب ان استلقي على الأرض حيث يلعب الاطفال تحت الجدار المتهدم وقد

نبت في شقوقه العوسج والشقائق الحمراء . فاني لم ازل عالماً في عيون الصغار وفي
عيون العوسج والشقائق الحمراء . لانها طاهرة حتى في أذيتها
انا لم أعد عالماً في نظر النعاج . تبارك حظي فهذا ما قضي به علي . والحقيقة
هي انني هجرت مسكن العلماء فخرجت منه جاذباً بابه بعنف وراي
لقد جلست روعي الجائعة طويلاً الى الخوان ، وما أنا كالعالماء متطعم على
المعرفة كمن اتخذ كسر القشور مهنة له ، فانا عاشق الحزينة والسير في الهواء الطلق
على الارض الباردة كما أفضل ان أتوسد جلود الثيران على افتراش امجاد العلماء
وألقابهم

إن بي من الحماس ومن لهب الفكر ما يقطع عليّ انفاسي فلا يسعني الا
الاندفاع الى رحب الفضاء هارباً من الغرف المكسوة بالغبار
ولكن هؤلاء العلماء يتفياون الظلال فلا يقتحمون السير على المسالك التي
تلهبها حرارة الشمس ، بل يكتفون بالاستكشاف كالمترجين يفتحون اشدائهم
وينظرون الى المارة في الشارع . هكذا يفتح العلماء اشدائهم وينتظرون اتقاد
شرارة الفكر في ادمغة المفكرين . واذا ما لمستهم بيدك تطاير الغبار ما حولهم
كأنهم اكياس من الحنطة ، ولكن لا يظن أحد أن هذا الغبار المتطاير منهم
هو دقيق السنابل الصفراء التي يتشح بها الصيف في زهوه
إذا ما تظاهر العلماء بالحكمة ، فان حقائقهم وأحكامهم تهزني برعشة البرداء
إذ تنتشر منها روائح المستنقعات ، ولكم اسمعتني حكمتهم تقيق الضفادع
ان هؤلاء العلماء مهارتهم ولا ناملهم لباقتها ، فليس من نسبة بين صراحتي
وتعقيدهم ، فاناملهم لاني تغزل وتحيك ناسجة للعقل ما يستره . فهم كالساعات
اذا ما أحكم ربط رقاصها دلت بضبط على سير الزمان واسمعتك طقطقة خافتة .
انهم يعملون كحجر الرحي فيطحنون كل ما تلقى اليهم من حبوب ، وكل منهم
يراقب حركة أنامل الآخرين ، وجميعهم يتلهمون بالنكيات ويترصدون من يتعارج
بعلومه ، فهم أشبه بالعناكب في تلصصهم . ولكم رأيتم يستقطرون سمومهم
بكل حذر سائر في ايديهم بقفازات من زجاج . ولهم مهارة خاصة بلعب النرد المزور ،
ولكم انحنوا فوقه والعرق يتصبب من وجوههم
لا صلة بيني وبين هؤلاء الناس فان فضائلهم تبعد عن فضائلي باكثر مما تبعد
عنها اكاذيبهم وزرهم المزور

وما وجدت مرة بينهم إلا وكنت فوقهم ، لذلك ابغضني هؤلاء العلماء .
فإنهم لا يطيقون أن يسمعوا بمرور أي كان فوق رؤوسهم ، ولذلك وضعوا
الآخشاب فوق رؤوسهم ، وأهالوا فوقها التراب والاقذار ليخنقوا وقع أقدامهم ،
ولم يزل حتى اليوم أكثرهم علماً أقلهم إدراكاً لأقوالهم
لقد نصبوا بيني وبينهم حائلاً كل ما في الإنسان من ضعف وضلال ، وهم
يدعون هذا الحصن لمسكنهم بالسقف المستعار
ولكنني بالرغم من كل هذا لا أزال أمشي فوق رؤوسهم وأنا أنشر
أفكاري . ولو أنني مشيت على عيوي فلن أزال ماشياً فوق جباههم ، ذلك لأنه
لا مساواة بين البشر ، وهذا ما يهتف به العدل ، فما أريده أنا لا حق لهم بأن
يتناولوه بأرادتهم
هكذا تكلم زارا . . .

الشعراء

وقال زارا لأحد أتباعه : منذ بدأت أعرف حقيقة الجسد لم تعد الروح روحاً
في نظري إلا على اضيق مقياس ، وهكذا صرت أرى (كل ما لا يفنى) رمزاً
من الرموز .
فأجاب التسابع قائلاً : لقد قلت هذا من قبل يا زارا ولكنك أضفت إليه
قولك « وكثيراً ما يكذب الشعراء » فلماذا قلت هذا ؟
فقال زارا : أنت تسأل لماذا ، وما أنا ممن يحق عليهم أن يُسألوا . ما أنا ابن
الأمس وقد مر زمان طويل على إدراك أسباب ما ارتأيه ، وهل أنا خزنة
تذكرات لأحفظ الأسباب التي بُنيت عليها آرائي ؟ إنما يكفيني عناء أن أحفظ
هذه الآراء نفسها ، أفليس في العالم عصافير تشرد من أمانها ، ولكم وجدت
في قصصي من طير غريب يرتجف إذا ما أمررت عليه يدي ومع ذلك فماذا قال لك
زارا يوماً ؟ لقد قال إن الشعراء كثيراً ما يكذبون ، وهل كان زارا نفسه إلا
واحداً من هؤلاء الشعراء ؟ أفتحسب أنه بهذه الصفة قد أعلن الحق ؟ وما الذي
يكركهك على تصديقه ؟

فقال التسابع : انني مؤمن بزارا .

أما زارا فهز رأسه وابتسم قائلاً : ليس الإيمان بما يرضيني حتى ولو كان هذا

الايان معقوداً عليّ ، ولكن اذا قال انسان بكل جد : ان الشعراء يكذبون ، فانه ليقول حقاً لاننا نحن الشعراء نكذب كثيراً ، ولا بد لنا من الكذب ما دام ما نجده من العلم قليلاً . ومن من الشعراء بيننا لم يغش شرا به وفي سراديبنا تستقطر السوائل المسمومة ؟ ولكم فيها من امور يقصر عن وصفها البيان . ان افتقارنا في المعرفة يهيب بنا الى محبة مساكين العقول وبخاصة الى محبة مسكينات العقول الفتيات . . . فنحن نعود بشهواتنا الى الامور التي تتحدث عنها العجائز في السمر ونقول ان ما نبحث فيه انما هو قضية المرأة الابدية .

يخيل لنا ان امامنا طريقاً سوياً يؤدي الى المعرفة وان هذا الطريق لا ينكشف لمن يدركون الامور بالعلم ، فنحن لا نؤمن الا بالشعب وبمحكمته . فالشعراء جميعهم يعتقدون ان الجالس على منحدر جبل مقفر يتنصت الى السكون يتوصل الى معرفة ما يحدث بين الارض والسماء . واذا هم هزّهم الشعور المرهف خيل لهم ان الطبيعة نفسها اصبحت مغرمة بهم فيرونها تنحني على آذانهم لتلهمهم البيان الساحر والاسرار ، فيقفون مباهين بالهامهم امام كل كائن يزول .

واأسفاه ! ان بين الارض والسماء أموراً كثيرة لا يحلم بها الا الشعراء وهناك أمورٌ أخرى كثيرة فوق السماء ، فجميع الآلهة الا رموزاً ابدعها الشعراء والحق اننا منجذبون أبداً الى العلياء ، الى مسارح الغيوم فنرسل اليها أكرأ منفوخة ملونة ندعوها آلهة وبشراً متفوقين . والحق انهم من الخفة على ما يجعلهم اهلاً لاقتعاد مثل هذه العروش .

ويلاه ! لكم تغبت من كل قاصر يطمح الى جعل نفسه شيئاً معدوداً ؟
ولكم اتعبنى الشعراء ؟

وما نطق زارا بهذا الكلام حتى ثارت نفس تابعه ، ولكنه كظم غيظه فسكت وسكت زارا ايضاً وغيّض نظره كأنه يستر أقاصي نفسه ، ثم تنفس الصعداء وقال : انا من الامس ومن الزمن القديم ولكن في شيئاً من الغد وبعده ومن الآتي البعيد . فقد اتعبنى الشعراء الاقدمون منهم والمجددون فما هم في نظري الا رغبة لا صريح تحتها ، بل هم اسرة بحار جفت مياهها . ان افكارهم لم تنفذ الى الاغوار ، وقد وقف شعورهم عند اول جرفها . وخير ما ترى في تأملاتهم قليل من الشهوة وقليل من الضجر فليست بحورهم الا مجالات تنزلق على تقاعيلها الاشباح فهم لم يدركوا شيئاً بعد من القوى الكامنة في النبرات . لم يبلغ

الشعراء درجة النقاء فهم يعكرون جداولهم ليخدعوا الناس ويوهموهم انها بعيدة الغور ، انهم يريدون أن يقيموا أنفسهم موفقين بين مختلف المعتقدات غير أنهم لا يزالون رجال العمل الناقص السائرين على السبل المتوسطة الحائرة فهم يعكرون المياه بأقذارهم .

وأسفاه لقد القيت شبكي في بحارهم آملا اصطياد خير الاسماك ولكنني ما سحبت هذه الشباك مرة الا وقد علق فيها رأس إله قديم . وهكذا كان يجود البحر بحجر على الجمائع . ولعل الشعراء انفسهم خرجوا هم ايضاً من البحر وفيهم ولا ريب بعض اللائىء ، فهم اشبه بنوع من المحار المنع بأصدافه ، ولم وجدت في داخلهم بدل الروح شيئاً من الرغبة المالحه . ان الشعراء يقتبسون من البحر غروره ، وهل البحر الا أشد الطواويس غروراً ؟ فهو حتى امام اقبح الجواميس يدخرج امواجه ويبسط أطالس مراوحه وأطراف وشاحه المفضض فيحدثه الجاموس بنظرات الغيظ لأن روحه المقتربة من الشاطئ لا تزال ملتصقة بمعافه ومرعاه فما يبالي بالجمال وبالبحر وببهاء الطواويس . هذا هو المثل الذي اضربه للشعراء . والحق ان فكرهم لطاووس مغرور بل هو بحر من الغرور ، ففكر الشاعر يطلب مَنْ يشاهده حتى ولو كان المشاهد جاموساً . لقد أتعبني هذا الفكر وسوف يأتي زمان — وهو قريب — يتعب فيه هذا الفكر من ذاته .

رأيت بعض الشعراء يتحولون عن الشعر ويوجهون النقمة الى ما كانوا عليه ورأيت من يقدّمون كفارة للفكر ، وما نشأ هؤلاء المكفرون عن الضلال الا بين الشعراء .
هكذا تكلم زارا . . .

الحادثات الجسام

على مقربة من جزر زارا السعيدة ، تقوم في البحر جزيرة فوقها بركان يقذف حممه عليها بلا انقطاع ، ويقول الشعب وبخاصة العجائز فيه : إن هذه الجزيرة منتصبه صخوراً يسد باب الجحيم ، غير ان هنالك منفذاً ضيقاً يخترق البركان وينتهي الى هذا الباب
في ذلك الزمان ، حين كان زارا يسكن جزره السعيدة ألقى مركبٌ مرساته

أمام الجزيرة التي يعلوها الجبل المشتعل . ونزل بحارته الى البر ليقتنصوا بعض الأرانب ، وما حان وقت الظهيرة واجتمع القبطان برجاله بعد ان لمواشعئهم حتى رأى هؤلاء الناس رجلاً يخرق الفضاء بغتة اليهم ثم اقترب منهم وصاح بهم بصوت جلي قائلاً : لقد حان الزمن ، لقد اقترب كثيراً . . .

ومر بهم الشيخ مسرعاً وهو يتجه الى البركان ، فتميزوا به شخص زارا لانهم كانوا رأوه من قبل جميعهم ما عدا القبطان وأحبوه كما يحب الشعب من يخشى

فقال شيخ البحارة — هذا زارا يسير الى الجحيم وفي الزمن الذي نزل فيه البحارة الى جزيرة اللهب ، كان شاع اختفاء زارا بين الناس وقال صحبه لمن سألوا عنه : انه ابجر على مركب تحت جناح الظلام ولم يعرف أحد الوجهة التي يقصدها

هكذا ساد القلق من اختفاء زارا ، وبعد ثلاثة ايام زاد هذا القلق بعد أن أخبر البحارة بما رأوا ، وشاع بين الشعب ان إبليس قد اختطف زارا ، ولكن صحب زارا لم يأبهوا لهذه الاشاعة بل ضحكوا منها وقالوا : ان ما نعتقده هو ان زارا قد اختطف الشيطان

غير ان اختفاء زارا كان يشغل بال صحبه ، وما مضت خمسة ايام حتى عاد اليهم ، فكان سرورهم عظيماً

وهذا ما نقله زارا لهم عن حديثه مع كلب النار . قال : إن للأرض جلداً ولهذا الجلد امراضه ، وأحد هذه الامراض الإنسان وهناك مرض آخر يدعى كلب النار ، وقد كان هذا الكلب السبب في تناقل الناس الاكاذيب وتصديقهم لها . وما اجتزت البحار إلا لا كشف هذا السر فرأيت الحقيقة عارية من أخص قدميها حتى عنقها ، فما تخفى عني الآن حقيقة كلب النار ، وحقيقة جميع أبالسة التمرد والاقذار التي لا تتفرد العجائز بالدعر منها

لقد هتفت قائلاً : اخرج من أغوارك ايها الكلب الناري وقل لي كم هي عميقة اغوارك ومن اين تأتي بما تنفثه علينا . انك تكرر من البحر بشراة ، وذلك ما تم عليه مرارة الملح في ثرثرتك ، والحق انك وأنت كلب الاغوار لا تستمد غذاءك إلا من الاماكن السطحية ، فما انت إلا كالمتكلم من بطنه لأننى في كل مرة سمعت فيها اقوال أبالسة التمرد والاقذار تبينتهم أشبه بك في دناءتك

واكاذيبك . لقد اتفقت انت معهم على النباح واتفقتم جميعكم على ذر الرماد ونشر
الظلام فأنتم اعظم المتفافرين وتعرفون كيف تدفعون بالآو حال الى الفوران
وحيث تكونون لابد ان تحيط بكم الوحول وكل ما هو إسفنجي مضغوط ضيق
المسام وما يطلب الانطلاق إلا من اتصف بهذه الصفات . والحرية هي الصرخة
التي تفضلونها غير اننى فقدت ايماني بالحداثات الجسام منذ رأيت الصراخ والدخان
يتعالىان حولها

صدقنى يا إبليس الثورات الصاخبة الجهنمية ، ليست اعظم الحداثات في اكثر
ساعاتنا ضجيجاً بل هي في أعماقها صمتاً . وما يدور حول موجدي الشغب الجديد
بل هو يدور على محور موجدي النظم الجديدة

لا بد لك ايها الشيطان من الاقرار بسخافة ما كانت تنقشع عنه قرقتك
وضباب دخانك وهل من جسام الامور ان تتحول مدينة الى مومياء وان يتداعى
حامود الى الاو حال ؟ وهذه كلمة اخرى اوجهها الى هدامي الاعمدة : ان اقصى
الجنون هو في إلقاء الملح الى البحر وفي إسقاط الاعمدة الى الوحول ، لان هذه
الاعمدة كانت مطروحة على ازحال احتقاركم وها هي ذي تنهض بسماء الآلهة
وقد انطبع عليها الالم الساحر . فهي والحق تدين لكم بالشكر لانكم اسقطتموها
ايها الهادمون

وها أنذا الآن اسدي النصيح للملوك والكنائس ولكل من اضعفته
الفضيلة او اهرمه الزمان فأقول : دع القوة تسقطك لتعود الى الحياة فترجع
الفضيلة اليك

هكذا تكلمت امام كلب النار ، فقاطعنى بهريه قائلاً : (الكنيسة ، وما هي
هذه الكنيسة ؟) فقلت : إن الكنيسة شيء أشبه بالدولة ، بل هي من اكذب
انواع الدول ، ولكن صه ايها الكلب ، فانك اخبر بنوعك من اي كان . انما
الدولة حيوان خبيث على شاكلتك فهي تحب ان تتكلم وترسل بيانها دخاناً وهريراً
لتخدع الناس وتجعلهم يعتقدون بأن اقوالها مستمدة من غور الامور . فهي
تريد ان تكون اعظم حيوان على وجه الارض والعالم يراها على ما تريد (*)

(*) لا ريب في ان زارا لا يقصد بهذا الوصف الا الدول القابضة على عنق الشعب بالحكم
المطلق

وظهرت على وجه الكلب افظع معاني الحسد فصاح: ماذا تقول وهل يعتقد احد ان الدولة هي أعظم حيوان على الارض ؟

قال هذا وخرجت من بين شذقيه إعصار من الدخان وازداد هريره حتى حسبته مقتولا بغيظه . ولكنه ما لبث حتى استعاد السكون فقلت له : — لقد تملكك الغيظ ، يا كلب النار ، وذلك دليل على اننى اقول الحق عنك . وهأنذا استمرُّ في إعلان الحقائق فأحدثك عن كلب آخر من اتباع النار وهذا الكلب يتكلم حقيقة من قلب الارض ، فلهائه من ذهب ، وما يحسب حساباً للرماد والدخان والزبد الحار فإن حوله ترتفع قهقهة تنتشر كأنها سحب يزهو بعديد الوانه . وهو عدو هريك وزبد شذقيك وما في احشائك من الاختلال . ان هذا الكلب يأخذ الذهب والضحك من قلب الارض لأن قلب الارض من ذهب ، فاعلم هذا أنت .

وغلب الكلب على أمره عند سماعه هذه الكلمات فارخى ذيله خجلاً وبدأ يعوي وهو يزحف زحفاً الى مغارته

هذا ما سرده زارا لأتباعه ولكن أتباعه ما كانوا يبالون بما يقول وقد اشتدَّ شوقهم الى إخباره عما حدث للبحارة والرجل الطائر في الهواء

ولما سمع زارا ما قصَّوه عليه قال : ماذا عساني اظن بما قلتم ؟ أفأكون شبحاً من الأشباح ؟ ولعل ما رأوه لم يكن سوى خيالي ولعلكم سمعتم حكاية المسافر وخياله ، غير انه من الواجب عليّ ان اشدّد النكير على خيالي فلا يذهب كما يشاء نائلاً من شهرتي

وهزَّ زارا رأسه بتعجب متسائلاً عما يقوله في هذا الحادث وهو لا يدري لماذا هتف الخيال قائلاً : لقد اقترب الزمان هكذا تكلم زارا . . .

العراف

« . . . ورأيت الناس يستولي عليهم حزن عميق ، وقد وهنت قوى خيارهم فيما يعملون . فانتشر تعليم يؤدي الى الايمان في ان كل شيء باطل ومتشابه وقيد الزوال . فتجاوبت الاصداء في الهضبات مرردة : كل شيء باطل ومتشابه وقيد الزوال .

لقد حصدنا ولكن غلالنا اكمد لونها وتهرأت ، فأني شيء تساقط تحت
جنح الظلام من وراء كوكبه اللئيم ؟
لقد ذهبت جهودنا سدى وفسد خمرنا فاستحال سماً زعافاً فكأن عيناً حاسدة
اصابت حقولنا وقلوبنا فأذوتها
جففنا جميعنا فاذا نزلت بنا حارقة فلا يتطاير منا غير الرماد . لقد تعب منا
كل شيء حتى لسان اللهب
فاضت الينابيع امامنا وتراجع البحر عنا وقد زلزلت الارض تحت اقدامنا
ولكنها لم تغرفاها لتوارينا . فمن لنا يبحر نغرق فيه ، اننا نصرخ طالبين البحر
فيذهب صوتنا بدداً على سطوح المستنقعات
والحق اننا بذلنا اقصى جهودنا طلباً للموت ولما نزل جثثاً تحيا وعيونها
باحظة طي اللحود . »

هذا ما قاله احمد العرافين فذهب قوله نافذاً قلب زارا فبدله تبديلاً ،
واصبح زارا حزيناً متعباً يضرب في الارض شبيهاً بمن ذكرهم العراف في نبوءته
وقال زارا لأتباعه : لن يمضي زمن طويل حتى ينسدل هذا الغسق القاتم على
وجه الارض ، وانا احذر الا اجد وسيلة للعبور بنوري الى ما وراءه فأنقذه من
الانطفاء . هل من حافظ له بين هذه الاحزان وانا قد اعددت له ليضيء في العوالم
البعيدة ويشع في طيات الظلام السحيق
وسار زارا شاردأ يحمل همه في قلبه ، فأمضى ثلاثة ايام لا يذوق فيها طعاماً
ولا شرباً ولا يعرف الراحة حتى وقف لسانه عن الكلام فاستغرق في نوم عميق
وجلس . صحبه حوله يسودهم القلق طوال الليالي متوقعين ان يفيق ليردوه عن
احزانه .

وافاق اخيراً نخطبهم بصوت كأنه ترديد صدى بعيد قائلاً :
(أصغوا اليّ ، ايها الصحاب ، لأقص عليكم ما رأيته في حلمي وساعدوني
على تعبيره ، فان حلمي قد اغمض عليّ ولم يزل معناه كامناً فيه
رأيتني هجرت الحياة واخترت مهنة حارس للقبور على الجبل المقفر حيث
يرتفع قصر الموت ، فكنت أحرس النعوش وهي اسلاب النصر تغص بها
الدهاليز المظلمة ، فكنت ارى الساقطين في معترك الحياة المسجّين في التوابيت
المغطاة بالزجاج يحدجونني بنظراتهم المروعة . وهناك نشقت عرف الابدية غباراً

يتطير على روعي فيرهقها ولا أستطيع ان انفض عنها هذا الغبار الثقيل
وكانت أصداء الليل تدور بي ومعها شبح العزلة والافتراق ، فكان رفيقي
سكون الموت تتعالى فيه من حين الى حين حشرة المدنفين
وكننت احمّل المفاتيح وقد علاها الصداً اعالج بها اصب الابواب فتصرف
مصاريعها بصراخ أبح لئيم يذهب مدوياً في الدهاليز كأن الدرفات اجنحة اطياف
تنكش وتنق متملة ممن يريد تنبيهها من رقادها
وعند ما كان يخيم السكوت بعد هذا الدوي كان يبلغ رعي أشده فأبقى
وحدي محاطاً بهذا الصمت الرهيب
ومر الزمان متمهلاً ، لو صبح ان في مثل هذه الرؤى زمان ، الى ان وقع
ما افقت له مذعوراً .

قرع الباب ثلاث مرات بدوي كأنه الرعد القاصف ، فتهتف الدهاليز ثلاث
مرات بصدى كأنه الزئير ، وتقدمت الى القفل اعالجه فلم يتزحزح قيد انملة ،
وهبت العاصفة بشدة فدفعت بالمصراعين ورمت اليّ بنعش اسود وقد تصدّع
الهواء بالصفير والولولة وسقط النعش فأنحطم وخرجت منه آلاف من القهقهات
فرايت آلافاً من الاطفال والملائكة وطيور البوم والمجانين والفراشات الضخمة
يطفرون حولي ساخرين

واستولى الخوف عليّ فاذا انا مطروح على الارض اصرخ صراخاً مريعاً
فانتبهت لصوتي مذعوراً .

وسكت زارا لحظة وهو حائر فاذا بأحب اتباعه اليه ينهض ويقبض على يده
قائلاً : « إن تعبير رؤياك انما هو في حياتك نفسها يا زارا . أفلمت انت النعش
وقد حشدت الحياة فيها سيئاتها وعبوس ملائكتها ؟ أفلمت زارا يجتاح اللحد
مقهقها كالاطفال ساخرين على القبور الخافرين لها ، مستهزئاً بكل من
تقرع المفاتيح في ايديهم .

لسوف يذعر هؤلاء الناس منك فيطرحهم ضحكك ارضاً فيغمى عليهم ثم
ينتبهون وبذلك يثبت عليهم سلطانك .

لقد اطلعت لنا كواكب جديدة في الآفاق ونشرت من الليل ما كنا نجهله
من البهاء . والحق انك مددت ضحكك فوق رؤوسنا فأظلمنا بعدد الوانه . فنذ

الآن ستتعالى قهقهة الاطفال من النعوش وستعصف من الجهود القاتلة الريح التي تتوقعها .

لقد مثلت نفسك اعداءك فأزعجتك رؤياك ، ولكنك انتبهت منسلخاً عنهم وعدت الى روعك ، وهم ايضاً سينتبهون فيرجعون اليك .

هكذا تكلم التابع ، فدار سائر الاتباع بزارا يشدون على يديه محاولين اقناعه بالنهوض من فراشه والانسلخ عن احزانه ليعود اليهم ، غير ان زارا بقي جالساً على فراشه وعيناه جاحظتان كأنه عائد من سفر بعيد لا يعرف ممن حوله احداً ، ولكن اتباعه رفعوه وأوقفوه فانتبه فجأة وتغيرت سحنته فد يده يداعب شعر لحيته ورفع عقيرته قائلاً :

— كل هذا سيكون عند ما يحين زمانه . فأعدوا لنا غذاء طيباً الآن لا كفر عن الرؤيا التي رأيت ، غير ان العراف سيجلس الى جنبي ليأكل ويشرب معي وسأريه بحراً يغرق فيه نفسه .
هكذا تكلم زارا ...

ولكنه حدّق في وجه تابعه الذي عبّر له حلمه ، حدّق به طويلاً وهو يهزّ رأسه ...

الفداء

• وسار زارا يوماً على الجسر فأحاط به رهط من اهل العاهات والمتسولين وتقدم اليه احدهم يقول له :

— التفت الى الشعب يا زارا فهو ايضاً يستفيد من تعاليمك وقد بدأ يؤمن بسنتك . ولكن الشعب بحاجة الى امر واحد ليتوطد ايمانه بك : عليك يا زارا ان تتوصل الى اقناعنا نحن اهل العاهات . وامامك الآن نخبة منهم وما لك بعد مثل هذه الفرصة تنتهزها لتقوم باختبارك على مثل هذا العدد من الرؤوس . بوسعك الآن ان تشفي العميان والمقعدين فتخفف الاثقال ، وتريح المتعبين . تلك هي الطريقة المثلى لهداية هؤلاء القوم الى الايمان بزارا فأجاب زارا :

مَنْ يرفع عن ظهر الاحدب حدبته فقد نزع منه ذكاه . هذه هي تعاليم الشعب . واذا اعيد النور الى عينيّ الاعمى فانه ليرى على الارض كثيراً من

قبيح الأشياء فيلعب مَنْ سبَّب شفاءه . ومن يُطلق رجلَ الأعرج من قيدها فانه يورثه أذية كبرى إذ لا يكاد يسير ركضاً حتى تتحكم فيه رذائله فتدفعه الى غايتها . هذه هي التعاليم التي ينشرها الشعب . وهل على زارا إلا ان يأخذ عن الشعب ما اخذه الشعب عنه ؟

غير أنني منذ نزلت بين الناس سهل عليّ أن ارى منهم مَنْ تنقصه عين ، و مَنْ تنقصه اذن ، وآخر فقد رجله ، وهناك مَنْ فقدوا لسانهم أو انفهم أو رأسهم وهكذا رأيت اقبح الامور . وهناك اشياء اشد قبحاً إن اعرضت عن ذكرها فلا يسعني السكوت عن اكثرها .

رأيت رجالاً فقدوا كل شيء ، غير انهم يملكون شيئاً يسوده الافراط ، فهم رجال كأنهم عين عظيمة او فم واسع أو بطن كبير أو عضو آخر كبير لا غير وما هؤلاء الناس الا اهل العاهات المعكوسة .

وعند ما عدت من عزلتي لأجتاز هذا الجسر للمرة الاولى وقفت مندهشاً لا اصدق ما أرى فقلت : هذه اذن ، اذن وسيدة كأنها قامة رجل ، وتقدمت اليها فلاح لي وراءها شيء صغير لم يزل يتحرك وهو ناحل ضعيف يستدعي الاشفاق فان الاذن الكبرى كانت قائمة على ساق دقيق . وما كانت هذه الساق الا انساناً ولو انك تفرست في هذا الشيء بنظارة لرأيت فوقه وجهاً يتقطب بالحسد وينم عن روح صغيرة تريد الانتفاخ وترتجف على قاعدتها

وقال لي الشعب : ان هذه الاذن ليست رجلاً فحسب ، بل هي ايضاً رجل عظيم بل عبقرى من عباقرة الزمان . غير انني ما صدقت الشعب يوماً اذا هو تكلم عن عظماء الرجال ، فاحتفظت بعقيدتي وهي ان هذا الرجل ذو عاهة معكوسة إذ ليس له الا القليل من كل شيء والكثير من شيء واحد .

وبعد ان وجه زارا هذا الخطاب الى الاحدب و مَنْ تكلم بالوكالة عنهم اتجه نحو اتباعه وقد تحكّم الكدر فيه فقال :

والحق انني اسير بين الناس كأنني امشي بين انقاض واعضاء منشورة عن اجسادها . وذلك افطمع ما تقع عليه عيناى فاني ارى أشلاء مقطعة كأنها بقايا مجزرة هائلة . واذا ما لجأت عيني الى الماضي هاربة من الحاضر فانها لتُصدم بالمشهد نفسه . فهناك ايضاً انقاض واعضاء اشلاء وحادثات مروعة ، ولكنني لأرى رجالاً ...

ان أشد ما يقع علي أيها الصحاب انما هو الحاضر والماضي وما كنت لأطبق الحياة لو لم اكن مستكشفاً ما لا بد من وقوعه في آتي الزمان ، وما زارا إلا باصرة تخترق الغيب فهو رجل العزم وهو المبدع ، هو المستقبل والمعبر المؤدي الى المستقبل ، هو وأسفاه ذو عاهة ينتصب على هذا المعبر .

وأنتم ايضاً تتساءلون مراراً : من هو زارا ؟ وبماذا نسميه ؟ فلا تتلقون غير السؤال جواباً كما اتلقاه انا .

أهو من يبعد أم من ينفذ الوعد ؟ اهو فاتح ام وريث أهو الطبيب ام هو الناقه ؟

أشاعر هو أم رجل حقيقة ؟ أمحرر أم متسلط ؟ أصالح أم شرير ؟ ما انا إلا سائر بين الناس شطرة من المستقبل الذي يتراءى لبصيرتي وجميع افكاري تتجه الى جمع وتوحيد كل ما تفرق على اسرار وتبدد على الصدف العمياء وما كنت لأحتمل ان اكون انساناً لو ان الانسان لم يكن شاعراً محلاً للأسرار ومفتدياً لآخوانه من ظلم ما تسمونه صدفة ودهراً . وما الفداء الا في إنقاذ من ذهبوا ، وتحويل كل ما كان الى ما اريد لو انه كان . . .

ما المخلص والمبشر بالغبطة الا الارادة نفسها وهذا ما اعلمكم إياه يا اصحابي ، ولكن اعلموا ايضاً ان هذه الارادة لم تزل سجينه مقيدة .

إن الارادة تنفذ ، ولكن ما هي القوة التي تقيّد المنفذ نفسه ؟ ان داء الارادة الوحيد انما هو كلمة « قد كان » تقف الارادة امامها تحرق الارم عاجزة عن النيل من كل ما كان ، فالارادة تنظر بعين الشر الى كل ما فات وليس لها ان تدفع بقوتها الى الوراء ، فهي اضعف من ان تحطم الزمان وما يريده الزمان ، وهذا داء الارادة الدفين .

ان الارادة تُنفذ ، ولكن ما هو تصوّر الارادة في عملها للتخلص من دائها وهدم جدران سجنها ؟

وأسفاه ! ان كل سجين يصبح مجنوناً ، وما تنفذ الارادة السجينة نفسها الا بالجنون .

ان الزمان لا يعود أدراجه . ذلك ما يثير غضب الارادة ويكدها فهناك صخر لا طاقة للارادة برفعه ، وهذا الصخر انما هو الامر الواقع .

لذلك تهب الارادة وقد تملكها الغيظ مقتلعة الاحجار منتقمة من كل من

لا يجاريها في كيدها وثورتها ، وهكذا تصبح الإرادة المنقذة قوة شريرة تصب جام غضبها على كل قانع بعجزها عن الرجوع الى ما فات . وهل انتقام الإرادة إلا عبارة عن كرهها للزمان لأنه أوقع ما لا قبيل لها برّده ؟

والحق ان إرادتنا مصابة بالجنون ، وقد نزلت لعنة على البشرية منذ تعلم الجنون ان يتفكر . إن خير ما طرأ على الانسان حتى اليوم انما هو فكرة الانتقام ، وهكذا سيبقى العقاب ملازماً للألم في كل زمان وفي كل مكان . وهل فكرة الانتقام إلا العقاب بذاته ، فالكلمة الانتقام إلا كلمة مكذوبة يقصد بها التعبير عن الضمير

إن كل مُريد يتألم لأنه لا قبيل له بالرجوع الى الماضي لرد ما فات ، ولهذا لزم ان تكون الإرادة بل كل حياة على الاطلاق كفارة وعقاباً .
بمثل هذه الاعتقادات تلقى العقل بالغيوم فانشق منه الجنون هاتفاً : كل شيء يزول ، فكل شيء يستحق الزوال

إن العدل نفسه يقضي بأن يفترس الزمان ابناءه ، هذا ما اعلنه الجنون لقد وضع الناموس الأدبي وفقاً للحقوق والعقاب ، فأين المفر من نهر الحياة الجارف وما الحياة إلا عبارة عن عقاب ؟ وهذا ايضاً ما اعلنه الجنون ليس من حادث واحد يمكننا ان نزيله من الوجود . فهل للعقاب ان يمحو الحادثات ؟ وهل من خلود لغير الأعمال في وجود لا ينفك يحول العمل عقاباً والعقاب عملاً ؟ ولا مناص من هذه الحلقة المفرغة ما لم تتوصل الارادة الى الفرار من ذاتها فتصبح حينذاك إرادة منفية

إنكم تعرفون ، ايها الاخوة ، هذه الاغاني التي يتشدق بها الجنون . وقد اقصيتكم من سماعها عند ما علمتكم ان الارادة مبدعة . كل ما فات يبقى مبدداً منشوراً كأنه اسرار ومصادفات رائعة الى ان تقول الإرادة : انني انا اردت هذا . ثم تقول : وهذا ما اريده الآن وسأريده غداً

هل نطقت الارادة بمثل هذا حتى اليوم ؟ وأي متى ستنتطق به ؟ هل هي تملصت من قيود جنونها فأصبحت تفتدي الحادثات بعزمها وتبشر بالحبور ؟ هل هي اطاحت بفكرة الانتقام وتوقفت عن حرق الأرم من كيدها ؟ من ترى تمكن من تعليمها مسالة الزمان بل ما يفوق هذه المسالة ؟
يجب على الارادة ولا أعني سوى إرادة الاقتدار ان توجه مشيئتها الى ما هو

أعظم من المسألة . ولكن أنى لها ذلك ومن سيعلمها ان توجه هذه المشيئة الى ما فأت ؟

وتوقف زارا عن الكلام فجأة كأن رعباً شديداً حل به فالتفت حذاته وشخص باتباعه سابراً أفكارهم غير انه ما لبث ان عاد الى الضحك فقال بكل هدوء :

— ما تهون الحياة بين الناس لان الصمت صعب على المرء وخاصة اذا كان ثثاراً
هكذا تكلم زارا ...

ولكن الاحدب الذي كان يصغي الى هذا الحديث وهو يستر وجهه بيديه سمع قهقهة زارا ففتح عينيه مستغرباً وقال : — لماذا يخاطبنا زارا بغير ما يخاطب به اتباعه

فقال زارا : — وهل من عجب في هذا؟ أفما يصح ان يخاطب الاحدب باقوال لها حذبتان

فقال الاحدب : — ولا عجب ايضاً في ان يخاطب زارا تلاميذه كعلم اولاده، ولكن لماذا يخاطب اتباعه بغير ما يخاطب به نفسه ؟

حكمة البشر

ليست الأعالي ما يخيف بل الأعماق ، فعلى الجرف تحدق العين في الهاوية وتمتد اليد نحو الذرى قبض الدوار بالإرادتين على القلب
أفتعلمون ايها الصحاب ما هي إرادة قلبي المزدوجة ؟ إن الخطر المحدق بي على منحدري انما هو اتجاه نظري الى الذروة بينما تلمس يدي مستنداً في الفضاء . وما أعلق إرادتي إلا على الانسان فتشدني اليه مرهقات القيود لانني منجذب منه الى الانسان المتفوق فإليه تندفع إرادتي الثانية . انما انا احيا بين الناس كالضريح لا يعرف من حوله ، كيلا تفقد يدي ثقتها من الوقوع على مستند مكين

انا لا اعرفكم ، ايها الناس تلك هي ظمتي اتلفع بها وتعزيتي الجأ اليها
فأنا جالس امام الباب متوجهاً الى الاوغاد صائحاً بهم : الي يا من يريد ان يخدعني

إن أول حكمة بشرية أحمل بها هي أن استسلم لخداع الناس فلا اضطر إلى الوقوف ابداً موقف الحذر لأن في الناس مَنْ يُخدعون

ولو أنني وقفت هذا الموقف في العالم أكان يتسنى للإنسان أن يشغل منطادي فيمنعه من الانفلات والانطلاق إلى أبعد الآفاق ؟

إن إغفالي للحذر إنما هو عناية تسهر عليّ لا يصالي إلى ما هو مقدور إذا أنت امتنعت عن الشرب من كل كأس فانك هالك ظمأً ، فإذا أردت أن تبقى طاهراً بين الناس فعليك أن تتعود الإغتسال بالماء القذر

لكم ناجيت قلبي لأعزيه ، فقلت له : صبراً أيها القلب الهرم ، أنك لم تفلح بهذه النعمة فتتعمم بها كأنها نعمة

وهذه حكمتي البشرية الثانية: إنني إداري المغرور بأكثر مما إداري الفخور، لأن الغرور الجريح مبعث كل النائبات، في حين أن العزّة الجريحة تستنبت جرحها ما هو خير منها

إذا لم يحسن الممثلون لرواية الحياة أدوارهم فيها فخير لك ألا تشهدها، وليس أضر من أهل الغرور في التمثيل لأنهم يقومون بأدوارهم وكل أرادتهم متجهة إلى اكتساب رضى المشاهدين وإعجابهم ، وهم لا يدخرون وسعاً في سبيل خلق شخصيتهم وتمثيلها ، لذلك يلذ لي أن أنظر من خلاهم إلى الحياة فهم خير دواء للسوداء . إنني إداري أهل الغرور لأنهم أساءة أحزاني المقيمون الإنسان ممثلاً أمام عياني

وفوق ذلك فمن له أن يسبر الأعماق في تواضع المغرور ؟ فانا أريد الخير لمثله واشفق عليه بسبب اتضاعه ، فهو يريد أن يقتبس منكم ثقته بنفسه متغذياً من نظراتكم ، متسولاً الثناء من تصديده أكفكم . أن المغرور ليصدق كاذبيكم إذا ما أحسنتم إيرادها عنه ، فما هو إلا حائر يشك بأعماق نفسه في قيمة نفسه إذا كانت الفضيلة الحقيقية تجهل ذاتها فالمغرور كذلك لا يعرف شيئاً عن تواضعه

أما حكمتي البشرية الثالثة فقامّة على أنني لا ادع لاستحيائكم سبيلاً إلى تنفيري من مشاهدة الأشرار ، فانا أسرُّ بالنظر إلى ما تخلق حرارة الشمس من عجائب المخلوقات كالنور وأشجار النخل والأفاعي ذوات الأجراس . ولكم بين الناس من

أمثال لهذه المخلوقات العجيبة افقتها حرارة الشمس ايضاً ، وفي الاشرار من
البدائع الشيء الكثير . . .

إن اوفر كم عقلاً لا يبلغ في نظري منتهى الحكمة ، كذلك لا ارى
الشر إلا مبالغاً في وصفه . ولكم تساءلت مشككاً : لماذا لا تزال الافاعي تطن
باجراسها ؟

إن لكل شيء مستقبله حتى الشرور ، فالظهيرة البالغة التناهي في إشراقها
لم تنكشف للإنسان حتى اليوم . لكم من امور تعتبر شروراً في هذا الزمان
وهي لا تتجاوز الثلاث عشرة قدماً حجماً ، ولا الثلاثة اشهر بقاء ، وغداً سيولد
ما هو اعظم منها . ولا بد من ان تخلق الحياة التنين المتفوق خليقاً بالإنسان
المتفوق ، فان شمساً محرقة ستدخل حرارة الإبداع في الغابات الغضة الرطبة
التي لم تمسسها يد بعد

لا بد من ان تصبح وحوشكم نموراً وعقاربكم تماسيح ، فيجد القنّاص في
الغاب ما يرضيه

والحق ان فيكم كثيراً من المضحكات يا رجال العدل والصلاح . ولشد ما
يضحكني خوفكم ممن دعوتهم إبليساً . لقد بعد المجال بين روحكم وكل عظيم ،
فاذا ما لاح لكم الانسان المتفوق بصلاحه اورثكم خوفاً ورعباً . فانكم ايها
الحكماء والعلماء ، ستولون الإدبار اذا ما لفحتكم الحكمة المشعة على الانسان
المتفوق في غبطته وعريه

لقد وقعت عيني عليكم ، ايها العظماء ، فادركت هذا السر ، وهأنذا اعلنه
لكم ، انكم ستصفون الانسان المتفوق الذي انبثكم به بانه شيطان الشياطين
اتعبنى هؤلاء العظماء ، واشدهم إرهاباً لي اوفرهم عظمة ، فانا اتوق الى اجتياز
مرتبتهم فأفوتها وانا اتجه الى الانسان المتفوق

لقد عرّني هزة عند ما شاهدت خيار العظماء في عريهم فشعرت بجناحين
استنبتتهما ساعداي لاحتق بعيداً عنهم في آفاق الدهور الآتية . اننى اتوجه الى
الدهور البعيدة ، الى الظهيرات الغارقة بانوار لم يحلم بها الفن من قبل ، فهناك
تتجلى الآلهة خجولة من كل ما يقع من حادثات على الارض

ليتني اراكم متنكرين، ايها الاخوة والاقرباء ، اهل الصلاح والعدل ،

فتبدون بحلالكم وقد نفخها الغرور ، وليتني اجلس بينكم متنكراً انا ايضاً ،
كيلا اعرف من انا ، لان هذه آخر حكمة لي من حكم البشر
هكذا تكلم زارا... .

اعمق الساعات صمتا

ماذا جرى لي يا صحابي ؟ لقد سادني الاضطراب فأضعت هداي واراني
مندفعاً بالرغم مني الى الرحيل والابتعاد عنكم وآسفاه
اجل ، على زارا ان يعود الى عزلته ، غير ان الدُّب يرجع الى مغارته كئيباً
حزيناً . ماذا جرى لي ومن ترى يضطرنني الى الرحيل ؟
انها (هي) مولاتي الغاضبة ، لقد كلمتني فأعلنت لي إرادتها وما كنت
ذكرت لكم اسمها حتى اليوم ، هي اعمق ساعاتي صمتاً وهي نفسها مولاتي القاهرة ،
كلمتني امس

وسأقص عليكم ماجرى فلا اخفي عنكم شيئاً كيلا يقسو قلبكم عليّ وانا افاجئكم
برحيلي عنكم

اتعلمون ما هي خشية من يستسلم للسكرى ؟ انه الذعر يستولي على
الانسان من رأسه الى اخمص قدميه ، لأن احلامه لا تبتدىء ما لم تنسحب الارض
من تحته

إنني اضرب لكم امثالاً ، فاصغوا الي :

امس عند اعمق الساعات صمتاً خلت الارض من تحتي وبدأت احلامي
وكان العقرب يدبُّ على ساعة حياتي في خفقانها ، وما كنت سمعت من قبل
مثل هذا السكوت يسود حولي ويروّع قلبي

وسمعتها (هي) تقول لي ، ولا صوت لها : انك تعرف هذا يا زارا
فصحت مذكوراً عند سماعي هذه النجوى وتصاعد الدم الى رأسي
فعادت هي تقول ، ولا صوت لها : انت تعرف هذا يا زارا وليكنك لا
تعلنه

فانتفضت واجبت بلهجة المتحدّي : — اجل إنني اعرف هذا ولكنني لا
اريد ان أعلن ما اعرف

فقلت (هي) ولا صوت لها : أضحك انك لا تريد ؟ لا تخف نفسك وراء هذا التحدثي يا زارا

فأخذت ابني وارتعش كالطفل قائلاً : ويلاه ، اريد ان أصرح ، ولكن هل ذلك بامكاني ؟ أغنى من هذه المهمة لأنها تفوق طاقتي

فقلت ، ولا صوت لها : وما اهميتك انت يا زارا قل كلمتك وتحطم فقلت : أهى كلمتي ما يهم ، فمن اكون انا ؟ انني انتظر من هو أجدر مني باعلانها وما انا اهل لاصطدم بالمنتظر فأتحطم عليه

فقلت ، ولا صوت لها : وما اهميتك انت ما دمت لم تصل بعد الى ما اريده من الاتضاع ؟ وما اقسى ما يتشح الاتضاع به ، وما اصلب جلده فقلت : لقد تحملت جلد اتضاعى كثيراً ، فأنا ساكن عند قاعدة ارتفاعي ولم يدلني احد بعد على ذراه العاليات ، ولكنني تمكنت من سبر اغوارى ومعرفتها

فقلت ولا صوت لها : اي زارا ، انت المعد لنقل الجبال من مكان الى مكان. أفما بوسعك ان تنقل أغوارك ومهاويك ايضاً ؟ فقلت : لم تنقل كلمتي الجبال بعد ، فان ما قلته لم يبلغ حتى آذان الناس ، لقد اتيت الى العالم غير انني لم اتصل به بعد فقلت ، ولا صوت لها : وما يدريك . . . ؟ ان الندى يتساقط على العشب في أشد اوقات الليل سكوتاً

فأجبت : لقد هزأ الناس بي عندما اكتشفت طريقي ومشيت عليها ، والحق ان رجلي كانتا ترتجفان اذ ذاك ، فقال لي الناس : لقد ضللت سبيلك يا زارا ، بل اصبحت لا تعرف ان تنقل خطاك

فقلت ، ولا صوت لها : واية اهمية لسخريتهم ؟ لقد تخلصت من الطاعة يا زارا فوجب عليك ان تأمر الآن . أفلا تعلم ان من يحتاج الجميع اليه باكثر من احتياجهم الى اي شيء انما هو من يقضى في عظام الامور ؟

ان القيام بالكبائر صعب ، وأصعب من هذا ان يأمر الانسان بها. ان ذنبك الذي لا يغتفر هو انك ذو سلطان ولا تريد أن تتحكم

قلت : ليس لي صوت الاسد لاصدر اوامري فقلت — كأنها تهمس همساً — : لا يشير العاصفة إلا الكلمات التي لاصوت

لها ، إن من يدير العالم إنما هي الأفكار التي تنتشر كأنها محمولة على اجنحة الحمام .
عليك ان تسير يا زارا كأنك شبح لما سيكون يوماً في آتي الزمان ، هكذا
تندفع في سبيلك الى الامام وانت تتولى الحكم

فقلت : ان الخجل يتولاني

فعادت تقول ، ولا صوت لها : عليك ان تعود طفلاً فيذهب خجلك عنك ،
ان غرور الشباب لما يزل مستولياً عليك لانك بلغت الشباب متأخراً ، ولكن
على من يريد الرجوع الى طفولته ان يتغلب على شببيته

واستغرقت في تفكيري وانا ارتجف ، ثم عدت الى تكرار كلمتي الاولى قائلاً :
لا اريد . وعندئذ ارتفع حولي صوت قهقهة مزقت قلبي وصدعت احشائي

وقالت (هي) للمرة الاخيرة : اي زارا ، إن اثمائك ناضجة ، غير انك لم
تنضج انت لاثمائك ، فعليك إذن ان تعود الى العزلة لتزيد في قساوتك ليناً

وماد الضحك يتعالى ، فشعرت انها انصرفت عني (هي) وماد الصمت يسود
باعمق مما كان حولي ، اما انا فبقيت منطرحاً على الارض ساجداً في عرقي

والآن ، وقد اعلنت لكم كل شيء ايها الصحاب ، فهأنذا أعود الى عزلي
وما اخفيت عنكم شيئاً . ارحل عنكم بعد ان علمتكم ان تعرفوا من هو أشد الناس
تكتماً ومن يريد ان يكون كتوماً

وأسفاه ، ايها الصحاب ، إن لدي ما أقوله لكم ايضاً ، ولدي ما ابذله ،
فلماذا لا ابذله الآن ؟ أألني أصبحت شحيحاً ؟

وما نطق زارا بهذا حتى ارهقه سلطان حزنه لاضطراره الى الرحيل ، فبكي
منتحباً وما تمكن احد من تعزيته ، ومع هذا ما ارخى الليل سدوله حتى ذهب
زارا وحده تحت جنح الظلام متخلياً عن صحبه

هكذا تكلم زرادشت

الجزء الثالث

« إنكم تنظرون الى ما فوقكم عندما
« تتشوقون الى الاعتلاء ، اما انا فقد
« علوت حتى أصبحت أطلع الى ما
« تحت اقدمي فهل فيكم من يمكنه ان
« يضحك وهو واقف على الذرى .
« مَنْ يحوم فوق اعالي الجبال
« يستهزيء بجميع مآسي الحياة
« ويستهزيء بمسارحها بل بالحياة نفسها »
زرادشت

القراءة والكتابة . الجزء الاول صفحة

المسافر

وكان قد انتصف الليل عند ما توجه زارا الى أكمة الجزيرة وهو يجد في السير ليبلغ الشاطئ الآخر عند بزوغ الفجر إذ كان يقصد الأبحار من هذه الجهة حيث ترسو بعض المراكب لتقلّ طلاب المهاجرة من الجزر السعيدة .

وتذكّر زارا الرحلات التي قام بها منفرداً منذ صباه فمرت بمخيلته رسوم الجبال والتلال والذرى التي تسلكها في حياته فقال : « ما انا إلا رحالة ومتسلق مرتفعات وما تستهويني منبسطات الارض ولا يستقر بي مقام . ومهما قدّر عليّ ومهما وقع لي فلا تعدوا الحوادث ان تكون في نظري رحلة واعتلاء . فما لي ان ارى من الآفاق إلا ما انطبع منها في نفسي . ولقد مضى الزمن الذي كان لي فيه ان اتوقع الحوادث من خطرات الحظ ، وهل لي ان انال من الدهر شيئاً لم يستقر في نفسي من قبل ؟

إن كل ما يطرأ عليّ بعد الآن إنما هو ذاتي العائدة تكراراً بعد انقراطها وتمازجها في الاشياء وتصارييف الزمان . غير انني اصبحت الآن على مدرج آخر الذرى امام اصعب مسلكٍ ما اقتحمت مثله في حياتي، فأنا أبدأ الآن اشدّ رحلاتي عناء واروعها وحشة .

وأنيّ لمثلّي ان يتجنب مثل هذه الساعة التي تهتف قائلة : إنك على مبدأ طريق المجد حيث تتداخل الذرى في المهاوي . انت تسير على هذه الطريق وكنت تراها قبلاً آخر ما تقتحم من اخطار فأصبحت لديك آخر ملجأ تهرع اليه . إنك تسير على طريق المجد فعليك ان تتذرع بالحزم الأوفى لتقطع بنفسك خطّ الرجوع على نفسك .

إنك تسير على طريق المجد ، فأنت منفرد عليها لا يزحمك احد من ورائك ، وقد محت اقدامك آثار خطاك على ما ورائك من المسالك ، ولاحت كلمة المستحيل مخطوطة على آفاق هذه الطريق .

ولا بد لك إذا ما خلت المدارج تحت اقدامك ان تتسلق قمة رأسك إذ لا
سبيل لك للاعتلاء إلا اذا اتجهت اليه والى ما وراءه وانت تدوس على قلبك ،
وهكذا سيُشقيك ما كان يحلو لديك .

ان مَنْ افراط في ادخار جهوده لا يلبث حتى يُبتلى بالحوول ، تبارك كلُّ
جهد يشدُّ العزم ، فلا خير في ارض تدُّر اللبن والعسل ، ومن يطمح الى الاحاطة
بأمور كثيرة فليتدرب على ارسال ابصاره الى ما وراء حدود ذاته . وعلى كل
متسلق للذرى ان يتعزز بمثل هذا الحزم اذ لا يسع من يتحرى الامور متجسسا
بنفضوله الا الوقوف عند اسهل الافكار منالا . وانت يا زارا تطمح الى الاحاطة
بالعلل والى تفوذ خفايا الامور ، فعليك ان تخلق فوق ذاتك فتجتازها متعاليا
حتى ترى ما فيك من كواكب وهي تتصاغر في كل افق دون افقك الرفيع
أجل ان ذروتي انما هي حيث اقف ناظرا الى الاعماق فأرى فيها ذاتي
وكواكبها ، تلك هي آخر هضبة اطمح الى بلوغ قمتها »

بهذا كان يناجي زارا نفسه وهو يصعد المرتفع معللا بالتعاليم الصارمة ما في
قلبه من جراح .

وعند ما بلغ الذروة انبسط البحر امام ناظريه فوقف مبهورا واستغرق في
صمت طويل ، وكانت السماء لا تزال تتألق بالنجوم والهواء يهب بارداً على
الأكمة .

وهتف زارا حزينا : « لقد تبيننت ما قُدر عليّ ، وها أنا ذا مستعد للاقدام
فهذه آخر عزلة اقتحمها .

سأنحدر اليك ايها البحر المظلم المنبسط عند اقدامي ، انت الليالي المفعمّة
بالاحزان ، انت القضاء والقدر ايها الخضم البعيد .

انني اقصد ارفع جبالي مقتحما ابعدا سفاري فعليّ اذا ان اهبط الى مهاوٍ أبعد
في اغوارها من كل ذروة رقيتها حتى الآن .

عليّ ان اذهب من الاسى الى أغوار ما رسبت في مثلها من قبل
فأصل الى قرارة ما في الاحزان من ظلمات . ذلك ما قُدر عليّ فأنا على اهبة
اقتحامه

لقد تساءلت فيما مضى عن منشأ الجبال فعرفت اخيراً انها نهدت من البحار

كما تشهد صخورها وجروف ذرواتها ، فما يبلغ الأعلى مقامه إلا لانطلاقه من
المقام الأدنى »

هكذا تكلم زارا وهو مائل على قمة الجبل تدور به لفحات الصقيع ، ولكنه
مابلغ الشاطيء ووقف بين نتوءات صخوره حتى حل عليه التعب وتزايدت اشواقه
فقال :

« إن البحر هاجع ايضاً فعينه الوسنى تحدجني بلفحات غريبة وانفاسه الحرى
تهب عليّ . انه مستغرق في احلامه يتقلب مضطرباً على جافيات مسانده . انني استمع
لهديره كأنه يئن بتذكريات مفجعات ، وقد يكون هذا الهدير نذيراً بالشؤم في
آتي الزمان

إنني اشاطرك الأسى ايها المدى المظلم الواسع ، فأنا بسببك ناغم على نفسي
أتمنى لو طالت يدي فأنقذك من أصفاد أحلامك »

وانتبه زارا فاذا هو يضحك ساخراً من ذاته فتعمر وتساءل عما اذا كان
سيبلغ به حماسه الى اطلاق انشاده لتعزية البحار ، وعما اذا كان سيستمر مضطرباً
في سكرة غرامه واستسلامه فقال :

« لقد عرفتك في كل زمان يا زارا تقتحم الامور الخطيرة بلا كلفة وبلا
مبالاة ، وقد رأيتك طوال حياتك تدغدغ الوحوش المفترسة فكان يكفيك منها
ان تهتاج حبك بأنفاسها الحرى وبنعومة مخالبها لتجتذبك اليها

ليس من خطر أعظم من الحب يحدق بالمستغرق في عزله فان المنفرد يحب كل
شيء يتنسم فيه الحياة ، وما أعجب جنوني بالحب وتساھلي فيه »

هكذا تكلم زارا وقد عاد الى الهزء بنفسه ، غير انه تذكر من هجر من
خلانه فحيل اليه انه يسىء اليهم بتفكيره فيهم ، فنقم على نفسه وانقلب من ضحكه
الى البكاء فسالت دموعه مريرة يتمازج فيها الغضب والشوق

الرؤي والالغاز

— ١ —

وعندما تناقل البحارة خبر وجود زارا بينهم وكان بلغهم ذلك من رجل دخل
السفينة معه قادماً من الجزر السعيدة ساد الجميع شيء من القلق وباتوا يتوقعون

حدثاً في وجوده ، غير أن زارا بقي يومين جامداً تساوره احزانه ، تحديق فيه
الانظار فلا يلتفت ، وتوجه اليه الأسئلة فلا يجيب . واخيراً أصغى لما يقال
حوله متوقفاً سماع أبحاث لها خطورتها تدور على هذه السفينة القادمة من بعيد
والمتجهة الى أماكن سحيقة . وما كان زارا لينفر من الاسفار البعيدة ومن
الأخطار ، وبعد أن أصغى طويلاً حلت عقدة لسانه فانطلق يقول :

— اليكم ايها الشذاذ الجريئون ايأ كنتم ، ايها المستسلمون للشرع الغدار على
هائجات الامواج

اليكم ايها الثملون بنخمة الاسرار ، المنجذبون بين خيوط الظلمات والانوار
الى نغمات كل شبابة تنوح في المجاهل الخفية ، انكم تنفرون من تلمس طريقكم
بيد مرتجفة على ما نصب من دليلات الجبال إذ تفضلون الإدراك بالحس على
الإدراك بالاستقراء

اليكم دون سواكم أوجه الخطاب لأخبر بما تجلى من ألباز وبما خطر من رؤى
لأشد الناس استغراقاً في عزلته

لقد اجتزت الغسق في أشد فتراته وجوماً . اقتحمته وقد تقاسمت شفتاي
وعلا وجهي الاغبرار وكنت شاهدت من قبل شمساً كثيرة تجنح الى الغروب
رأيت أمامي طريقاً يتسلل على جروف المرتفعات ، طريقاً وعراً تعرى جانباه
من كل نبات فدفعت عليه اقداًمي أتحداه فأسمع صريف حصاه تحتها
مشيت صامتاً أحاول تثبيت الحصى المتطايرة بخطواتي لانبجو من الانزلاق
عليها

واعتليت فاذا بروح الكثافة وهو عدوي الألد يشدُّ بي الى الاعماق ،
واعتليت ايضاً فاذا بهذا الروح المطبق عليّ كالقزم من الناس والخلد من سكان
الاجار يسكب في اذني ودماعي كلمات ثقيلة كالرصااص فسمعتة يقول لي متمهلاً
هائلاً :

أي زارا ايها الحجر المدعي الحكمة ، لقد رشقت نفسك الى ما فوق ، ولكن
اي حجر ارتفع ولم يسقط عائداً الى مصدره ؟

أي زارا ايها الحجر الحكيم المنقذ الى العلا ليزعزع الكواكب في
مدارها ما انت الا القاذف والمقذوف معاً فلا بد لك من السقوط ككل حجر

يرشق الى ما فوق . لقد حكمت بالرجم فكان حكك به على نفسك ، وهذا الحجر الذي فوقته سيرجع ساقطاً عليك .

وسكت القزم طويلاً حتى ضاقت من سكوته انفاسي ، فالرفيق الصامت يشعرك بوحشة الانفراد اكثر مما تشعر بها وانت وحدك لا رفيق لك .

وارتقيت ايضاً وأنا تائه في تفكيري واحلامي شاعر بتزايد الضيق في صدري كأني عليل نبهته اضغاث احلامه فاستفاق ليشعر بأوجاعه .

غير انني اعهد بنفسي قوة اسميها شجاعة وهي القوة التي ارغمت بها كل وهن في نفسي ، بهذه الشجاعة تذرعت فصحت بالقزم قائلاً :

إن واحداً منا يجب عليه ان يتواري .

ما من قاتل كالشجاعة التي تهاجم ، وما من فيلق يتقدم إلا وفي طليعته الانغام الحاديات .

ان اوفر الحيوانات شجاعة انما هو الانسان الذي قهر بشجاعته سائر الحيوانات وتغلب على جميع الاوجاع ماشياً وراء حاديات الانغام بالرغم من ان اوجاع الانسان اشد ما في الكون من اوجاع .

والشجاعة ايضاً فضيلة ردع الدوار المستولي على الرؤوس حين تمدد في الاعماق ، وما من موقف للانسان لا هاوية تحته وما عليه الا ان يمدد ليرى المهاوي من اي موقف في مواقفه .

ان الشجاعة خير ما يقتل فانها تقتل الاشفاق ايضاً ، وما من هاوية ابعد قرارا من الاشفاق لأن نظر الانسان ليذهب وهو يسبر الآلام الى اقصى مدى يبلغه عند سبره الحياة نفسها .

ان خير ما يقتل انما هي الشجاعة اذا هاجمت ، لأنها ستتوصل اخيراً الى قتل الموت نفسه لأنها تقول في ذاتها : « ياللعجب ! أهذا ما كانت الحياة ؟ إذن لأرجعن إليها مرة اخرى » ان في مثل هذه العقيدة أشد حياء يدفع الى الاقدام ، من له اذان سامعتان فليسمع .

— ٢ —

واستوقفت القزم قائلاً : يجب ان يبقى احدنا وينفي الآخر . اني انا الأقوى لأنك لا تدرك اعماق افكاري ، وما اعماقها الا فكرة لا قبل لك باحتمالها . فارتمى

القمزم عن كتفي نخفّ حملي ، فاذا بهذا القزم يجلس القرفصاء على حجر امامي، واذا نحن تجاه باب كأنه وجد صدفة هناك فقلت لرفيقي :

انظر الى هذا الباب فان له واجهتين ، وهما ملتقى مساكين لم يبلغ انسان اقصاهما ، احدهما منحدر يمتد الى ابدية ، والآخر مرتفع يمتد الى ابدية اخرى ، والمسلكان يتعارضان متقاطعين عند هذا الباب وقد كتب اسمه على رتاج واحد « الحين »

فقلت : أعتقد ايها القزم ان من يتوغل في احد هذين المسلكين يبقى معتقداً بأن اتجاه احدهما معارض لاتجاه الآخر ؟

فقال القزم بازدياء . ان كل اتجاه على خط مستقيم انما هو اتجاه مكذوب فالحقيقة منحرفة لأن الزمان نفسه خط مستدير اوله آخره .

فأجبت قائلاً : لا تستخف بالامر ايها الروح الكثيف وإلا غادرتك فتعطب رجلك حيث انت ، ولا تنس اني انا حملتك الى الاعالي . تفكر في « الحين » الذي نحن فيه الآن ، فان من بابه يمتد سلك ابدى لا نهاية له متراجعاً الى الوراء ، فإن وراءنا ابدية يا هذا

افما كان لزماً على كل شيء معزز بمعرفة السير ان يجتاز هذا المسلك فيما مضى ؟ افما تحتم على كل شيء له طاقة الوصول أن يكون قد وصل فيما مضى فأتم سيره وعبر ؟

واذا كان كل موجود الآن قد وجد من قبل فما هو اعتقادك في هذا الحين ؟
أفما كان لهذا الباب وجود سابق ؟

أفما ترى الاشياء كلها متداخلة ، وان هذا « الحين » يجر وراءه كل ما سيكون ، بل يجر نفسه ايضاً ؟

أفما يتحتم والحالة هذه على كل معزز بقوة السير ان يندفع مرة اخرى على هذا المسلك المتجه الى ما فوق ؟

انظر الى هذه العنكبة التي تدب على مهل تحت شعاع القمر ! انظر الى شعاع القمر نفسه والى ذاتي وذاتك مجتمعين تحت هذا الباب تتهامسان بأسرار الابد !
أفما تعتقد انه لا بد ان نكون وقفنا جميعاً من قبل في هذا المكان ؟

أفليس علينا ان نعود لنندفع تكراراً على المسلك الآخر الذاهب امامنا
متصاعداً مستطيلاً مروعاً ؟ افما لزم علينا ان نعود تكراراً وابدأ ؟

هكذا كنت اتكلم بصوت يتزايد انخفاضه وقد اربعبتني أفكارى وما كمن
وراء افكارى فاذا بي اسمع فجأة نباح كلب على مقربة منا

خيل اليّ انني سمعت مثل هذا النباح من قبل، ورجعت بتذكاري الى الماضي
فاذا هو يسمعي هذا النباح في أبعد ايام طفولتي ويمثّل لي مثل هذا الكلب
الذي اراه الآن وقد وقف شعره ومد رقبتة مرتجفاً في أشد الليالي سكونا حيث
يتراءى للكلاب ايضاً ان في العالم اشباحاً

ونبه نباح الكلب اشفاقي إذ تذكرت انه عندما عوى منذ هنيهة كان القمر
يطل من وراء البيت صامتاً كالموت ، ومنذ هنيهة كان هذا القمر يستقر فوق
السطح كقرص ملتهب يراود ما ليس له، وذلك ما اثار غضب الكلب لان الكلاب
تؤمن بالسارقين والاشباح

عند ما سمعت هذا النباح للمرة الثانية عاودني الاشفاق تكراراً
اين توارى القزم الآن ومعه الباب والعنكبة وأحاديث المناجاة ؟ أ كنت في
حلم فاستفقت فأنا الآن وحيد بين جرداء الصخور لا سمير لي غير شعاع القمر
المنفرد في السماء

لكنني رأيت رجلاً مسجّى على الارض وكان الكلب يقفز وقد اقشعر
جلده وهو يهدر هديرأ ، واذا رأني قادماً نحوه بدأ بالنباح فتساءلت عما إذا
كنت سمعت من قبل كلباً ينبج بمثل هذا الصراخ المستغيث

والحق ان ما رأيت في ذلك المكان ما كنت رأيت مثله ، لاني شاهدت امامي
راعيأ فتياً ينتفض محتضراً ، وقد ارتسم الروع على وجهه وتدلّت من فمه أفعى
حالكة السواد ، فتساءلت عما اذا كنت رأيت قبل الآن مثل هذا الاشتمزاز
والشحوب على وجه من الوجوه . لعل هذا الراعي كان يغط في رقاده عندما
انسلت الافعى الى حلقه وانشبكت فيه

وبدأت أسحب الافعى بيدي ، ولكنني شددت عبثاً ، فسمعت من داخلي
صوتاً يهيب بالراعي قائلاً : عض عليها بأسنانك ولا تنني حتى تقطع رأسها ، وهكذا
سمعت بهذا الهتاف أصوات رعي واشتمزازي وضغيني وإشفاقي كأنها صوت
واحد يتعالي مني

فيا ايها الشجعان المحيطون بي ، ايها الشذاذ المكتشفون يا من تقتحمون
مجاهل البحار مستسلمين للشرع الغدار وانتم تسرون بالمعميات والالغاز، عبروا
رؤى المنفرد وحلوا ما رأى من معميات وقد كمن فيها ما كان وما سيكون
اي هذه الرموز يدل على ما فات واثيرها يدل على ما هو آت ؟

من هو الراي الذي اندست الافعى في فمه، ومن هو الانسان الذي سيصاب
بمثل هذه الداهية الدهاء ؟

على ان الراعي بدأ يشد بأسنانه منفذاً ما اشترت به ، وما لبث ان تقل دافعاً
برأس الافعى الى بعيد ، ثم انتفض ووقف على قدميه

وتبدلت هيئة الراعي فلم يعد راعياً حتى ولا إنساناً ، إذ جله الاشعاع
وضحك ضحكة ما سمعت حياتي مثلها

لقد سمعت يا اخواني ضحكة ليست من عالم الانسان ولم ازل منذ ذلك
الحين احترق بشهوة لا اجد ما يطفئها . إن شهوة هذه الضحكة تنهش احشائي
فكيف ارضى الموت بعد الآن

هكذا تكلم زارا ...

الغبطة القاسرة

وسار زارا يقطع ابعاد البحر تساوره مثل هذه الهموم ، وتدور به مثل هذه
الاسرار ، حتى اذا تخطى مجال اربعة ايام عن الجزر السعيدة وما ترك عليها من
صعبه ، اشتدت عزيمته فتغلب على آلامه ، وثبت قدميه في موقفه متجهاً الى مقدراته
مناجياً سريره وقد عاد اليها مرحها وسرورها قائلاً :

لقد فزعت الى عزلتي لانني تقت اليها، فانا الآن منفرد امام صفاء السماء ومدى
البحار ، وقد خطا النهار الى عصره وما التقيت باصحابي للمرة الاولى إلا في وقت
العصر ، وفي مثل هذا اليوم اجتمعت بهم للمرة الثانية . والعصر هو الساعة التي
يهدأ فيها اضطراب الانوار جميعها لان السعادة الذاهبة بدءاً منشورة على مسالكها
بين السماء والارض تتجه الى الاستقرار في روح الضياء . وها إن السعادة تحول
اضطراب النور الى سكون

فيا لعصر حياتي ! إنَّ سعادتني هي ايضاً قد انحدرت يوماً الى الوادي تطلب
مستقراً فلقيت هذه الارواح النيرة تفتح لها الملجأ الأمين
يا لعصر حياتي ! لكم تخلت عن اشيء في الحياة توصلاً الى مغارس افكاري
الحية والى انوار الصباح تدور في ذراتها أسمى امانى وآمالى
لقد طلب المبدع يوماً رفاقاً له وفتش عن ابناء آماله فأدرك انه لن يجدهم اذا
هو لم يخلقهم خلقاً

لقد اتممت نصف مهمتي باتجاهي نحو ابنائى وبعودتي اليهم ، وقد وجب على
على زارا ان يبلغ نفسه السكالم من اجل هؤلاء الابناء . وما يحب الا انسان من
صميم قلبه إلا ابنه ونتيجة جهوده ، وحيث يتجلى الحب الأشد فهناك تكن
القوة المولدة ، ذلك ما ادركته بتفكيري

إن ازهار ابنائى لا تزال تفتق في الربيع والريح تهب على صفوفهم فتزهوا،
فأبناى اشجار حديقتي ونبت خير اراضي

إن هذه الاشجار مترابطة في منابتها على الجزر السعيدة ، ولسوف اقتلعها
واحدة فواحدة لأغرسها متفرقة فتعلم احتمال العزلة وتنشأ فيها الأنفة والحزم
لينتصب كل منها تجاه البحر وقد تصلبت جزوعها وتعقدت اغصانها كمنائر حية
للبقاء القاهر

على كل شجرة ان تشخص في مهب العواصف المترامية الى البحر حيث يتدافع
الغمر الى قاعدة الجبل فلا تغفل ليلاً ونهاراً عن تفحص سرائرها . عليها ان
تتحمل التجارب ليُعلم انها من سلالتي وانها تحدت من اصلي تعزها الإرادة
المجالدة فتبدو صامته حتى عند ما تتكلم ، واذا ما استسلمت تبدو معطية وهي
آخذة . وهكذا يتحول من يمشي على اثر زارا باضرا به وبإبداعه الى شخصية
تحفر شريعتي على الواحي فيكتمل بذلك كل شيء

وهأنذا من أجل هذه الشخصية وأمثالها أسمى الى تكوين شخصيتي
فأمتنع عن ورود السعادة مقتحماً كل شقاء في آخر تجربة اتحملها لأدرك سريرتي
لقد آن الأوان لرحيلي وقد نبهني الى وجوب الرحيل خيال المسافر وأطول
الازمان واعمق الساعات صمتاً إذ نفخ الريح في فتحة القفل فتراجعت درفة الباب
قائلة : هيّا

ولكنني كنت مقيداً بحبي لابنائي يأسرني تشوقي الى هذا الحب لاصبح
فريسة لهؤلاء الابناء فأضحى من اجلهم نفسي ، وما الشوق عندي إلا صورة
ظاهرة لحقيقة فنائي . ان ابنائي لي وفي هذه التملك يجب ان يضمحل كل شوق
مستحيلاً الى عقيدة مكيئة

وكان رأسي يلتهب بشمس محبتي فأتحرق بحرارة دمي فرأيت اشباح الشكوك
تدور بي من كل جهة فتمنيت ان يلفحني قر الشتاء حتى تصطك اسناني من
رعشة الصقيع ، وما عثم ان اكتسح نفسي ضباب الجليد ، فشق الماضي لحوده
وبعثت منه الآلام التي دفنت وهي حية فيها ، وما تناولها الفناء لانها كانت نائمة
على اكفانها

وكان كل شيء يشير اليّ بان قد حان زمن الرحيل ولكنني كنت لا انتبه
الى هذه الدعوة حتى تحركت اعماقي ولسعنتي نائرات افكاري . ويا ليت لي القوة
للتغلب على ارتعاشي عندما أشعر بقوة التفكير في اغواري تحاول ان تحترق لها
منفذاً ، فاني لا ازال احس باختلاج قلبي عندما اتنصت لديب افكاري وهي
تحاول الانجلاء لي . إن في صمتك نفسه ايتها الفكرة ما يشد على عنقي وانت أشد
صمتاً من اغواري . ولكم حاولت ان استخرجك من الأعماق ايتها الفكرة فخاني
العزم واكتفيت بإضماري إياك في ذاتي . إنني لم اتصل بعد الى جراءة الأسد والى
منتهى إقدامه

إنك لجدٌ ثقيلة في اغواري ايتها الفكرة ولسوف أجد يوماً قوة الأسد واتخذ
لصوتي زئيره فأرفعك من الغور الى المنبسط ، حتى إذا ما تغلبت بذلك على
نفسي تدرجت الى انتصار أعظم اختتم به اعماله . والى ان ابلغ هذا الظفر سأبقى
تأهياً على بحار لا اعرف لها ساحلاً تداعبني خطرات الأحداث فأتلقت الى ما
ورائي والى ما امامي ولا اعلم اين المنتهى

ألم تحن بعد ساعة جهادي الاخير أم هي ماثلة امامي الآن ؟ والحق ان البحر
والحياة يحيطان بي بجملهما الفتان ويعلقان ابصارهما عليّ

فيا لعصر حياتي ، يا للسعادة تنقدم ساعة المساء ، يا للمرسى في وسط العباب ،
يا للسكون في قلب الارتباب ، إنني احاذر كنّ ولا اثق بكنّ جميعاً

اما والحق إنني اخشى جمالكن الغدار كما يخشى العاشق ابتسامة تجاوزت حد

التلطف في افترارها. إني ادفع عني ساعة السعادة كالغيور يصدُّ عن محبوبته ولما
يزلُّ العطف يتجلى في قسوته وجفائه

بعداً لك أيتها الساعة السعيدة ! فقد اجتاحتني بحلولك غبطة قاسرة وانا
أتوقع أعمق الاحزان . لقد جئتني في غير الأوان

بعداً لك أيتها الساعة السعيدة! اذهبي واطلي لك ملجأ هنالك في مقرّ ابنائي،
سارعي اليهم وباركيهم قبل حلول المساء وانيلهم سعادتي

لقد اقترب الغسق وجنحت الشمس الى الغروب فتوارت عني سعادتي
هكذا تكلم زارا . . .

وبات يتوقع نزول شقائه به طوال ليله ، غير انه انتظر عبثاً إذ بقي الليل
منيراً ساكناً واستمرت السعادة تخطو مع الساعات مقربة اليه . وما لاح الفجر
حتى بدا زارا يتضاحك قائلاً :

إن السعادة تتأثرنى لاني لا اتأثر النساء ، وهل السعادة إلا امرأة ؟

قبل بزوغ الشمس

أيتها السماء الرافعة قبائها فوق رأسي نقية صافية ، أيتها السماء السحيقة
وقد غادرت في أبعادك الأنوار ، إني اشخص اليك فتتملكني رعشة الاشواق
الإلهية

انا لا اسبر اغواري إلا اذا سموت الى عليائك ، ولا اشعر بطهارتي إلا حين
يجليني صفاؤك

انك تحجبين نجومك كما يتلفّع الإله بسنائه . انت صامتة وبصمتك تذيعين
لي حكمتك

لقد تجليت لي اليوم في سكونك على زبد الآفاق فأعلنت لروحي المزبدة ما
فيك من حب وعفاف . جئت اليّ جميلة مقنعة بجمالك تخاطبينني بلا كلام وتعلنين
حكمتك وما كنت اعلم ما في روحك من عفاف . اتيت اليّ قبل بزوغ الشمس انا
المنفرد في عزلتي

انا وانت صديقان منذ الازل فأحزاننا واحدة كارتياغنا ، وعمق اغوارنا
وشمسنا واحدة ايضاً . وما نتناجى إلا لوفرة ما نعلم ثم يسودنا الصمت فنتبادل

ما اعرف وما تعرفين بلغة البسمات . افما بُعثت انوارك من ممكن انواري أفليست فكرتك اختاً لفكرتي ؟

لقد تعلمنا كل شيء سوية وتدربنا سوية على الاعتلاء فوق ذاتنا متجهين الى صميمها مبتسمين بافترار لا تعكره الغيوم وبلقعات صافية نغرقها في سحيق الابعاد في حين تتدافع كالامطار تحتنا النزعات المكبوتة واهداف الخطيئة . الى مَ كانت تتوق نفسي عندما كنت اذهب في الليل شارداً على مسالك الضلال وماذا كنت اطلب في تسلي الجبال نحو قممها ؟ أفما كنت انت مقصدي ايتها السماء . وهل كانت اسفاري جميعها إلا ذهاباً مع حافز التدريب ؟ وهل كان لارادتي من هدف غير التحليق في الاجواء ؟ وهل ابغضت شيئاً بغضي الغمام وكل نقاب يلغم الضياء ؟ لقد كرهت بغضي نفسه لأنه يعكر صفاءك ايتها السماء .

إنني انفر من هذه الغيوم تمر كأنها قطط برية تزحف زحفاً لأنها تختلس مني ومنك أيتها السماء الحقيقة الايجابية الثابتة في كل شيء ، فأنا وأنت ننفر من هذه الدخيلات المعكرات من هذه الغيوم الكاسحات ، فما هي الا كائنات مختلطة في نوعها يسودها التردد فلا تعرف ان تلعن باخلاص ولا أن تبارك باخلاص . وخير لي ان الجأ الى مغارة او اسقط في هاوية من ان اقف امامك يا سماء الضياء وقد عكرت صفاءك الغيوم الكاسحات . ولكم وددت لو انني أستمّر اردانها على آفاقك بسهام البروق الذهبية ثم أنزل عليها الرعود تهوي قاصفة على مراجل احشائها إنني اود قرعها بعصا الغيظ لأنها تحجب عني حقائقك ايتها السماء الممتدة بأغوار انوارها فوق رأسي كما تحجب حقيقتي عنك .

بخير لي ان اسمع هزيم الرعود وولولة العواصف من ان أتنصت الى مواء هذه الهرة الزحافة المترددة . ففي المجتمع امثال هذه الغيوم يسرون مترددين بخطوات الذئاب وقد وقفت اشد بغضي عليهم .

« على من لا يعرف ان يمنح البركة ان يتعلم انزال اللعنات » ذلك ما أهتمنيه السماء الصافية مبدأ ينير سمائي كالسكواكب في أشد الليالي قتاماً .

ما دمت فوق ايتها السماء الصافية المتألقة بالانوار فاني لا أنقطع عن منح البركة وايراد بياني ايجاباً وتأكيدياً لأنير بعقيدتي جميع الاغوار المظلمة .

لقد جاهدت طويلاً حتى اصبحت مبارِكاً ومؤكيداً . وما ناضلت إلا لأحرر ذراعي فأبسطهما للبركة ، وتقوم بركتي على الاعتلاء فوق كل شيء كما

تعتلي السماء والسقوف المكورة وقباب الاجراس والغبطة الدائمة . فطوبى لمن يبارك هكذا . لأن كل الاشياء قد تعمّدت من ينبوع الأبدية وما وراء الخير والشر ، وما الخير والشر الا خيالات عابرة واحزان بليلة وغيوم متراكضة الى الفناء .

والحق ان من البركة لا من اللعنة ان نعلم بأن فوق كل شيء تمتد سماء الصدفة وسماء البراءة وسماء الحيرة وسماء الاضطراب .

ان كلمة الصدفة لأقدم ما في العالم من نسب للاشياء ، وقد ارجعت كل الاشياء الى هذا النسب النبيل فانقذتها من عبودية المقصد والهدف . وهكذا رفعت الحرية والغبطة السماوية عالياً ونصبتها كالقباب فوق جميع الاشياء اذ علمت ان ليس من ارادة ابدية تعلو بها لتبسط مقاصدها فوقها .

لقد وضعت حداً لهذه الارادة بل لهذا الجنون وهذا الاضطراب عندما علمت ان الوقوف عند الحقيقة كان مستحيلاً وسيبقى مستحيلاً . فما هناك الا قليل من التعقل وذرات من الحكمة تتلقفها الكواكب كخميرة امتزجت بالاشياء جميعها ولو لا الجنون لما امتزجت بها .

ليس للانسان ان يُعطي من الحكمة الا قليلاً . غير انني وجدت في كل مكان عقيدة لها سعادتها وهي تفضيل الرقص على ارجل الصدفة العمياء .

فيمايتها السماء الممتدة فوق رأسي ، ايتها السماء الصافية المتعالية ، لقد اصبح كل صفاءك فيك قائماً على اعتقادي بأن ليس في الكون عنكبة خالدة ، وليس فيه من الحكمة ما تنسجه العناكب . فلتكن مجالاتك ايتها السماء مسرحاً لخطرات الصدف الالهية ، او فلتكن خواناً يدحرج عليه الآلهة نردهم ، فلماذا يعلو اديم وجهك الاحمرار ؟ اترى جاء بياني مبهماً ام وردت بركتي لك لعنة عليك ؟ ام اخجلتك ان انفرد بك فأردت ان اتوارى واكف عن الكلام لأن الفجر قد لاح على الآفاق ؟

ان في العالم من الاغوار ما لا يدركه النهار ، ومن الاشياء ما يجب كتمانها امامه ، وقد باغتتنا النهار ، فلنفترق •

ايتها السماء الممتدة فوق رأسي بطهرها واضطرامها • ايتها الغبطة المتجلية قبل بزوغ الشمس ، لقد باغتتنا النهار فلنفترق •
هكذا تكلم زارا ...

الفضيلة المصغرة

— ١ —

ولما وطىء زارا اليايسة . لم يتجه تواء الى جبله وغاره بل ذهب يضرب في الآفاق مستفسراً عن كل ما يرى فكان يقول عن نفسه : ما انا الا الجدول يتلوى على منعطفاته متجهاً الى مصدره لا الى مصبه . وما قصد زارا من تجواله الا معرفة ما آلت اليه حالة الناس اثناء غيابه ، وهو لا يدري اتعظم الانسان ام تصغر ، وسار زارا حتى ادى به المطاف الى مسلسل من الابنية الحديثة فوقف امامها وهو يعلن دهشته بقوله :

— الى مَ ترمز هذه المساكن ؟ والحق انها ليست من صنع روح جبارة تعلن ذاتها بما تصنع ، ولعلها اخرجت من حقبة طفل ، فيرجعها طفل آخر الى مستودع الالاعيب .

أوسع الرجال ان يدخلوا هذه الحجر ويخرجوا منها وهي كأنها مُعدة لصغيرات الدُمى الرافلات بالحرير أو لصغار الهررة النهمة التي تحشر ذاتها لتفترس فتصبح فريسة .

وشخص زارا ملياً ثم قال والحزن يهدج صوته : لقد اصبح كل شيء صغيراً ، فاني حينما اوجه انظاري لا ارى غير ابواب خُفضت أرتاجها فاذا شاء امثالي ان يجتازوها تحتم عليهم ان ينحنوا .

أيتول بي الزمان حتى اعود الى وطني حيث لا أرغم على الانحناء امام كل صغير :

قال هذا وارسل نظراته تحترق الآفاق البعيدة وهو يدفع بزفرة الشوق العميق .

ومالك زارا نفسه فوقف يلقي خطابه عن الفضيلة المصغرة .

— ٢ —

أمرُ بهذا الشعب مفتحاً عيني منتبهاً الى نفسي فان رجاله لا يغتفرون لي إغضائي عن فضائلهم وترفعني عن حسدهم عليها .

انهم يلحقون بي نابحين إذ اقول لهم لا يليق بصغار الناس الا صغيرات الفضائل . انهم ينبحون اذ يقصر بي فهمي عن ادراك الفائدة من وجودهم في الحياة . وما اشبهني بديك غريب تثور الدجاجات عليه بمنافيرها ، فلا احقد عليها لأنني تعودت على احتمال التافه من المزعجات وما فوقت قط سهامي نحو اي صغير حقير فما ينتفش بريشه لآية حركة الا القنافذ .

إن صغار الناس يتحدّثون عني في سُمَرهم دون ان يفكر احدهم بي ، فتذهب ضجتهم تحوّل دثاراً لتفكيري فاتمّع بنوع من السكون ما كنت اعرفه من قبل .

ان واحدهم يقول لرفيقه ماله ولنا ، انه الغمامة الربداء وقد تحمل باهدابها وباءً كاسحاً فلنحذرهما .

وقد رأيت امس امرأة تجتذب طفلها اليها لتردّه عن الاقتراب مني ، شدّت به وهي تصيح : ابعدوا الاولاد فان هاتين العينين تحرقان روحهم الغضة .

إنهم يتكلّفون السعال اذا ما تكلمت حاسبين ان سعالهم يقف بوجه العاصفات فيردها ، وقد خشنت آذانهم فامتنع عليها ان تحس بنبرات السعادة في صوتي .

يقولون لا وقت نقفه على زارا ولكن ما اهمية جيل لا يتسع وقته لزارا ؟

وهب ان هؤلاء الناس جاءوا اليّ لتجديدي فهل يسعني ان استنيم الى امجادهم وليس ثناؤهم عليّ الا منطقة اشواك لو لمست حقويّ لما تخلصت من اثارها حتى بعد طرحها عني .

لقد تعلمت بين هؤلاء الناس حقيقة اخرى وهي ان من يسدي الثناء يتظاهر باعادة ما بُذل له وهو لا يرمي في الواقع الا الى الاستزادة لنفسه من المديح والاطراء .

سلوا قديمي ، هل غرّهما مثل هذا التزلف ؟ ان قديميّ تمتنعان عن الاخذ بأي وزن مقيد حين يحلو لهما الرقص كما تشتهيان . انهم يصورون فضائلهم الصغيرة بأروع بيان لاجتذابي اليها كما ينقرون على دفّ سعادتهم الحقيرة استفزازاً لرجليّ الى الرقص . وانا امرّ هؤلاء الناس مفتحاً عينيّ منتبهاً الى نفسي لأنهم صغروا ولا يزالون يتصاغرون وما أوردتهم هذا الصغار الا ما اتخذوه قاعدة لسعادتهم

وفضيلتهم ، لأنهم طلبوا الراحة في الفضيلة فحشدوها تواضعاً وهكذا تمرنوا على الإقدام كما يحلو لهم فمشوا متعارجين متماهلين واقاموا من زرافاتهم عقبة في سبيل من يقدمون على الاسراع في سيرهم .

ان من هؤلاء مَنْ يتجه الى الامام ولكنه لا يفتأ يتطلع الى الوراء مُتلعماً عنقه معرقلاً سير التابعين .

على الاعين وعلى الارجل الا تكذب ذاتها وما اكثر الكذابين بين الوضعاء .

ولقد يكون بين هؤلاء الناس من يريد ولكن اكثرهم منقادٌ تعمل ارادة غيره فيه ، ولقد ترى بينهم مخلصاً غير ان اكثرهم من حُثالة الممثلين ، فمنهم من يمثل دون ان يدري ومنهم من يمثل دون ان يريد وما اقل المخلصين من هؤلاء القوم بخاصة بين فئة الممثلين منهم .

هنا تسترجل النساء لقلة ما يتصف بالرجولة الرجال ، وما يحزر المرأة من خلاها ليخلق فيها المرأة الحقيقية الا مَنْ تكاملت الرجولة فيه .

واخبت ما رأيت بين هؤلاء الناس تظاهر حاكمهم بفضيلة محكومهم فلا يزال اولو الامر فيهم يترنمون بتصريف مصدر الخدمة :

« خدم ، خدما ، خدموا — نحن نخدم » وويلٌ للسيد الاول بينهم اذا لم يقل انه اول الخادمين .

لقد ذهب نظري المتجسس ، وأسفاه ! يرود مكان خبثهم فما خفيت عني سعادتهم فاذا هي سعادة ذُباب يترامى بطنينه الى زجاج النوافذ تتكسر عليه اشعة الشمس ، وما رأيت بين هؤلاء القوم اشفاقاً الا وتبيّنت اِزاءه ما يوازيه ضعفاً فتراهم يتعاملون بالانصاف والعطف كحُبوب الرمال تعطف واحدها على الاخرى وما رأيت رجلاً فيهم الا وهو يدّعي القناعة فيما اصاب من نذر السعادة غير انه لا يني في قناعته يحدج بعين الشهوة قليلاً من السعادة يضيفها الى ما يملك وما يطعم هؤلاء الناس الا بان يتقي بعضهم شرّ البعض الآخر فهم لذلك يلجأون الى التعامل بالحسنى . اما انا فلا ارى الا الخَوَر والجبن في هذه الطريقة وان كانوا يعرفونها بالفضيلة فيما بينهم .

واذا صدف وتخطب هؤلاء الناس بشيء من الخشونة فاني لا اتميز في

نبرات صوتهم الا اثر التهاب الحلق ، فان اقل لفحة تصيب هذه الاعناق تبج
اصواتها ، وما اشد هؤلاء القوم حين يحنلون ويمكرون ، ففي اناملهم كل
الرشاقة ولكن في قبضة يدهم شللاً وليس لأصابعهم ان تنطوي على راحتها .
وما الفضيلة في عرفهم الا ما يولد الضعة والتآلف وبهذا المبدأ توصلوا الى
جعل الذئب كلباً بل حتى الى جعل الانسان خيراً الدواجن الخاضعة لتسلط
الانسان .

انهم لمغتبطون ، انهم يضحكون قائلين : لقد اتخذنا مقامنا على الحالة
الوسطى بين مصارعي الثيران يردون المهالك وبين الخنازير سارحة لا تبالي .
وما هذه الحالة التي يدعونها اعتدالاً الا حالة انحطاط وخمول .

— ٣ —

لقد القيت الى هذا الشعب بكلمات كثيرة فما وسعه إدراك كنهها ولا
حفظها ، وكل ما بدا منه هو استغرابه ألا اكون اتيت اليه بالمواعظ لمكافئة
الفحشاء والزائل ، والحق انني ما جئت نذيراً يدعو القوم الى الاحتراس ممن
ينشلون الاموال من الجيوب

لقد استغربوا ألا اكون مستعداً لتنبيه الغافلين عن الحكمة وتسديد التفكير
في الحكماء فكأنهم لا يزالون بحاجة الى مهرة المعلمين تخذش اصواتهم الآذان
كأنها صريف أقلام الحجر على اللوحات السوداء

فاذا صرخت بهم قائلاً : أنزلوا لعناتكم على ما فيكم من جبناء الابالسة الذين لا
يحلو لهم غير الأنين وضم السواعد الى الصدور للعبادة ، هبوا منادين بكفر
زارا وإلحاده وارتفعت فوق اصواتهم أصوات من يعلمونهم الاستكانة والصبر ،
فلا املك نفسي من ان اهمس في آذان هؤلاء المعلمين لاقول لهم : انا هو زارا
الكافر الملعن ، ولولا شعوري بالاشمئزاز منهم لكنت اسحقهم سحقاً لانهم
اشبه بالقمل لا يدبون الا حيث تبدو الحقارة وينتشر الجرب

أجل لقد همست في آذان هؤلاء المعلمين قولي انني انا زارا الكافر
القائل : ارشدوني الى من هو اشد كفراً مني لا تتمتع بتعاليمه واسر بها
انا هو زارا الكافر ، فاين اشباهي ، وما اشباهي إلا من يهبون من ذاتهم
لذاتهم ارادة مطرحين الصبر كارهين الاستسلام

انا هو زارا الكافر ، انا الصاهر في مرجلي كل ما يُدعى صدفه فلا ازال به
حتى ينضج ليصلح لي غذاء ، ولكم رأيت الصدف تتقدم الي كأنها السيد
المطاع فترغمها ارادتي على الركوع أمامي خاشعة مسترحمة طالبة الي أن اجد لها
مأوى عندي قائلة : ما يلجأ الصديق الا الى صديق
ولكن لمن اوجه الخطاب اذا كانت كلماتي لا تطرق اسماعاً تشبه اسماعي؟ غير
اني سأرسل صوتي في الفضاء لتهب به الرياح قائلاً :

— ايها القوم الوضيع انك لتزيد حقارة من يوم الى يوم انك سائر
الى الدوبان فالاضمحلال ، وما يوردك الفناء إلا صغيرات فضائك وتساهلك
وصبرك

انكم تدارون كثيراً، ايها الناس وتتخلّون عن الكثير وما الارض التي تنمون
عليها إلا من تراب المداراة والضعف وهل يشتد جزع الدوحة فتتعالى اذا هي لم
تنشب اصولها في الأرض القاسية ملتفة حول صلب الصخور ؟
انكم تنسجون باهمالكم كفناً لمستقبل الانسانية فانتم العناكب العاملة فيما لا
يجدي وهي تتغذى من دم الأنسال المقبلة . فيالكم من لصوص بما تأخذون ،
ايها المباهون بحقيرات الفضائل ، انكم تسلبون وتهدمون في حين ان للساارقين
انفسهم بقية من الشرف تقف بهم عند حد السلب اذا لم يكن من موجب للهدم
والتحطيم

انكم تأخذون بما ديء صبركم فتقولون ان ما تستولون عليه هو مما يُعطى وانا
اقول لكم انه مما يؤخذ ويسلب وما انتم إلا سالبو انفسكم لو تعاملون
فعلى م لا تقلعون عن هذا التذبذب في ارادتكم ولماذا لا تختارون الذهاب
الى صميم الكسل او الى صميم العمل ؟
ليتكم تفهمون ما اقوله لكم : افعلوا ما تريدون ولكن تعلّموا أولاً ان
تريدوا

حبّوا قريبكم كأنفسكم ولكن حبّوا انفسكم أولاً
وهل بينكم من يحب نفسه بالحُب الأعظم والاحتقار الاعظم ؟
وهل يجدي القول وليس لكم الاذن التي اسمع بها انا ؟ ان ساعتي لم تحن
بعد ، وقد جئت بينكم بشيراً لذاتي فانا الصبح وانا الديك الصائح ولما يزل الظلام
منتشراً على السبل

ان ساعتكم تقترب باقتراب ساعتي ، فانكم تتصاغرون مع مرور الزمان فيزداد فقركم وتزدادون عقماً فما انتم إلاّ اعشاب مسكينة على ارض اشد مسكنة من اعشابها

لسوف لا يطول الزمان حتى تتعب هذه الاعشاب من نفسها فتحترق وهي عطشى الى النار لا الى الماء

انها لأسعد ساعة تلك الساعة التي تنقض الصاعقة فيها ، ويا لها من سرّ يستيق الظهيرة ، فاني سأرسل من هذا السر ومن تلك الصاعقة جداول من نار سأرسل انبياء يتكلمون بالسنة اللهيبة منذرين بالظهيرة العظمى هكذا تكلم زارا . . .

على جبل الزيتون

لقد نزل الشتاء ضيفاً ما كراً عليّ ، فددت يديّ يلوّحهما الازرقاق لمصاحفته ، ولكم اود ان افلت من هذا الضيف بالرغم من محبتي له ولا سبيل لي للانعتاق منه إلاّ بالجري على قدمي فتدب الحرارة فيها وفي افكاري ، فانا اتجه هارباً من الصقيع الى حيث ينقطع هبوب الريح فأصل الى جبل الزيتون ، الى مطرح شعاع الشمس ، وهناك استقرّ ضاحكاً من ضيفي القاسي الرابض في مسكن يتلهى بالقرعة وقتل الذباب ، وضيفي ينفر من طنين ذبابة واحدة او ذبابتين فهو يطمح الى جعل كل مكان مقفراً حتى يرى اشعة القمر نفسها ترتاع من ظلمات السبيل

انه لشديد الوطأة هذا الضيف ، ولكنني احترمه ولا افزع منه الى اله النار كما يفعل المخنثون ، لانه خيرٌ للانسان ان تصطك اسنانه برداً من ان يلجأ الى الاصنام ، ذلك ما تقول به غرائزي فانا عدو كل صنم ناري يضطرم في وجومه

اذا ما احببت احداً فان حيي له في الشتاء لأشد منه في الصيف وفي الشتاء اراني اقوى على الاستهزاء باعدائي ، فاشعر بالشجاعة عندما التف بدثاري على فراشي لأن سعادتي الموليّة تأخذ بالترنم ضاحكة فتضحك معها كاذبات احلامي اي شيء يكرهني على الزحف ، وما زحفت يوماً سعياً الى اقدام الاقوياء ؟

وأذا كنت لجأت أحياناً الى الكذب فما كان كذبي إلاً وليد محبتي وذلك ما يجعلني مرتاحاً الى نفسي حتى وأنا على فراشي والسماء معتكرة بالغيوم
انني لأدفع على الفراش الوضع البسيط بأكثر مما أدفع على الفراش المزين الوثير
فانا حريص على فقري وما يخلص الفقر لي في اي فصل إخلاصه لي في الشتاء ،
افيق كل صباح للمشاكاة فابدأ بالاستحمام بالماء البارد لاهزاً بالشتاء فيزجر بوجهي
هذا الصديق القاسي، وعندئذ يلد لي ان اداعب ظلامه بانوار شمعة ضئيلة لا هيب
به الى ارسال شرر النور من رماد آفاه

ان روح الاذية لا تنتبه بي في اية ساعة انتباهها عند الفجر عندما تحتك الآنية
بالآنية امام سبيل الماء وتسهل الخيل وهي تضرب بحوافرها ارض الشوارع الدكناء
عندئذ اقف شاخصاً الى السماء متوقفاً انبثاق انوارها فتبدو كالشيخ تمارج
السواد بالبياض في لحيته ونصبت بالشيب قمة رأسه

فيا لسماء الشتاء من آفاق صامته تتغلب أحياناً على الشمس فتدعها ملفعة
بصمتها ، فهل اقتبست من هذه السماء الاتقباض على النور في السكون الطويل أم
هي تعلمت ذلك مني ؟ ولعل كلاً منا اوجد هذا الوجود الصامت لنفسه ؟

ان الاشياء الحسنة مصادرها المتعددة لانها تظفر مرحة في الوجود فلا يمكن
ان تلوح وشيكاً وتتوارى

وما الصمت الطويل إلاً في عداد هذه الاشياء الحسنة المرحة لذلك صفنا اديم
وجهي كأديم السماء بعد إمطارها واستقرت اللحظات الهادئة في عيني . فانا احجب
شمسي كما تحجب سماء الشتاء شمسها فاخفي ارادتي وقد تعلمت هذا المكر من
الشتاء فبلغت من فني مرتبة منعت بها صمتي ان يفضح بالصمت نفسه ، فاصبحت
ألمو بمخادعة المتعظمين وأشغال انتباههم الصارم بالتكلم وباللعب بالنرد وهكذا
لن يتمكن احد من سبر اعماق حكمتي واقصى ارادتي . وذلك ما رميت اليه
عندما اوجدت السكون الطويل

ولكم رأيت من رجل ما كر يضع نقاباً على وجهه ويعكّر المياه في اعماقه
كيلا يتمكن احد من نفوذ اقصى سريره فالتف حوله كبار الماكرين رواد
المصاعب فاصطادوا جميع ما اخفي من اسماك في قعر مياهه

ان من لا يفضحهم الصمت انما هم من نقت نفوسهم وشفقت قلوبهم غير ان
أقصى سرائرهم لا تنكشف للنظر وهي السحيفة الاغوار تحت اطباق المياه الشفافة الصافية

إنك رمزٌ لنفسي يا سماء الشتاء بأديمك الأبيض وعيونك البراقة الصافية
وورائك مثل ما تضر هذه النفس من ثورة واضطراب ولقد حقَّ عليَّ أن
احتجب كمن ابتلع الذهب كيلا أعرض روعي لمباضع المتجسسين ، ولقد وجب
عليَّ أن انتعل القباقيب المرتفعة لآخني طول قائمتي عن أعين من يدورون بي من
لؤماء الحاسدين . أنها لن تحتل النظر الى سعادتي هذه النفوس الجافة العتيقة
المتهرئة المفسخة . . .

من أجل هذا لا أظهر لهم غير شقائي والثلوج المكحلة لندرواتي مخفياً عنهم أن جبلي
تمنطقه الشمس بجميع أنوارها ، وإذا هم سمعوا من مرتعي شيئاً فلا يسمعون إلا
ولولة الزوابع ادفع بها اليهم فلا يخطر لهم ببال أنني امرأ أيضاً على الأمواج الحارة
فاحمل منها لفحات ريح الجنوب

أن هؤلاء الناس يشفقون عليَّ لما يطرأ لي من الحادثات ومن تصارييف
الزمان في حين أنني اهتف قائلاً دعوا الصدفة تأتي اليَّ فإنها طاهرة كالأطفال .
أكان هؤلاء الناس أن يطيقوا . تمتعي بالسعادة لولا أنني لم احط سعادتي
بمحادثات الشتاء ومصائبه ولم اتدثر بالفراء وعباءة الشتاء ؟

أنني أن اشفت لاشفاق هؤلاء المتألمين في كيدهم وأن ارتجفت من البرد
أمامهم ورضيت بأن تدور رحمتهم بي فما ذلك إلا لحكمة مريحة في نفسي لا تخفي
ما يدور بها من عاصفات الشتاء ولا تستر ما ألمَّ بها من قروح الصقيع .
أن بعض الناس يطلب العزلة بالهرب من المريض والبعض الآخر يطلبها
بالوقوف أمامه .

لأدعهم يصغون الى انيني وشكايتي لصقيع الشتاء ، أنني بمثل هذا الانين
افزع من غرفهم الدافئة فليشفقوا عليَّ وليقولوا أنني سأقضي بالصقيع في برد
معرفتي . أما أنا فأركض برجلي الدافئتين على جبل الزيتون وأطلق صوتي بالانشاد
في مطارح شعاع الشمس هازيئاً بكل إشفاق^(١)

هكذا تكلم زارا . . .

(١) لقد تكون هذه المبالغات في الوصف وهذه المغاللات في الاستعارات المبهمة من محاسن
البيان في اللغة الألمانية ، غير أنها ليست على ما نرى من روح الادب العام على بلاغة يستسيغها
كل بيان ، وعندنا أن اللغة العربية خير ما تختبر به عبقرية الكاتبين بكل لسان .

على الطريق

وكان زارا وهو يقصد كهفه وجباله يمرُّ بشعوب عديدة ومدن كثيرة متمهلاً في رحلاته حتى وصل فجأة الى مدينة عظيمة واذ دخلها انتصب بوجهه مجنون فاحمًا ذراعيه ليصدّه عن التقدم والزبد يرغى على شديقيه ، وما كان هذا المعترض الاّ من لقبه اهل المدينة بسعدان زارا لانه كان يقلّد حركاته ولهجته ويستعير شيئاً من كنوز حكمته .

وخطب المجنون زارا قائلاً :

ان هنا المدينة العظمى وما لك ان تظفر منها بشيء بل عليك ان تقفد فيها كثيراً .

ما الذي يضطرك في الانغماس في هذه الاحوال ، فاشفق على قدميك وقف عند بابها تافلاً عليه وعُدّ ادراجك .

هنا جسيم كل فكرة فريدة ، هنا تصهر الافكار السامية حتى تصبح مزيجاً مائعاً .

هنا تنهراً كل عاطفة شريفة ولا يسمح الاّ للعواطف الجافه بان تعلن عن نفسها بخشيش اصطدامها .

أفما بلغت انفك رائحة المجازر حيث تنحر الافكار ومطاعم السوق حيث تباع بأبخس الاثمان ، افما ترى ابخرة العقول المضحاة تتصاعد منتشرة كال دخان فوق هذه المدينة .

أفما تلوح لك الارواح معلقة معروضة كأنها خرق قدرة بالية فاذا هي تنقلب صُحفاً تنشر بين الناس .

افلا تسمع البيان الطلي يستحيل هنا الى تلاعب الفاظ وسخائف تغصُّ بها جداول الصحف فاذا هي مصارف اقدار .

ان بعضهم يتحدثني البعض الآخر ولا يعلمون على ما يختلفون ، يأخذ بهم الغيظ كل مأخذ وقد غاب عنهم سببه ، فلا يسمعونك الا طقطقة فلوسهم ورنين دنائيرهم .

لقد استولى عليهم البرد فلا يدفأون الاّ بكرع الخمر واذا ما دبّت الحرارة

فيهم لجأوا الى مهب الافكار الباردة ، فهم ابداءً مسوقون بالرأي العام مأخوذون بدرجة غليانه .

هنا مقام جميع الرزائل والشهوات ، وهنا ايضاً فضائل عديدة لها مهارتها ولها مشاغلها ، ولتلك الفضائل الجمّة انامل للكتابة واردة من رصاص وللمتحلين بها وسادات من الجلد علقت عليها الانواط ولهم ايضاً بنات هزلت اردافهن فاصطنعن لهن من القش اردافاً .

وانك لتجد هنا كثيراً من الاشفاق والاحتشام وكثيراً من الاتضاع امام رب الجيوش ، لأن من مقامه الأعلى تنهاوى الكواكب ومعها النفثات ، وكل صدر عاقل عن الكواكب يرسل نحو هذا المقام زفرات شوقه .

ان للقمر جوّه وفي هذا الجو تدور اتباعه ، والشعب المتسول لا يفتر مع الفضائل المتسولة يرفع الصلاة الى كل ما يلتصق في مدار القمر ، وما الصلاة الا كلمات : خَدَمَ ، خدما ، خدموا ، نحن نخدم . يترنم بها اهل الفضائل وهم يتجهون الى الحاكم الأعلى متوقعين سقوط الانواط المتوهجة على صدورهم الضيقة غير ان القمر نفسه يدور حول الارض وما عليها من نتاج التراب والحاكم ايضاً يدور حول كل ما هو ارضي وما من شيء اعرق في الارض من ذهب بائعي السلم ، ان رب الجيوش ليس رباً للسبائك فاذا ما الحاكم دبر ، جاء بائع السلع فقر .

أي زارا ، استخلفك بكل ما فيك من نور وقوة وصلاح ان تتفل على هذه المدينة ، مدينة بائعي السلع وتكر راجعاً الى الوراء ، ان الذي يجري في عروق سكانها إنما هو دم مفسود ، فاقفل على المدينة الكبرى لأنها المزبلة التي تتراكم فيها الاقدار .

اتقل على مدينة النفوس الضعيفة والصدور الضيقة ، مدينة العيون الحاسدة والانامل اللزجة ، مدينة الوقحين والفجار والمعربدين والطامعين اليأسين ، المدينة التي يتكدس فيها من تأكلهم سوس الفساد من اهل الشهوات المضروبين بالقروح المتآمرين .

ابصق على هذه المدينة وعُدْ أدراجك .

ومدّ زارا يده مطبقاً فم المجنوّ المزبد في حدته قائلاً له — اما آن لك ان تصمت لقد تحملت طويلاً حركاتك واقوالك ما الذي دعا بك الى الاقامة على ضفاف هذا المستنقع حتى اصبحت انت ايضاً ضفدعاً وعقرباً ؟

أفما تسيل في عروقك انت ايضاً دماء المستنقعات الفاسد ، فها انت تحسن
النقيق وتحيد اللعن

لماذا لم تطفر الى الغاب ، لماذا لم تذهب لحرث الارض ؟ افليس في كل جهة من
البحر جزيرة خضراء ؟

انني احتقر احتقارك وقد كان عليك ان تبذل نصحك لنفسك قبل ان تجود به
عليّ . فان احتقاري وهو الطائر النذير لن يتعالى من اقدار المستنقعات بل يهب
من مواطن الحب والاشواق

لقد لقبوك بسعدان زارا ، ايها المجنون المزبد اما انا فادعوك خنزيري ،
الا فانقطع عن هذا الحوار والاّ دفعت بي الى استنكار ما مدحت به
سكرات الجنون

ما الذي يهيب بك الى رفع هذه الاصوات المنكرة ؟ ان الناس لم يوجهوا
اليك ما كنت تتوقع من ثناء ، لذلك جلست الى اكوام الاقدار مزججاً صاخباً ،
مفتشاً فيها على ما تسليح به انتقامك اتظن ان امرك قد خفي عليّ ؟ وهل هذا
الازباد إلا من ارغاء الضغينة في قلبك ؟

اصمت فان كلماتك تلحق الضرر بي حتى ولو كنت الحقيقة فيها ولو انطوت
ألف حقيقة في ما اقول ، لانك تسيء اليّ باقوالي نفسها
هكذا تكلم زارا ، وهو يتلفت الى المدينة متنهداً ، ثم صرخ بعد صمت
طويل :

— لقد كرهت هذه المدينة العظمى انا ايضاً وليس هذا المجنون من
يشير كراحتي فحسب ! فهي مثله وهو مثلها وليس فيها ما يقبل اصلاحاً او
زيادة فساد

ويل لهذه المدينة العظمى ، وليت تجتاحها اعاصير النار فتذريها رماداً. اذ
لا بد من انطلاق مثل هذه الاعاصير منذرة بانظهير العظمى ، ولكن انطلاقها
مرهون بزمانها ومقدراتها

اما انت ايها المجنون فاني استودعك بهذا التعليم : — اذا امتنع على الانسان
ان يبذل حبه فعليه ان يذهب في سبيله !

هكذا تكلم زارا ، وسار في سبيله متجاوزاً المجنون والمدينة العظمى

الآن بقون

— ١ —

وأسفاه ! كل ما كان مخضلاً وزاهياً بعدد ألوانه على هذه المروج أصبح
الآن باهتاً وقد عراه الذبول . ولكم جنيتُ هنا فيما مضى من عسل الآمال فحملته
الى قفيري

لقد سطا الطرم على جميع القلوب الفتية ، وما آن للهرم ان يتحكم بهؤلاء
الفتيان فما هم الا متعبون يستسلمون للكسل وهم يبررون حالهم بقولهم — لقد
عدنا الى ممارسة التقوى

ولكم نظرت اليهم عندما كانوا يندفعون الى السير باقدامهم الجريئة اما
الآن فقد تراخت معرفتهم مع اقدامهم فأمسوا وهم يهزأون بما كانوا عليه من
الشجاعة في صبيحتهم

لقد كان اكثرهم يختالون كالراقصين معلنين بضحكهم أنهم من اتباع حكمتي
فاذا هم يستغرقون فجأة بالتفكير وما هم الآن أُمّامي وقد انحنت ظهورهم يزحفون
على ركبهم نحو الصليب

لقد كانوا فيما مضى يحومون حول النور والحرية كما تحوم الفراشات والشعراء
ولكنهم ما شعروا بشيء يسير من وقر الايام ومن صقيعها حتى هرعوا الى الموقد
يصطلون كاصحاب القلائس وأدعياء الحكمة

أفقد هؤلاء الشجعان اقدامهم لانني تواريت عنهم في عزلي فباتوا
يتنصتون عبثاً لدوي أبواق وصيحات انذاري

وأسفاه ! ما اقل القلوب التي تصمد بوجه الزمان وليس في سواها ما
يعزز الروح في حين يسطو الخور على سائر القلوب ، وما اكثر الجبناء فهم
السوقة الدخلاء على الحياة

لا بد لمن كان على مثالي ان يصادف في طريقه ما صادفت ولا مناص له من
أن يكون رفاقه الاولون أشلاء اموات ومتمرني العاب

واذا ما مرّ هؤلاء أته الفئة الثانية من رهط المؤمنين يسودهم كثير من
الحب وكثير من الجنون وإجلال الطفولة وخشوعها . فليحترس من كان على

مثالي ان يولي هذه الفئة عواطفه لان العارف بضعف الانسانية وتقلبها لا يثق
بدوام زهو المروج ايام الربيع
ولو كان هؤلاء المؤمنون على غير ما هم عليه من غريزة لتبدلت ارادتهم ،
وليس للنقص أن يجاري الكمال ، فعلى مَن نشكو اذا صارت ناضرات الاوراق
الى الذبول ؟

دع الاوراق تنتثر ، دعها تذهب مع الريح ، اي زارا ، وكفَّ عن الشكوى ،
فخير لك ان تساعد بزفيرك الرياح الهابة على اغصانها
انفخ على هذه الاوراق ، يا زارا ، ليتبدد من حولك كل شيء عراه الذبول

— ٢ —

يقول الآبقون انهم الى التُّقى راجعون وأكثرهم جبانٌ لا يجسر حتى على
التعلل بتقواه في خروجه ، ولكنني انظر الى هؤلاء الخائفين واعلم لهم
بوجههم أنهم قد عادوا الى الركوع والصلاة . فأقول لكل منهم : اذا لم تكن
اقامة الصلاة عاراً على الناس فهي عارٌ على امثالك وامثالي ممن تنبّه شعورهم في
تفكيرهم ، ان صلاتك تُعدُّ منكراً عليك لانك تعلم أن الشيطان الكامن فيك
الذي يحمله كتف ذراعيه تائثاً الى حياة الرخاء يوسوس في روعك قائلاً لك ان الله
موجود . فانت آبق يهرب من النور لان النور يشغل تفكيره فاذهب الآن في
ضلالك سادراً . وتوغّل كل يوم في لبدات الظلام

والحق انك احسنت اختيار الحين للانطلاق وقد بسطت طيور الليل اجنحتها
فهذه ساعة ابناء الظلام المضربين عن الاعمال لقد حانت ساعة الاصطياد وما هذا
الصيد الذي تقدم عليه مهاجمة وعراكاً بل هو انزواء في كمين وتراخٍ وصمتٌ لا
يسمع فيه غير همسات الصلاة ذلك هو صيد ادعياء الحكمة ينصبون فيه شركاً
للقلوب فكلمها هتكتُ سترأ رأيت وطواطاً صغيراً ينطلق من ورائه ولعله كان
مختفياً مع وطواط صغير آخر لأنني في كل جهة ارى جماعات تستتر وما ينبعث
عنها من رائحة التُّقى يستجلب اليها رهطاً جديداً من المتقين . فهم يجتمعون
لاحياء الليالي قائلين فلنعد الى حالة الطفولة ولنناجِ الاله الصالح ، يقولون هذا
بعد ان تكون معدهم امتلأت بالحلوى من صنع اهل التقى . وهم يجتمعون
احياناً في اوقات السمر ليشهدوا حركات عنكب محتال يقف وراء الكمين ملقياً

على رفاقه العناكب مواعظ الحكمة قائلاً لهم : ان خير ما يرتاح العناكب اليه انما هو حبك نسيجها في ظلال الصليب .

أتراهم يقضون اياماً طويلة يلقون الشباك في المستنقعات معتقدين انهم يسبرون الاغوار ولا يعلمون ان من يمضي الوقت بالصيد حيث لا اسماك لا يصح ان يدعوا عمله حتى محاولة سطحية .

وتراهم احياناً يمزجون تقواهم بالسرور فيتلقون دروساً للعزف على القيثارة عند موسيقي يتلمس الطرق الموصلة الى قلوب الصبايا وقد اتعبه ثناء العجابر .

أو يذهبون الى حكيم لم يستكمل جنونه ليتمرنوا على الرهبة والخوف فيقف معهم في غرفة مظلمة منتظرين ظهور الارواح وقد طارت ارواحهم شعاعاً .

أو هم يتنصتون الى دجال هرم يتجول منشداً بنبرات لقننها الريح الانين فهو يقلد الريح داعياً الى الحزن بصوته الحزين .

ولقد اتخذ بعضهم مهنة الحراسة في الليل فتعلموا النفخ في الابواق ليذهبوا في الظلمة ويبعثوا كل قديم طواه الزمان

مررت امس قرب جدران الحديقة وقد اخلقها الدهر فسمعت من حارسين خمس كلمات تدور على القديم البالي .

قال احدهما — ان هذا الاله لا يعتني برعاية ابنائه فالآباء من البشر أشد عناية منه بابنائهم .

فأجاب الآخر — لقد أدركه الهرم فهو لا يهتم لهم .

— وهل لهذا الآب من اولاد ؟ — من سيثبت هذا اذا هو لم يثبتته بنفسه . ولطالما تفت ان اراه آتياً ببرهانه عن جد .

— أهو يأتي بالبرهان ، وفي أي زمان اقام شيئاً من الأدلة ؟ إنه ليستصعب الاثبات ولكنّه يتمسك بأن يؤمن الناس به .

— أجل ! ان الايمان ينقذ هذا الآب ، واذا قلت الايمان فانما اعني ايمانه هو بنفسه ، وتلك شيمة من بلغوا من العمر عتياً . أفما نحن شيوخ وكلنا اشباه ؟ بهذا كان يتحدث حارسا الليل ، وحرّاس الليل اعداء للنور . ونفخ كل منهما في بوقه بالنغم الحزين .

هذا ما شهدت امس في الليل وانا سائر قرب الجدار القديم ، فكنت أحسُّ بقلبي يتفجّر ضحكا ويهزُّ أحشائي هزّاً ، والحق انني سأموت مختنقاً بضحكي من

النظر الى الحمير الثاملين ومن سماعي أمثال حراس الليل يرتابون بالله .
 افما انقضى منذ زمان طويل عهد الوقوف عند مثل هذه الشكوك ؟ ومن
 يحق له يا ترى ان يتقدم الى هذه الاشياء المظلمة الثاوية لبيعها من لحودها؟
 لقد انقضى عهد قدماء الالهة فطوتهم الاحقاب وقد كان لهم الفناء بالمرح
 الالهي الذي يليق بهم ، لانهم لم يمروا بالغسق ليتراموا الى ظلمة الموت وقد
 كذب من يدعي عكس ما اقول ، فقدما الالهة انتحروا انتحاراً وهم بضحكهم
 يحتنقون ، انتحروا عندما تلفظ أحدهم بآية الجحود الكبرى قائلاً : انا هو
 الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، فكأن هذا الاله قد أخذ بغضبه
 وغيرته في شيخوخته فذهل هذا الدهول حتى أضحك جميع الالهة فتميلوا على
 عروشهم هاتقين — افليس في هذا النهي اعتراف بان هنالك ألوهية لعدة ارباب ،
 وليس هنالك رب واحد

من له آذان صاغيتان ، فليسمع (١)

هكذا تكلم زارا في مدينة — البقرة العديدة الالوان — التي يحبها وكان لم
 يبق امامه سوى مسافة يومين سيراً ليصل الى مغارته ويلتقي نسره وأفعوانه ،
 فامتلاّت روحه مسرة وجبوراً

العودة

أنتِ وطني ، ايتها العزلة ، لقد طال اغترابي في بلاد المتوحشين فها أنذا أعود
 اليك ايها الوطن وعيني تذرقان الدموع

(١) ورد في الاصحاح العشرين من سفر الخروج : « انا الرب الهك الذي اخرجك من
 ارض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة اخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالا منحوتاً
 ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض ، لا
 تسجد لهم ولا تعبدن . . »

فيا لامانة نيتشه في وضعه اساس برهانه .

ان هذا الفيلسوف لم يتورع من بتر الكلام لتحويل معناه الى ما يريد ، فاشبهه بمن
 ينادي المؤمنين الى الامتناع عن الصلاة بآية « لا تقربوا الصلاة — واتم سكارى — »
 واقفا عند النهي اطلاقاً

افليس من الغريب ان يعمد فيلسوف الى اثبات تعدد الالهة من نهبي الناس عن الضلال
 وعن اقامة المعلول مقام العلة واتخاذ الفاني معبوداً امام مبدأ الآزال والآباد ؟

أرفعي شاهدك وهدديني ، أيتها العزلة ، تهديد الأم وانظري إلي مبتسمة
بابتسامتها ، وسليني عن حال من هرب منك إلى بعيد كأنه العاصفة الجامحة ، مَنْ
أفلت منك وهو يصيح : لقد طال انفرادي فنسيت الصمت ، سليني هل تعلمت
الصمت الآن وقولي لي :

— اي زارا لم تخف عني منك خافية فقد كنت تشعر أنك وحيد بين الجميع
فيسودك من الوحشة ما لم تعرفه وانت في احضاني
ان الفرق بين الوحدة والوحشة لبعيد ، هذه هي الحكمة التي تعلمتها الآن
فدركت أنك ستبقى ابداً الغريب المستوحش بين الناس ، حتى ولو بذلوا جهم
لك لانهم يطمعون منك بمداراتهم قبل كل شيء
انك هنا تأوي الى مسكنك فيمكنك ان تقول ما تريد ، ففي العزلة لا ينجل
الانسان من خطرات سريره المتصلبة

كل شيء هنا ينقاد الى بيانك متجنباً طائعاً لان الاشياء كلها تقصده
لتعتليك وتعلو انت رموزها كطايا تذهب بك مطلوقة العنان نحو الحقائق
جميعها

هنا ، لك ان توجه خطابك الى كل الاشياء لأن كل كلمة اخلاص تقال لها
تلقاها حمداً لها وثناء عليها

ان العزلة شيء والوحشة شيء آخر ، وهلاً ذكرت يا زارا صرخة طيرك فوق
رأسك عندما كنت مضطرباً امام جثة ميت في الغاب ولا تدري الى اين المصير ،
فتتمنى ان يأتي نسرٌ وأفعوانك لهدايتك بعد ان لاقيت بين الناس اخطاراً لم
تشهد بين الحيوان مثلها ، تلك كانت الوحشة بعينها !

افما تذكر يا زارا زمناً توسطت فيه جزيرتك كأنت ينبوع خمر يتدفق بين
الدنان الفارغة فيملأها موزعاً خمره على العطاش بلا حساب ، حتى امسيت وحدك
الظامي بين المرتوين . فرفعت صوتك بالشكوى تحت جنح الليل متسائلاً عما
اذا لم يكن في الأخذ سعادة أوفر من سعادة العطاء واذا لم يكن من السعادة في
السرقة ما ليس في الأخذ ، تلك كانت الوحشة بعينها

افما تذكر الزمن الذي طردتك فيه من نفسك أعرق الساعات صمتاً وهي تقول
لك همساً : تكلم واهدم ، فدفعت بك الى كره صبرك وسكوتك فقضت
على ما فيك من شجاعة متواضعة . تلك كانت الوحشة بعينها —

ايتها العزلة لكم في صوتك من نبرات السعادة في عطفه وحنانه ليس بيني وبينك من شكوى ولا عتاب فكلانا نمر صريحين من الابواب المشرعة . لان كل شيء لديك مضيء والساعات تمر فيك عجلي خفيفة ، وما تتناقل الساعات في النور تتاقلها في الظلام

انني اشعر ههنا بان لكل شيء روحه ومعناه فكل كائن يريد ان يعبر عن سريره وكل ما سيكون يطمح الى تعلم البيان مني ، أما هنالك فكل قول عبث وهراء وخير حكمة للناس هي النسيان والفناء ، وهذا ما تعلمته منهم . واذا ما اراد احدهم ان يفهم كل شيء وجب عليه ان يستولي على كل شيء ، وما تمتد الى الاخذ يداي الطاهرتان . لقد تولاني الاشمزاز من رائحة انفاسهم فوأسفاه على زمن طويل قضيته حيث يضجون ويتنفسون

يا للعزلة السعيدة اتمتع بها ، ويا للعرف الزكي يتضوع حولي ، انني انشق بملء رئتي هذا الهواء النقي في هذا السكون المتنصت . اما هنالك فكل شيء يتكلم ولا سميع فاذا ما اذاع احد فضائله بقرع الاجراس خنق الدوي في الساحات رنين الفلوس الكبيرة تقلبها أيدي البائعين . هنالك يتكلم الكل وليس من احد يفهم ما يقال فكل شيء يقع في المياه الجارية ولا ينسرب شيء الى اعماق منابها . هنالك كل شيء يتكلم ولا شيء يبلغ نجاحاً او تكاملاً . كل يصبح وليس من يرضى باحتضان البيوض في الاعشاش ، كل يتكلم وكل كلام متراخ مديد وما كان يقسو من البيان على افواه أبناء الامس أصبح ليناً تلوكة الاشداق في هذا الزمان

هنالك كل يتكلم ولم يبق من مستور لم يهتك فما كان يُعبد بالامس سرّاً كميناً في اعماق النفوس تتناولها اليوم مقارع الطبول وحناجر الصائحين ، فيا للطبيعة البشرية ، ما انت الا ضجة في المسالك المظلمة ، لقد تجاوزتك فتركتك ورأي خطراً أنقذت منه . وقد كانت المداراة والرحمة أشد ما تعرضت له من اخطار وكل كائن في البشر يطلب ان يتعامل بالمداراة والرحمة . وما عشت بين الناس الا وانا أحفظ حقاقي في قلبي ويدي واحشائي ترتعش ارتعاش الجنون لا كاذيب الرحمة والاشفاق .

هكذا عشت بين الناس ، جلست بينهم متنكراً اكاد اجحد ذاتي لاحتملهم مقنعاً نفسي بقولي انني مجنون لا ادرك حقيقتهم .

إذا أنت عاشرت الناس فانك لتنسى ماتعرفه عنهم . لأن ما ينطح بصرك من المشاهد الخارجية يصدّه عن سبر أبعادهم وأعماقهم .

لقد جهلوا حقيقتي فدفعني جنوني الى مداراتهم بأكثر من مداراة نفسي لأنني تعودت ان أقسو عليها فأصبحت هذه المراعاة انتقاماً منها لها .

جلست بين الناس تلذعني حشراتهم السامة وتنال مني شرورهم نوال قطرات الماء المتوالية الانسكاب على الحجر فكنت اقول لنفسي « ان الحقارة تحمل برآتها في ذاتها »

وما رأيت بين الناس حشرات أشد فتكاً بسمومها من الصالحين لأنهم يفرزون حُماهم بكل صلاح ويكذبون بكل صلاح فكيف أتوقع منهم عدلاً وانصافاً . ان الرحمة تعلم الكذب لمن يعيش بين اهل الصلاح وهي تضغط بجوّها الثقيل على الارواح الحرة اذ يُمنع عنها أن تتفهم جهل الصالحين .

ان ما تعلمته هنالك هو ان استر نفسي واخفي ثروتي لأنني رأيت كل غني بين الناس فقيراً بعقله . وقد أضلّني إشفائي فقادني الى النظر في الخفايا وتقدير مازاد وما نقص في عقل هذا وعقل ذاك ، دعوت الحكماء المتعصبين حكماء ولم أزد فتعلمت ان اقتضب كما تعلمت استبدال الكلمات فدعوت حفاري القبور مُنقّبين وعلماء .

ولطالما مُني الحفّارون بالامراض ، ففي المئاوي ما ينبعث كريهاً قاتلاً وخيراً الاّ نثير من المستنقعات ككوامنها ، وما الحياة الحياة الاّ على القمم ، وها انذا انشق الهواء الطلق على اعالي الجبل حيث لا أشتم روائح المجتمع الانساني . إن الهواء الحي يدغدغ معاطسي فتتسع لاستنشاق القوة والحياة .

الثلاثة الشرور

— ١ —

ورأيت في آخر احلامي هذا الصباح إنني واقف على جرف ينهار الى ما وراء هذا العالم وقد نصبت بيدي ميزاناً طرحت الدنيا باحدى كفتيه .
أواه ! ليت الفجر لم يياغتنى بعنفه فانه لغيورٌ عليّ من احلام صباحي وعنف أشباحها .

لقد أراني حلمي أن لَمَنَ مَلَكَ الزمان ان يقيس الدنيا ولمن أحسن الوزن ان يزينها ولمن له جناحان جباران أن يجتاز مداها وكل بصيرة جديدة تقتحم المعضلات بوسعها ان تدرك ما تضمهر هذه الدنيا .

بأي صبر تذرّع حلمي اليوم ليزن الدنيا وهو المركب نصفه شراعٌ ونصفه عاصفة ، وهو السابح صامتاً بجناح الفراش والمنقض متسارعاً بمخالب الصقور ؟ هل اسرّت حكمة نهاري نجواها الى هذا الحلم وهي الحكمة الهازيئة بكل « العوالم التي لا حدّ لها » وأنا القائل : حيث توجد القوة فهناك يتسلط الكمّ فالعدد هو الاقوى .

لقد أحاط حلمي بكل وثوق بهذا العالم المتناهي فما ذهب مع سائق الفضول ولا التجسس وما ارتعد ولا توسّل .

رأيت الدنيا على متناول يدي كتفاحة ناضجة ذهبية ناضرة المنظر ناعمة الملمس .

رأيت الدنيا على الجرف العالي المشرف على البحر كأنها شجرة تومي اليّ وقد انبسطت أفنانها والتوى جزعها كمتكاً للمسافر وقد انهكه التعب .

رأيت العالم يتقدم لملاقاتي كأنه يدان تحملان طبقاً نثر عليه كل ما تشتهي الاعين المتعطفة الخاشعة .

ان العالم الذي طالما كان بغيضاً مذموماً تجلّى لي اليوم طيباً في انسانيته فهو لا يصدّ الناس بانكماشه على اسراره ولا يخدّر حكمتهم بالاغراق في ابهامه .

انا مدين بالشكر لحلم صباحي لأنه وزن العالم في الساعة الاولى فبدأ لي العالم طيباً في انسانيته وهكذا جاء الحلم معزياً لقلبي ، وهأنذا أقتدي به وقد طلع النهار فاضع في الميزان الثلاثة الشرور العظمى .

ان الذي علم الناس ان يباركوا علمهم ايضاً أن يلعنوا فما هي الاشياء الثلاثة المستحقة اللعنة في الارض ، انها الثلاثة التي أريد وزنها : الشهوة والتحكم والانانية ، وهي التي استحققت أشد لعنات الناس حتى اليوم .

هذا هو الجرف الذي وقفت عليه في حلمي وهو يشرف على البحر المتدحرج بقطعانه البيضاء نحوي وما البحر الا ذلك الكلب الهرم الامين وذلك المسخ الرائع يشمخ بمئات الرؤوس .

هنا اريد ان انصب ميزاني فوق البحر الهائج واختار شاهداً عليّ هذه

الشجرة المنفردة الوارفة الظلال المائلة الفضاء بعيرها الشديد .
على أيّ جسر يتجه الحاضر الى المستقبل وما هي القوة التي تُكره المرتفع الى
الانخفاض الى الأدنى وتدفع بالارفع الى مرتبة أعلى .

تساوت كفتا ميزاني فقد طرحت في احدهما ثلاث مسائل ثقيلة فاذا في
الكفة الاخرى ثلاثة اجوبة تضاهيها ثقلاً .

— ٢ —

الشهوة — هي للمتقشفين المتقمصين الصوف الخشن والمحقرين للجسد الحافظ
والمعذب في وقت واحد وهي للمستغرقين في بحران العالم الثاني لعنة هذا العالم
الاول ، لأنها تهاجم اهل الضلال فتقصيهم وتطردهم طرداً .

الشهوة للئيم نارٌ يتحرّق فيها اللؤماء ، نارٌ بطيئة الاحراق يتصاعد منها
إشد الروائح كراهة .

الشهوة للقلوب الحرة عاطفة بريئة حرة فهي سعادة الجنة الارضية وعرفان
المستقبل جميل الحاضر .

الشهوة سُمٌ حلو المذاق لكل من عراه الذبول غير انها شراب القوة وخمرة
الحمر للأساد يكرعونها بشمل الخاشعين .

الشهوة اعظم لذة ترمز الى السعادة والامل الاسمى لأن في الحياة اشياء
كثيرة حق لها ان تتمتع بالاقتران بل باكثر منه ، فهناك اشياء بعدت شقة
الانفصال بينها باكثر من انفراجها بين الرجل والمرأة ومن تُرى تمكّن يوماً من
ان يدرك حقيقة تباعد احدهما عن الآخر ومدى الشقة بينهما ؟

إن الشهوة . . . سأضع حصوناً بين افكاري وأمتنع عن الكلام كيلا
يجتاح جنتي الخنازير والمتهوسون .

أما الطموح الى التحكم فسوطٌ يلهب أشد القلوب قسوة وعذابٌ استشهاد
يُعيد للطغاة لهباً قاتماً من محارق الاحياء .

ان الطموح الى التحكم لجأٌ قاسٍ تراض به أشد الشعوب غروراً فهو المداعب
للفضائل الحائرة الممتطية صهوات الخيلاء

ان الطموح الى التحكم زلزال هدام لكل متداعٍ قديم ، فهو الشائر

المحطم للقبور المكلسة بزجر و يُنزل العقاب ، وهو نبرة الاستفهام تتعالى تجاه كل جواب مبتسر

ان للطموح الى التحكم نظراتٍ تحني هام الرجال فتجعلهم يزحفون زحفاً وتستعبدهم وتهوي بهم الى دركة أحط من دركة الخنزير والأفعى الى ان يأتيتهم الاحتقار بالسكون

ما الطموح الى الحكم إلا المعلم المخوف يلقي الازدراء الأعظم صارخاً بوجه المدن والممالك : أفسحي لي المجال ولا يزال يهتف حتى تنادي قائلة : انني أفسح لك مجالاً

ان الطموح الى الحكم يتعالى ايضاً نحو الأتقياء والمنعزلين ليستهوهم فيذهب الى ذرى الاعتزاز بالنفس كأنه غرام مشتعل يرسم في الخيال المسرات الحمراء الساحرة

ومن له ان يدعو هذه الشهوة للتحكم طموحاً وما هي إلا اندفاع من الاعالي الى الاعماق طلباً للقوة ، وما ارى في مثل هذا الانحدار شيئاً من حرارة الحمى ولا من أعراض الادواء

ليس للذرى المنفردة ان تبقى ابداً منقطعة الى نفسها ، فلتنحدر الانجاد الى الاغوار ولتهب الرياح العالية في مناسف الاعماق

ان مثل هذا الطموح لأسمى من ان يصفه بيان فهو « الفضيلة الواهبة » كما دعاه زارا من قديم الزمان. فكان بوصفه هذا يوجهُ الثناء لأول مرة الى الانانية وما الانانية الا تأكيد للذات يتفجر من الروح المقتدرة ، من روح جبارة اتحدت بجسم متكامل في جماله وانتصاره فأصبح كل ما حولها يستمد القوة منها ويعكس كالمرآة خيالها

وما الجسم المرن الذي ينطوي على قوة الاقناع إلا كالراقص الذي يرمي بحركاته عن مسرّة نفسه وهل المرح الاناني في مثل هذه الارواح والجسوم إلا الفضيلة بعينها

ومهما يقل هذا المرح الاناني عن الخير والشر فانه يحوط نفسه بما يقول بغابة مقدسة لوقايتها ، فهو يتمم باسماء السعادة كتعويذة ترد عنه كل ما يستحق الاحتقار

انه ليقصي كل ما هو ذني اذ يعتبره شراً وما الدنيء المحتقر لديه الا المتألم
لا ينقطع عن الشكوى والآنين ولا يتأخر عن التقاط أية فائدة مهما صغرت
وهذا المرح يكره كل حكمة معولة لان من الحكمة ما لا تنور إلا في
الظلام فتلوح كأشباح الليل هاتقة — كل شيء باطل —

وهو لا يحترم أبناء الريبة القلقة يطلبون من الناس الايمانات المغلظة بدلاً
من النظرة الصريحة واليد الممتدة باخلاص كما انه لا يحترم الحكمة المدعية الحزم
بسوء الظن لان يمثل هذا تم النفوس عن خورها وجبنها
وليست المجاملة باقل ذنابة في عينه فهي كالكلب ينطرح متصاغراً على ظهره
ولكس من حكمة كهذا الكلب زحافة خاشعة متلاطفة

ولكن ما يكرهه المرح الاناني فوق كل كره الرجل المستنم للضميم الممتنع
عن الدفاع المزرد ما يتفل الناس على فمه من سموم وما يلقي عليه من النظر الشذر،
الرجل الموغل في صبره المتحمّل لكل شيء والقانع بكل شيء، تلك شيعة
المستعبد المأجور

إن هذه الأناية السعيدة تتسفل في وجه كل عبودية فتدري بكل متصاغر
امام الارباب يركلونه بارجلهم وامام الناس وآراء الناس
إن هذه الأناية تعد شراً كل متدنٍ منكسر يستسلم للعبودية بعين
منخفضة وقلب منسحق وكل مصانع ينحني مقبلاً الراحة بشفاة متراخية
مرتجفة

انها لتدعو حكمة مضلّة كل كلمة ناعمة يتلفظ بها المستبعدون ومن دب
اليهم الهرم ومن أرهقهم العلل، وتلعو بهذا الوصف ايضاً ما يتفوه به الكهان
في جنونهم وادعائهم

إنما الحكماء الكذبة جميع الكهنة وجميع من سئموا الحياة وكل من تجول
فيهم ارواح النساء والمستخدمين، ان مثل هؤلاء الناس يدسون للأناية
ويتآمرون عليها، مدعين أن محاربتها هي الفضيلة بعينها، ولهذا طمح جميع
الجبنة والعناكب المتعبة من الحياة الى الادعاء بالتنزه عن كل مأرب في
أعمالهم

سيتدفق النور مكتسحاً لهؤلاء الناس جميعاً، وعندئذ يلمع سيف الظهيرة
الكبرى، سيف الدينونة الفضّاح

أما من يمجّد الذاتية وينادي بالأناية فذلك وحده يقول بما يعلم عندما
يهتف : لقد لاحت تباشير الظهيرة العظمى ولن يطول الزمن حتى تتوهج أنوارها
في الآفاق
هكذا تكلم زارا . . .

الروح الثقيل

— ١ —

ليس في إلاّ فم الشعب ، فكلماتي قاسية تخدش اسماع المتأنقين . وهي أشد
وطأة على اسماع زعائف الكتّاب المسلّحين بالأقلام
ما يدي إلاّ يد مجنون ، فويلٌ منها لألواح الشرائع ومنيعات الحصون ،
وويلٌ لكل ما يتسع لزخارف الجنون وغرائب سطورهِ
وما قديمي إلاّ حافرا جواد يتراكمضان على الأنجاد وفي الاغوار فاحس بروح
ابليس ينفخها المرح فيّ وأنا أنهب اشواطِي
أما معدتي فلعلّها حوصلة عقاب لأن أفضل ما تشتهيهِ لحوم النعاج ، وان
لم تكن حوصلة عقاب فهي على كل حوصلة مجنّح من ابناء الفضاء ، لانني اتغذّي
من كل طاهر لذيذ فاتوق ابدأ الى الاختطاف والاختطاف ، وكيف لا يكون فيّ
شيء من الطير وانا اهفو الى هذه الحياة
كفاني ان أعادي كل روح ثقيل لا كون شبيهاً بالطيور ، فانا العدو الالذ
لروح الكثافة بل العدو المقسم الأيحول عن كرههِ وقد تكون معه في رحم امهِ ،
فتلك العداوة لن تطير ولن تتبدد
لسوف أطلق صوتي بالانشاد مترنماً بهذه المعاني بالرغم من انفرادي في مسكني
المقفر حيث لا يسمع أغاني غير أذناي
لَكُمْ في الارض من منشد لا ينطلق الصوت الشجي من حنجرتهِ ولا
تطابق التوقيع حركة يده ولا تشع عيناه ولا ينتبه قلبه إلاّ اذا غص البيت
بالسامعين ، وما انا من امثال هذا المنشد

إِن مَّن سَيَعْلَمُ الطَّيْرَانِ لِلنَّاسِ فِي آتِي الزَّمَانِ سَيُدْفَعُ كُلُّ مَا ضُرِبَ
حَوْلَهُمْ مِنْ حُدُودِ بِلْ سَيَذَرِي مَعَالِمَهَا هَبَاءً وَيَبْدُلُ اسْمَ الْأَرْضِ بِاسْمٍ يَدُلُّ عَلَى
زَوَالِ كُثَافَتِهَا وَثِقَلِهَا

إِن النِّعَامَةَ تَعْدُو بِأَسْرَعِ مَا تَعْدُو الْخَيُولُ الضَّوَامِرُ غَيْرُ أَنَّهَا لَا تَزَالُ كَالْإِنْسَانِ
تَغْرُسُ رَأْسَهَا الثَّقِيلَ فِي التُّرَابِ الثَّقِيلِ ، وَمَا الْإِنْسَانُ بِأَفْضَلِ مِنْهَا مَا زَالُ يَجْهَلُ
كَيْفَ يَطِيرُ ، وَمَا زَالُ يَشْعُرُ أَنَّ الْحَيَاةَ ثَقِيلَةٌ كَالْأَرْضِ

مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَشْعُرَ مِنْ نَفْسِهِ بِخَفَةِ الطَّيْرِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَوَسَّلَ بِالْإِنَانِيَّةِ لِلانْتِقَاقِ
مِنْ كُثَافَتِهِ . لِيَحِبَّ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ : هَذَا مَا أَعْلَمُ بِهِ أَنَا

وَمَا أَدْعُو النَّاسَ إِلَى إِثَارَةِ حُبِّ الذَّاتِ بِعَاطِفَةِ الْمَرْضَى وَالْمَحْمُومِينَ ، فَإِنَّ رَاضِيَةَ
السَّقَامِ تَنْبُعُثُ مِنَ الْإِنَانِيَّةِ الْمَرِيضِ وَالْمَحْمُومِ

تَعَلَّمُوا الْإِنَانِيَّةَ الصَّحِيحَةَ السَّليمة لِتَتِمَكَّنُوا مِنْ احْتِمَالِ ذَاتِكُمْ فَلَا تَضْلِكُمْ
إِنَانِيَّتُكُمْ . هَذَا هُوَ تَعْلِيمِي

وَمَا ضَلَالُ الْإِنَانِيَّةِ إِلَّا بِذَهَابِهَا إِلَى « حُبِّ الْغَيْرِ » فَإِنَّ الْقَائِلِينَ بِالْغَيْرِيَّةِ قَدْ
أَتَوْا بِأَمْرِ تَمْوِيهِ وَمَا أَرَهَقَ الْغَيْرَ أَحَدٌ بِمَثَلِ إِرْهَاقِهِمْ

لَيْسَ الْقَوْلُ بِوَجُوبِ التَّمَرُّنِ عَلَى الْإِنَانِيَّةِ وَصِيَّةً مِنَ الْوَصَايَا تُنْفَذُ بَيْنَ عَشِيَّةٍ
وَضُحَاهَا فَالْتَدَرَّبْ عَلَى حُبِّ الذَّاتِ أَدَقُّ الْفُنُونِ وَأَصْعَبُهَا وَمَا يَمْلِكُ زَمَامَهُ إِلَّا
الْمُتَحِيلُ الْجُلُودَ ، لِأَنَّ رُوحَ الْكُثَافَةِ يَجْعَلُ الْمَالِكَ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يَمْلِكُ وَيُعْمِي صَاحِبَ
الْكُنُوزِ طَوِيلًا عَنْ مَثَاوِيهَا . فَانْنَا لَا نَكَادُ نَطْرَحُ عَلَى السَّرِيرِ حَتَّى نُجَهِّزَ بِالْكَلِمَتَيْنِ
الثَّقِيلَتَيْنِ : « الْخَيْرِ » وَ « الشَّرِّ » ، ذَلِكَ هُوَ مِيرَاثُنَا ، بَلْ تِلْكَ هِيَ الْوَصِيَّةُ الَّتِي
لَا تُغْتَفَرُ لَنَا الْحَيَاةُ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا . وَإِذَا مَا قَالَ قَائِلٌ : دَعُوا الْأَوْلَادَ يَأْتُوا إِلَى
فَمَا يَدْعُوهُمْ إِلَّا لِيَمْنَعَهُمْ فِي الزَّمَنِ الْمُنَاسِبِ مِنْ أَنْ يَحْبُوا ذَاتَهُمْ . تِلْكَ هِيَ مَا آتَى
الرُّوحَ الثَّقِيلَ

أَمَّا نَحْنُ ، فَنَذْهَبُ سَاحِبِينَ مَا أَثْقَلَتْ بِهِ كَوَاهِلُنَا الصَّلْبَةَ إِلَى الْجِبَالِ
الْجُرْدَاءِ ، حَتَّى إِذَا شَكُونَا اللَّغْبَ وَالسَّغْبَ قِيلَ لَنَا : أَنْتُمْ مُحَقَّقُونَ بِشَكْوَاكُمْ فَالْحَيَاةُ
أَعْبَاءٌ وَأَثْقَالٌ

وَالْحَقُّ لَيْسَ فِي الْحَيَاةِ مِنْ أَعْبَاءٍ عَلَى الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ لِأَنَّهُ يُوقِرُ

كاهله بما لا طائل تحته ، فهو نفسه قد استناخ كالجل مل مساماً ظهره ، فأثقل بأشد
الاحمال . واكثر الناس استسلاماً الرجل الصلب الجلود يرفع على كاهله جمّاً من
الكلمات والوصايا الثقيلة فتنبسط الدنيا امامه صحراء قاحلة مترامية الاطراف
وما يثقل كاهلكم كل دخیل علیكم فحسب ، فهناك ما يرهقكم وهو منكم
وفیکم فداخل الانسان شبيه بحشوة المحار فهو قدرٌ متراخ لزجٌ ينزلق تحت
اناملك اذا حاولت إمساكه ، لذلك تتكفل القشور والظواهر المزخرفة بستر ما
وراءها وما يسهل على المرء ان يستنبت لنفسه قشوراً متعامياً بحكمة عن دخاله ،
إِنْ هَذَا إِلَّا فَنٌّ لَا بَدَّ مِنَ التَّدْرِبِ عَلَيْهِ ، وَلَكَمْ عَلَى النَّاسِ مِنْ قَشُورٍ تَمُّ عَلَى
المسكنة وقد وضع عليها التمويه وَلَكَمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ صِفَةِ طَيِّبَةٍ تَبْقَى غَائِرَةً فَلَا
يلسحها احد وكم من طعام شهى لا يرغب احد فيه . وما خفيت هذه الحقيقة عن
النساء فهنَّ يعلمن ان بين المترهلة والنحيلة مجالاً لتمي المتعنتين وقد يتوقف
حظهنَّ من الاستغواء على شيء من الترهل وشيء من النحول

ان اكتشاف خفايا الانسان لمن صعب الامور وأصعب الامور ان
يكتشف الانسان نفسه فكثيراً ما يضل العقل الشعور ، وما ذلك الا من تأثير
الروح الثقيل

ليس من مكشوف حقيقة ذاته الا مَنْ يقول في نفسه : هذا هو خيري وهذا
هو شري ، وبهذا القول يخرس الخلد والقزم القائلين بان الخير خيرٌ لكل
والشر شرٌ للجميع

والحق انني اكره ايضاً من يرون كل شيء حسناً ويرون هذا العالم خير
العالم ، إِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا الْقَانِعُونَ بِرِثَاقِ كُلِّ شَيْءٍ وَيَتَذَوَّقُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَمَا
بهذا يستدل على الذوق السليم ، اما انا فأجل الفم الحساس المتصعب الذي يعرف
ان يقول « انا » واريد ولا اريد

وما من يُلْتَمَسُ كُلُّ شَيْءٍ وَيَهْضَمُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ فَكُلُّ
ناهقٍ بالرضى سائرٌ حماراً بين الحمير

أحب من الالوان الأصفر القاتم والاحمر الفاقع لانهما يدخلان لون الدّم
على جميع الالوان ، وَمَنْ مَوَّهَ جِدْرَانِ بَيْتِهِ بِاللَّوْنِ الْأَبْيَضِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَوَّهَ نَفْسَهُ
بهذا اللون ايضاً

إِنِّي أَحِبُّ الدَّمَاءَ وَمَا يَتَفَقَّ ذَوْقِي وَادْوَاقَ مَنْ يَعْشَقُونَ الْجِثَّ الْمَحْنِطَةَ

من جهة وَمَنْ يَعشَقُونَ الاشباحَ مِنْ جهة اخرى لان الفئتين معاديتان لكل ما هو لحمٌ ودمٌ ، وانا لا اريدُ الوقوف حيث يصيبني رشاشٌ من بصاق الثرثارين وما يسيل النضارُ من أشداقهم كما يدعون ، وخيرٌ لي من المثول امامهم ان اعاشر اللصوص والخونة

واذا ما كرهت الثرثارين فاني اشد كرهاً لمن يتلقون رشاش بصاقهم وما رأيت في الناس مَنْ تَشْمَزُّ لهم نفسي كمن لا اجد لهم شبيهاً غير الطفيليات ، فمثل هؤلاء يطلبون الحياة من الحب وهم لا يشعرون به

ان مَنْ ادعواهم ايضاً اشقياء في الحياة هم الألى لا خيار لهم الا بين حالتين فاذا لم يكونوا حيوانات مفترسة كانوا مذللين لها . وما انا بالضارب خيامي في جوار هؤلاء الناس

وانا ادعو اشقياء ايضاً مَنْ يُكرهون على الانتظار ابداً فما أُجِدُّ حياة الجُباة والتجار والملوك وكل من يقف حارساً لحانوت او لقطر من الاقطار

وانا ايضاً تعلمت الصبر والانتظار الى زمان طويل ولكن ما انتظره انما هو « انا » وما تمرنت عليه هو ان اقف وامشي واركض واقفز واتسلق وأرقص . لان تعليمي هو هذا : مَنْ يريد ان يتعلم الطيران يوماً فعليه ان يتدرب أولاً على الوقوف فالركض فالقفز فالتسلق فالركض ، وليس لاحد ان يطفر الى الطيران طفراً

ما تعلمت التسلق الى النوافذ إلا بنصب الجبال وما ارتقيت مرتفعات الصواري إلا بعد ان تقوّت عضلات ساقي ، ان اعظم اللذات هي اعتلاء صارية المعرفة، والاتقاد بلهب يتلوه لهب فان في هذا الاشعاع المتردد هداية السفر الجانحة وأمل المشرفين على الهلاك

لقد بلغتُ الحقيقةَ حقيقتي بسلوكي طُرُقاً عديدة واتخاذي وسائل جمةً فما ارتقيت المدارج من سلمٍ واحدة لا بلغ القمة التي اتسّمها الآن وارسل منها نظراتي الى بعيد

واذا كنت سألت احياناً عن الطريق فما سألت إلا مكرهاً لاني فضلت في كل زمان ان استنطق السبيل عن وجهته فاخبره بنفسي وهكذا كان تقدمي سؤالا وتلمسا وما يتوصل الانسان الى استنطاق نفسه

وسبله ان لم يتمرن على ذلك ، ولكل ذوقه وهذا هو ذوقي لا أراه خير الاذواق
ولا أراه شرّها على انني لا اخجل به ولا أخفيه .
هذا السبيل الذي انتهج ، فإين سبيلكم انتم ؟
بهذا الاستفهام كنت اجاب من يسألوني : اين الطريق لأن لكل طريقه
وليس هنالك جادة للجميع .

الوصايا القديمة والوصايا الجديدة

— ١ —

ها أنذا جالسٌ أنتظر بين ركام الالواح القديمة المحطّنة والالواح الجديدة
ولمّا تُستكمل كتابة الوصايا عليها .
فأي متى تأتي ساعتى : ساعةُ انحداري وجنوحى ، فإني أريد ان انحدر الى
الناس ثانية : وذلك هو سبب انتظاري اذ لا بد ان تُعلن لي علامة اقتراب
الساعة فأرى الاسد الضاحك وسرب الحمام الزاحف .
والى ذلك الحين اتكلم كمن له سعة من وقته فاخاطب نفسي وأقصّ عليها
ما اعلم اذ لا يقصّ عليّ احدٌ شيئاً جديداً .

— ٢ —

عندما اتيت الى العالم وجدته جالسا على افتراضات قديمة واثقا انه عرف كل
شيء وميز بين خير الحياة وشرّها .
ورأيت الناس يعتقدون ان كل بحث عن الفضيلة قد انقضى زمانه ، وبالرغم
من هذه العقيدة كان كل منهم يأتي على ذكر الخير وهو متجه الى سريره طلباً
للنوم الهنيء .
فوقفت أنبه الغافلين وانا أعلن ان ليس من احد عرف حقيقة الخير والشر
لأن المبدع وحده يعرفها ، وهو من يخلق اهدافاً للناس ويولي الارض معناها
ومُقدّراتها فليس سواه من يوجد لكل شيء خيره وشرّه .
وأمرت الناس بأن يهدموا كل قديم وان يقفوا امام كل عقيدة هرمة
ضاحكين مستهزئين بمعلميهم وقدّيسيهم وشعرائهم ومخلصي عالمهم .

— ١٦٦ —

امرتهم بان يهزأوا بصرامة حكماءهم وحذرتهم من المفزعات السوداء المنصوبة
على شجرة الحياة .

امرتهم ، واتخذت لي مقعداً عند حافة مضيقهم وقد حفل بالنعوش والأشلاء
وحامت فوقه الغربان ، وبت اضحك هازئاً بماضيهم المتداعي وقد تناثرت أمجاده
وإثور كمن أعطي سلطاناً على الخير والشر وكن مسه الجنون صاباً جام الغضب
واللعنة على كل كبائرهم وصغائرهم ، وما هزئت إلا باحقر ما في خيرهم وشرهم .
لقد كانت اشواقى تتدفق منى هتافاً وضحكا وما اشواقى إلا الحكمة المتوحشة
التي نشأت في اعالي الجبال بجناحين يملأ حفيفهما الفضاء ولكم تسامت هذه
الاشواق بي الى ما فوق الذرى فاندفعت معها كالسهم المرتعش يهزه حنينه الى
مصدر النور ، الى مجاهل المستقبل التي لم تبلغها الأحلام ، الى الظهيرات التي لم
يلمس الوهم حرارتها ، الى حيث يرقص الآلهة وقد استحيوا من الاستتار بأي
رداء .

ليس لي ان اصف ما هنالك بغير الرموز ، لذلك اجدني محفوراً الى تمنية
ما أقول فاتذبذب كالشعراء . والحق إننى لأخجل من اضطراري الى الاخذ ببيانهم
لقد لاح لي كل شيء رقصاً ونكات الهية لأن العالم قد انطلق هنالك من
كل قيد فالتجأ الى نفسه ، فازعاً اليها كما يفزع الآلهة ابداً الى ذاتهم مفتشين عليها
بانكارها وبتكرار العودة اليها .

هنالك لاح لي الزمان سخرية بالازمان المجزأة ورأيت واجب الوجود عبارة
عن حرية سعيدة تداعب الحرية نفسها .

هنالك وجدت شيطاني القديم وعدوي الحديث روح الكثافة وما ابدع من
قبور وشرائع وضرورة ونتائج وأهداف وارادة وخير وشر .

وجدت كل هذا ميداناً مهدداً لأقدام الراقصين . فليس من مرقص بلا مسرح
وليس من روح خفيفة لا تزحف عند اقدامها الخلدان والاقزام .

— ٣ —

هنالك ايضاً ظفرت بكلمة « الانسان المتفوق — وبالتعليم القائم على ان
الانسان كائن يجب ان ينشأ منه ما يجتازه ، ليس الانسان هدفاً وغاية ان هو الا
حابر يدعي السعادة في ظهيرته ومسائه .

ان كلمات زارا عن الظهيرة العظمى وجميع ما رفعه فوق العالم إن هو إلا
غروب أرجواني ثان ينفلق من ورائه الفجر الجديد .

لقد عرضت لانظار الناس كواكب جديدة وليالي لا عهد لهم بها ونثرت
الضحك على غيوم الليل والنهار فضربت قبة زاهية بعديد ألوانها .

علمت الناس جميع افكاري وأبنت لهم جميع رغباتي اذ اردت ان اجمع وأوحد
ما في الانسانية من بدد الاسرار وتصاريف الحداث فقامت بينهم شاعراً احل
الرموز وافتديهم من الصدف العمياء لاعلمهم ان يبدعوا المستقبل وينقذوا
بابداعهم ما انصرم من الاحقاب .

لقد وجهت الناس الى انقاذ الانسانية مما أدرج الماضي في اغوارها بتغيير
كل « ما كان » الى ان تنتصب الارادات معلنة ان ما تم هو ما كانت تريد ان
يكون وان هذا ما ستريده في كل زمان .

بهذا رأيت السلام للناس وهذا ما علمتهم ان يدعوه سلاماً .
وأنا الآن اتوقع السلام لي لأعود للمرة الاخيرة للناس لانني اريد ان اذهب
من بينهم الى الفناء فادعهم أثنى كنوزي أسوة بالشمس تلقي على البحار نضارها
وهي تتوارى في الظلام ، حتى ترى افقر الصيادين يداعبون صفحة البحر
بالمجازيف المذهبة .

لقد تعلمت هذا الجود من الشمس عندما كنت اشخص اليها غاربة فتندفق
الدموع من عيني .

هكذا يريد زارا ان يتوارى فيغرب كما تغرب الشمس ، وها هو ذا جالس
ينتظر بين ركام الألواح القديمة المحطمة والألواح الجديدة . ولما اكتمل كتابة
الوصايا عليها .

— ٤ —

انتبهوا ، انى آتيكم بلوح جديد . ولكن اين هم اخوتي يحملون معي هذا
اللوحة الى الوادي لتحفر وصاياه على اعشار القلوب .

ان محبتي لمن سيأتون فيما بعد تقضي بهذه الوصية : — لا تدار قريبك —
لان الانسان معبر يجب علينا اجتيازه للتفوق عليه .

وقد أعطي للانسان ان يجتاز نفسه على طرق عديده وبوسائل عديدة ، فما

عليك الا ان تتجه للوصول وليس غير الممثل المضحك مَنْ يقول بإمكان التنفوق على الانسان طفرأ وقفرأ .

تفوق على نفسك في ذات قريبك فلا تدعه ينيلك حقاً بوسعك ان تأخذه اقتداراً فان ما تفعله لا يبادلك اياه احد لان ليس من مكافأة في العالم ، ومن لا قبل له بحكم نفسه وجبت الطاعة عليه .
ان في العالم كثيرين يعرفون ان يتحكموا بانفسهم ولكنهم لا يعرفون كيف يطاوعونها .

— ٥ —

ان النفوس النبيلة تأنف ان تأخذ شيئاً بلا بدل فهي ترد الحياة قبل كل شيء اذا هي لم تكتسب عيشها ، اما القطيع البشري فيريد ان يعيش دون ان يبذل شيئاً .

لقد وهبت لنا الحياة فعلينا ان نفكر في كل حين بخير ما يمكننا ان نبذل لقاء هذه الحياة ، وهل اشرف من ان نقول : يجب ان نحقق للحياة ما وعدتنا به ليس للمرء ان يتمتع بلذة اذا هو لم يبذل لذة ، فما اللذة عبارة عن التوجه للتمتع بها ، لان التلذذ كالطهارة كلاهما حييٌ ممنوع وليس لاحد ان يفتش عليها اذا هو لم يملكها امتلاكاً . وخير له ان يفتش في هذه الحال على الدنس والاوجاع

— ٦ —

كل طليعة تُضحى ، ايها الاخوة ، وهل نحن الا طليعة مُندرة . تنزف جراحنا دماً في هيكل الاسرار ونقدم محرقة يذوب لحمها تمجيداً للاصنام القديمة ان خير ما فينا لم يزل غضاً رطيباً وذلك ما يهيج شهوة الاشداق الهرمة ، فلحمننا طريٌ وجلودنا جلود حملان ، فكيف لا نثير جشع الكهّان في هياكل الاوثان ؟

ان كاهن الاوثان الهرم لم يزل يسكن ذاتنا الخفية وهو يتهاى لاقامة وليمة يتلذذ فيها خير ما فينا — فكيف تسلم الطليعة ، ايها الاخوة ، من ان تصبح ضحية وقرباناً ؟

ولكن بهذا تقضي مهمتنا وانا احب مَنْ لا يتمسك بالبقاء ، ومن يتوارون ارفقهم بكل عطفي لانهم يذهبون الى الجهة الاخرى

ما أقل من يعرفون الصدق والاخلاص والعارف لحقيقة الصراحة لا يريد ان يكون صريحاً فأكثر الناس تمويهاً هم المشفقون لانهم لا ينطقون ابداً بالحق ، ومثل هذا الاشفاق مرض كامن في العقل

إن الرجماء يرضخون ويستسلمون للقلب يملئ ارادته فيهم على العقل والعقل يمثل دون ترو وادراك ، فما تكون الحقيقة في الرجماء إلا من تراكم كل ما هو شر في عينهم ، فهل لديكم من الشر ما يكفي لايجاد مثل هذه الحقيقة ، ايها الاخوة !

لا تولد الحقيقة إلا من تزواج الوقاحة وسوء الظن والرفض القاسي والكره والشقاق في الحياة ، وما أصعب ان تتوافق وتتحد جميع هذه المقدمات

ان الضمير الشامل قد نشأ حتى اليوم قرب الضمير الشرير فهيّا ايها الاخوة الى تحطيم الالواح القديمة اذا كنتم تفتشون عن مبدأ المعرفة

اذا رأيت المعابر منصوبة فوق مجاري المياه والجسور معقودة فوق الانهار فهل تصدق من ينادي بالثبور وينذر بالغرق ؟ اذا كان الحكماء انفسهم يكذبونه ؟

ان كل ما يعلو النهر من معابر ، كل ما هو خير وكل ما هو شر ثابت مكين . وعندما يجيء الشتاء المتسلط على الانهار يرتاب في ثبات كل الاشياء اشد الناس فطنة . غير ان من يحبون الاستغراق في نوم الشتاء والاستسلام الى بطالته يحلو لهم ان يعتقدوا برسوخ المعابر وسكون كل حركة في الاعماق ، ولكن الهواء المذيب للجليد يكذب هذه الطمأنينة اذ يهب كأنه الثور الهائج ضارباً الجليد بقرنيه واذ يتحطم الجليد تتداعى الجسور ، وعندئذ تغرق في المياه كل المعابر فلا يجد احد ما يستند اليه من الخير والشر

يا لشقائنا ، بل يا لسعادتنا ! لقد هبت الارياح تذيب الجليد . فاذهبوا يا اخوتي على الطرق مبشرين بهبوبة

ان من الجنون جنونا قديماً عُرفَ بالخير والشر فدار حتى اليوم على محور
العُرَافين والمنجمين
لقد ساد الاعتقاد فيما مضى بالعرافة والتنجيم ، لذلك أمن الناس بالقضاء
المحتوم فقالوا بالواقع وجوباً وداخلهم الشك في الكشف فارتدوا الى الارادة
الحرّة ينادون بها قائلين : اذا انت اردت فقد قدرت
ايها الاخوة ، كل ما بني حتى اليوم على استنطاق النجوم والمستقبل لم يكن
الا افتراضاً يقوم على افتراض ، لذلك لم يعرف احد شيئاً عن الخير والشر وما قيل
عنهما لم يتعدّ حدود الرجم بالغيب

لا تسرق ، لا تقتل :
تلك كلمات كانت مقدسة في غابر الزمان ، اذا سمعها انسان جثا على ركبتيه .
واحنى رأسه وخلع نعليه
غير انني أسألكم فاجيبوا : — هل وُجد في الدنيا لصوص وقتلة او فر
سرقة وأشد فتكاً ممن استفزّهم هذه الكلمات المقدسة ؟
أفليست السرقة والقتل من طبيعة الحياة نفسها ؟ وهل كان تقديس هذه
الكلمات النافية الا قتلاً لحقيقة الحياة ؟
أكان القصد من مغالطة الحياة والردع عنها اذا دعوة في سبيل الموت
والفناء
اي اخوتي ! حطّموا هذه الالواح القديمة ولا تترددوا

إنني لاشعر باشفاق على الماضي وقد اصبح متروكاً مهملًا . معرّضاً لما سينشأ
في الاجيال الآتية من اعتبار وتفكير وجنون فان هذه الاجيال ستصطنع لنفسها
جسراً من كل قديم مضى عهده
لقد يجيء طاغية له روح إبليس يتسلّط على الماضي بلطفه وعنفه فيعالجه
حتى يصبح معبراً لاقدامه وشعاراً له ومكاناً يصبح عليه ديك فجره

غير ان إشفائي ينطوي ايضاً على توقُّع الخطر : لان تفكير من ينشأ من الغوغاء لا يذهب الى عهد أبعد من عهد جده وهناك يتناهى في تقديره الزمان القديم

الا ان الماضي اصبح متروكا — وقد تسود الغوغاء يوماً فتدفع الى اللجج بميرات العصور

لذلك وجب ان تقوم فئة لها نبيلها الحديث تناويء الغوغاء وتصدُّ الطُّغاة ، فئة نبيلة تنزل الشرف وصية محفورة على الواح جديدة

لا يقوم النبل ان لم يكن عدد النبلاء وقد اوردت هذا المبدأ ورمزت اليه عندما قلت : بتعدد الآلهة لا بالآله الواحد تقوم الألوهية

— ١٢ —

انني اوليكم النبل الجديد ، ايها الاخوة ، عندما أقضي منكم ان تبدعوا وتعلموا وتلقوا بذوركم لآتي الزمان

تلك كرامة لا يسعكم ابتياعها بذهب التعامل كالمُتاجرين وما ازهد قيمة ما يباع ويشري

لن يكون حَسَبُكم بعد الآن مشرفاً لكم بل الهدف الذي تتجهون اليه ان شرفكم كامنٌ في إرادتكم وفي الخطوة التي تندفعون بها الى التفوق على انفسكم واجتياز حدودها ، ذلك هو شرفكم الجديد

ان خدمتكم لا مير لا تنيلكم شرفاً ، وما هو قدر الامراء ، وهل يشرفكم ان تقفوا كالحصون حول ما هو كائن لتزيدوا في مناعته وتطيلوا بقاءه ؟

انسحبوا من السلالة التي تعلّمت التلوّن في القصور وتعودت الوقوف ابدأ امام المياه الآسنة ، ان علم الوقوف على القدمين يعدّ فضيلة لخدّام القصور وهم لا يتوقعون الحصول على لذة الاستراحة الا اذا طرحهم الموت عن مواضعهم

ليس شرفكم ايضاً في انتسابكم الى اجداد قذف بهم روحٌ يدعونه روح القدس الى ارض الميعاد ، الى الارض التي لا اجد فيها ما يحمد وهل تحمد تربة

— ١٢٢ —

أُنبتت أسواء الاشجار: عود الصليب^(١)

وهل سارت فيالق الفرسان ايان كان يدفعها هذا الروح القدس الا ومن
ورائها قطعان الماعز والبط ورهط المجانين والمعتوهين
أي ، اخوتي ، ليس الي ما ورائكم يجب ان يتطلع نُبلكم بل الى ما هو خارج
عن سبيلكم ، عليكم ان تنفوا نفوسكم من جميع البلدان والمواطن التي سكنها
اجدادكم

لا تعلقوا قلوبكم الا على اوطان ابنائكم ، وليكن هذا الحب حَسَبَكُم النبيل
الجديد ، تلك هي الاوطان التي لم تطأها قدم بعد وراء البحار السحيقة ، وانا
أمركم بنشر شرائعكم للتفتيش على مراسيها .

عليكم ان تكفروا امام ابنائكم عن ذنب تحذركم من ابائكم وبغير هذه
الكفارة لن تنقذوا الماضي .

هذه هي الوصية الجديدة أُعلِّق لوحها فوق رؤوسكم

— ١٣ —

لماذا نحن نحيا ، وكل شيء باطل ! وهل الحياة الا عبارة عن دق سنابل
والاصطلاء قرب نار تحرق ولا تدفي

هذه هي الثروة القديمة لا تزال تُحسب حكمة والناطقون بها شيوخ تفوح
منهم رائحة الانزواء ، والتعفن يُكسب نبلاً فهؤلاء الشيوخ لتعفنهم يكرّمون
وما يقصر الاطفال عن الاتيان بمثل وصاياهم ، لقد لدعتهم النار فهم يخافونها، ان
كتب الحكمة القديمة مشحونة بكثير من الاوهام الصبائية

ان من يدق السنابل لا يحق له ان يهزأ بمن يستخرج القمح منها ، ان
هؤلاء المستهزئين لمجانين يجدر بنا تقييدهم ، فأمثالهم يجلسون الى الموائد دون
ان يأتوها بشيء حتى ولا بشية للطعام . فهم يجدفون قائلين : ان كل شيء باطل
صدقوني أيها الاخوة ان من يحسن الاكل والشرب لا يمتلك فناءً باطلاً

(١) ان كل ما امكن للفلسفة المستغرقة في الآرية ان تدركه من حياة عيسى هو ما حوله
الغرب الى معميات ... وما كان اجدر بنيتشه وهو المتهم المسيح بادخال الاشواق القاتل للمجتمع
الا يرى الصليب مقتطعاً من شجرة السوء لانه قتل المشفق الاكبر ولكن التناقض شر بلايا
الفكر واسهل ما يقع المفكر فيه اذا هو مد بمقياسه الى ما يعلم والى ما لا يعلم دون تحقيق

— ١٣ —

حطّموا ، حطّموا ألواح الوصايا التي كتبها مَنْ لا يزالون أبداً ساخطين
متذمّرين

— ١٤ —

« ان الطاهر يرى كل شيء طاهراً » هذا ما يقول به الشعب
أما أنا فأقول لكم ان كل شيء خنيزي في عين الخنازير
ولذلك يقف المأخوذون بالتواضع وانسحاق القلب داعين الناس الى الاعتقاد
بان العالم مستنقع أوحال وأوضار ، وما الاوضار الا في عقول هؤلاء الوعّاظ
الذين لا يحلو لهم ان ينظروا الدنيا الا مدبرة فما يستهويهم منها الا قفاها . . .
الا انني اصرخ بوجه هؤلاء المأخوذين وان جنحت عن حدود اللياقة لاقول
لهم ان العالم لشبيه بالانسان فله ايضاً قفاه ، وفي هذا العالم كثير من الاقدار
ايضاً ولكنه ليس مستنقعا يغص بالاوضار على رقبته
لقد ارادت الحكمة ان يكون في العالم اشياء كثيرة تنبعث الروائح الكريهة
منها فان الكراهة تستنبت الاجنحة وتولد الشوق الى صافيات الينابيع
ان خير مَنْ في الحياة لا يخلون مما يوجب الاشمزاز بل في ارقاهم ما يجب
اجتيازه والتفوق عليه ، فمن الحكمة اذاً ، يا اخوتي ، ان تكون الاقدار كثيرة
في هذا العالم

— ١٥ —

لكم سمعت الاتقياء المأخوذين بالعالم الآخر ينجون ضمائرهم بأقوال
سداها الضلال ولحمتها الشر ، يقولونها مصدقين بها لا موارين ولا مازحين
« دع العالم على حاله ولا تحرك اصبعاً لاعتراضه في سبيله . دع الناس
يستسلمون لآية يد تشد على خناقهم ، دعهم يتناحرون ويتضاربون ويتعاملون
بالسوء ويتساخون ، اياك ان تحرك اصبعاً لردعهم ، دعهم وما يفعلون فانهم بذلك
يفتنون الى الزهد بهذا العالم
« احذر حكمتك لأنها هي ايضاً من هذه الدنيا وعليك ان تكبتها وان
تنحرفاً نحرّاً لأنك بذلك تتعلم أنت ايضاً الزهد بهذا العالم »
أي اخوتي ، تقدّموا الى هذه الألواح القديمة ، الواح وصايا الاتقياء
وحطموها تحطيماً ، بل اقضموا باسنانكم هذه الوصايا فلا تتفوه شفاكم بها لأنها
كلمات المشنّعين بالحياة

— ١٧٤ —

سمعت الناس يتهايمسون في الأزقة المظلمة قائلين :

« من يتعلم كثيراً يفقد شهواته العنيفة كلها »

ورأيت الواح وصية جديدة تعلق حتى في الساحات العمومية وقد كُتب عليها
« الحكمة مرهقة . ولا شيء يستحق العناء ، فلا تعلق شهوتك على شيء »

سارعوا ، أيها الاخوة الى تحطيم هذه الألواح الجديدة ، وما علقها فوق
الرؤوس الا مَنْ تعبوا من الحياة ، ما علقها الا كَهَنَان الموت وحرّاس المواخير
وهل هذه الوصية الا دعوة الى العبودية

لقد تعلم هؤلاء الكهنة والحراس ولكنهم اتبعوا منهجاً سيئاً فاغفلوا من
العلوم خيارها ، تعلموا قبل الاوان متسرّعين ، فازدردوا ما تناولوا حتى استحکم
في مَعَدَم الداء . وما علقهم الامعدة عالية ساء هضمها ولهذا ينادي عقلمهم بالفناء
ان الحياة ينبوع مسرّة ، ولكن المنتصت الى عقله الممعود وقد ساء
التمثيل فيه وحكمته السوداء يخيّل له أن في كل ينبوع سموماً

ان المعرفة مسرّة لمن تعززه ارادة الأسد ، وما المتعب تسيرّه ارادة سواه
إلاّ قطعة عائمة تتقاذفها الأمواج . وهل الضعفا الا من أضلوا سبيل حتى اذا
نقدت قواهم وقفوا متسائلين عمن دفع بهم الى السير قائلين ان لا شيء يستحق
الاهتمام . هؤلاء هم مَنْ يلد لهم سماع الداعين الى الاستعباد بقولهم : لا شيء
يستحق الاهتمام ، فعليكم ان تشلوا ارادتكم

اي اخوتي ، ان زارا يهب كالهواء اللافح مدغداً معاطس كل مَنْ
أُتعبهم السير على طرقهم ، وهذا الهواء الطلق يخرق حتى جدران السجون ويبلغ
حتى سجناء التفكير

لا مخلص إلاّ الارادة لان الارادة مبدعة ، هذا هو تعليمي . وعلى الانسان
ان يتعلم ليبدع . وعليه ان يأخذ عني دون سواي الطريقة التي تبلغه العلم
من له اذنان سامعتان فليسمع

لقد أُعدّت السفينة فهي متجهة الى بعيد ولعلها سائرة الى لجة العدم ، فهل
فيكم مَنْ يريد السفر الى المجهول المفترض ؟

ليس منكم واحد يريد ان يركب هذه العائمة ، سفينة الموت فعلى م تريدون
إذا ان تسئموا الحياة ؟

ايها المتعبون من الدنيا قبل ان يستعيدكم ترابها ، ما عهدتكم الا متشوقين
للارض عاشقين لمتاعبكم منها

هذه شفتكم تتدلى بشهوة ترابية تعلقت فيها وهذه نظراتكم تجول فيها
خيالات ملذات أرضية لما نسيتموها بعد

ان على الارض مبدعات وفيرة بعضها للفائدة والبعض الآخر للتنعم ،
فأحبوا الارض من اجل هذه المبدعات ، وفيها ما جمع كنهود الكواعب بين ما
يفيد الحياة ويبهج الحياة

اما اتم ، ايها المتعبون من العالم ايها المتكاسلون ، فقد حق عليكم ان تدغدغ
جلودكم السياط لتشتد عزائمكم وقوائمكم . لانكم اذا لم تكونوا ممن نفدت قواهم
فتعبت الارض منهم فانتم ولا ريب من فئة المحتالين المتكاسلين او من المنتقمين
المنقطعين الى اللذات كاهرة الجشعة الخبيثة . اذا اتم اصررتهم على اختيار
الجمود وامتنعتم عن الركض بفرح وجبور ، فما لكم إلا ان تتواروا عن
الوجود

لا دواء للداء العُقام ، هكذا يعلم زارا ، فاغربوا إذا عن الحياة
ولكن الاتيان ببيت الختام في قصيدة أصعب من نظم بيوت جديدة فيها
ووضع حد للحياة يستلزم من الشجاعة ما لا يقتضيه البقاء فيها ، وذلك ما يعرفه
الشعراء ولا يجبهه الاطباء

— ١٨ —

أي اخوتي ، لقد كتب التعب وصاياه كما كتب الكسل وصاياه ايضاً وبالرغم
من ان نص كليهما واحد فان معنى كل منهما يختلف عن الآخر وهل كالكسل
ما يدخل التعفن الى النفوس

انظروا الى هذا الرجل وقد تراخت عزيمته ولم يبق بينه وبين هدفه الا قيد
شبر واحد ولكن التعب اضناه ، فاصبح وهو الجسور المقدام منطرحاً على الرمال
منبرماً حانقاً

— ١٢٦ —

ها هو ذا يتثأب من لعبه وقد سُم الطريق والارض والهدف حتى سُم نفسه،
فهو لا يريد ان يخطو خطوة واحدة بعد

ان الشمس ترشقه بسهامها وقد دارت به الكلاب متحفزة لتلغ ما تصيب
من عرقه وهو لا يزال ممدداً ممتعاً بعناده مفضلاً على النهوض ان تنثره
الشمس رماداً

يا للغرابة أن يفنى الانسان وهو على قيد شبر من هدفه ! تقدموا وجرّوا
البطل بشعره لا بلاغه الجنة التي تاق اليها
ولكن لا خير لهذا الرجل ان تدعوه حيث انطرح ليأتيه الوسن المعزّي
ويتساقط عليه الرذاذ المبرد من السحاب

دعوه يغط في نومه الى ان ينتبه لنفسه، الى ان يتغلب وحده على التعب وعلى
كل ما علمه ان يتعب

ولكن اطرّدوا من حوله الكلاب الخبيثة الكسولة واسراب الذباب
الماليئة جوّه بالطنين ، وما هي الا أرهاط المثقّفين المتغذّين مما تنضحه رؤوس
الابطال

— ١٩ —

انني ارسم حولي خطوطاً وانصب التخوم حدوداً مقدسة ، لذلك يتناقص
عدد من يتسلقون الجبال معي كلما ازددت ارتفاعاً نحو الذرى ، لحاذروا ، يا اخوتي ،
في اي مرتقى ان يندس بينكم الطفيليون ، ان الطفيلي حشرة تتغذى من كل خلية
عليلة فيكم ، فهي تهتدي بالغريزة الى مواطن ضعفكم وتدرّك بسليقتها الزمن
الذي تهني فيه عزائمكم ، فلا تلبث ان تعشش في مكامن استياكم ووهن معزكم
إن مثل هذه الحشرة لا تتخذ مقرّاً الكريه الا في مكامن الضعف من
الاقوياء وفي مواطن الاشفاق من النبلاء ، وحيث تلوح لها علة حقيرة لعظيم
فهناك تتخذ مسكناً لها

ان أدني فئة وأحطها في اي نوع انما هم الطفيليون وما يغدّي هذه الفئة
الدينئة الا أرفع فئة وأشرفها في ذلك النوع . وكيف لا يتراكم العدد الاو فر من
الطفيليين على نفس طال سلّمها فطال المدى بين احط مدرج وأعلى مدرج فيها
كيف لا يتراكمون على نفس رحب مداها فتراكضت فيه تائهة مستسلمة

— ١٢٧ —

للطاريئات ، على نفس تستغرق في آتي الزمان وتندفع الى أغوار الارادة والشوق ،
على نفس تفزع من ذاتها وتفزع الى ذاتها مندفعة منجذبة في افسح دائرة وابعد
مجال ، على نفس تناهت في الحكمة فراودتها على مهل طلائع الجنون ، وتلك هي
النفس التي أحبت ذاتها فوق كل حب فبدت فيها مصاعد ومنازل لكل الاشياء
واتسعت لكل جزر ومد فكيف لا تعلق باكبر النفوس أحقر فئات
الطفيليين . . .

— ٢٠ —

ما احسبني قاسياً طائياً . ومع ذلك فاني اقول لكم : اذا ما رأيتم متداعياً الى
السقوط فادفعوه بايديكم واجهزوا عليه
ان كل شيء يتفسخ ويتداعى في هذا الزمان ، فمن ترى يحاول دعم ما هوى ؟
اما انا فاني اريد سقوطاً
واذا كنتم لم تتذوقوا لذة دفع الصخور من ذرى المنحدرات فانظروا الى رجال
هذا الزمان يتدهورون الى اغواري
ما انا الاً اول المدهرجين وسيأتي بعدي من تفوق مهارته مهارتي ، فاقتدوا
الآن بي
كل انسان تعجزون عن تعليمه الطيران علموه على الاقل ان يسرع
بالسقوط

— ٢١ —

اني احب الشجعان ، وما يقنع اعجابي منهم باحكامهم ضرب السيف اذ عليهم
ايضاً ان يمهروا في اختيار من يضربون
ولقد يكون الاقدام الأوفى في الاحجام احياناً وفي الاحتفاظ بالقوة لمن
يستحق ان تبذل له
لا تتخذوا لكم من الاعداء الا من يستحق البغضاء وتجاوزوا عن عدا
من لا يستحق الا الاحتقار اذ عليكم ان تباهوا بعدوكم وما هذه اول مرة آتيكم
فيها بهذه الوصية
احتفظوا بقوتكم وما اكثر من يجب ان تمروا بهم متغافلين وأحقهم

— ١٢٨ —

بإغفالكم أولئك الزعانف الذين يخذشون أذانكم بما يتصايحون به عن الأمم والشعوب

أعرضوا عما يهاجمون به من حجج وعما يدافعون به من براهين فما اقوالهم الا مزيجٌ توافر حقه وباطله ، ومن أصغى اليها لا يأمن ثورة غضبه ، فاذا هو منقادٌ الى إرسال ضرباته بمنة ويسرة في الجموع ، لذلك سارعوا للالتجاء الى الغابات ودعوا سيوفكم مرتاحة في أغمارها

سيروا في طريقكم ودعوا الأمم والشعوب تتبع مسالكها ، انها لمسالك جلدتها الظلام فلن يلوح عليها بارقٌ لأمل

على تلك السبل لا يسود الا المتاجرون بالسلع حيث لا بارقة الا من لمعان دنائيرهم ، فقد انقضى عهد الملكية وما هذه الكتل التي يسمونها شعوباً لتستحق قيادة الملوك

انظروا الى هذه الأمم وقد اصبحت تمثل دور بائع السلع بمجموعها تروها تجمع حقيرات الأرباح من اقدار أية دمنة لاحت لها ، لقد انتصبت كل أمة ترصد الأخرى وتقلدها وتدعي جميعها حرمة الجوار . فباله عهداً سعيداً ذلك الزمان الذي كان يهب فيه شعب معلناً ارادته بان يسود غيره من الشعوب اقول هذا ، يا اخوتي ، لأن من حق الأفضل ان يحكم ولأنه يريد ان يحكم ، ولا تسود قاعدة غير هذه القاعدة الا حيث لا أفضل منها يعمل بها

— ٢٢ —

ويل لهؤلاء الناس لو ان خبزهم يوزع مجباً عليهم ، فانهم لا يجدون من يصبئون غضبهم عليه ، باي حديث يتحدثون اذا حرموا قساوة الحياة ؟ إن هؤلاء الناس الا وحوش كاسرة ، في اعمالهم ترصد واختطاف وفي ارباحهم مراوغة واحتيال ، فكيف تلد لهم الحياة اذا هي خلت من الشدة والقسوة ، وهم يرون الارتقاء في التفوق على الحيوانات افتراساً ومراوغة لأن الانسان في اعتقادهم افضل حيوان كاسر

لقد اقتبس الانسان صفات جميع الحيوانات لذلك كانت حياته اوفرشدة عليه من حياة أية فئة منها ، ولكن الانسان لم يرتفع فوق الاطيار بعد ، وويل له اذا هو تعلم الطيران ايضاً ، اذ لا نعلم الى اي ارتفاع سيندفع بجشعه وحرصه

— ١٧٩ —

إنَّ ما أريده للرجل وللرأة هو ان يكون أهلاً للكفاح وان تكون أهلاً
للتوليد وان يكونا كلاهما أهلاً للرقص برأسيهما وأرجلها
لنعدَّ كل يوم يمرُّ بنا دون ان نرقص فيه ولو مرَّة واحدة يوماً مفقوداً
ولنعتبر كل حقيقة لا تستدعي ولو قهقهة ضحك بياناً باطلاً

انتبهوا لكل زواج تعقدونه واحذروا العقود الفاسدة لانكم اذا
تسرعتم بها لا تجنبون غير حلِّها . على ان فسخ الزواج خير من تحمُّله بالمصانعة
والمخادعة

قالت لي امرأة :

« ما حطمت قيودَ زواجي حتى حطمت هذه القيود حياتي »
ما رأيت زوجين لا تكفوء بينهما الا وتبينت فيهما عاطفة الانتقام اذ يتحوَّل
نفور كل منهما الى عدااء للناس وقد امتنع عليه أن يسير طليقاً لوحده
لذلك وجب على أهل الاخلاص ان يثقوا بصدق ما يشعرون به وان يوجهوا
قواهم للاحتفاظ بعواطفهم كيلا ينخدعوا بما يعاهدون عليه . وليطالبوا بالاتحاد
الى حين ليثقوا من امكان اتحادهم الى امدٍ طويل فليس من هيئات الأمور ان
يجتمع اثنان الى مدى العمر

ذلك ما اوصي به المخلصين لانني ان قلت بغير هذه الوصية عدت محبتي
للانسان المتفوق ولكل ما اتوقعه لآتي الزمان
ليس ما فرض عليكم ان تتناسلوا وتتكاثروا فحسب بل عليكم ان ترتقوا ايضاً،
فلتكن جنة الزواج مدخلكم الى المرتقى

ليس إلا لمن اختبر أحداث الزمان القديم ان يدرك في الينابيع العتيقة ما
سيندفق منها من أحداث لمستقبل الزمان
لن يطول الزمن ، ايها الأخوة ، حتى تنشأ شعوب جديدة وتبدأ ينابيع
جديدة بالهدير في مجاهل الأغوار

تزلزل الارض زلزالها فتكرع المياه الدافقة فيكثر عددُ الظالمين ولكنها في الوقت نفسه تقذف من باطنها الى النور بالقوى الخفية وبكثير من الأسرار ، وهناك زلازل تفجر من الأعماق على الارض ينابيع جديدة ، فاذا ما انخسفت البسيطة بالشعوب القديمة تدفقت تلك الينابيع

في ذلك الحين اذا ما وقف رجلٌ يدعو الناس هاتفاً : تعالوا ! ههنا عينٌ تروي كثيراً من العطاش فتشدد القلوب الواهية وتخلق العزم فيمن فقدوا إرادتهم ، يهرع الشعب اليه طالباً ان يجرب وما يطمح الناس في تجاريبهم الا الى التمييز بين من له أن يأمر ومن عليه أن يطيع ، ولكم ستقتضي هذه المحاولة من تفكير واستقراء ومشاورة واختبار

ان ما يرسو عليه المجتمع الانساني انما هو المحاولات لا النظام المبرم بالعقود ، هذا ما اعلمه انا وما هدف هذه المحاولات الا وجود من يحسن الحكم

فاعرضوا يا اخوتي عن كل قول اخر مصدره القلوب الخائرة والافكار العاجزة عن وجود الطرق الحاسمة

— ٢٦ —

اين يكمن الخطر الاعظم المهديد لمستقبل الانسانية ، يا اخوتي ؟ انني اراه كامناً في نفوس اهل الصلاح والعدل ، وهم القائلون في نفوسهم « اتنا نعرف ما هو صلاحٌ وعدلٌ وهو كائن فينا فويل لمن يريدون ان يوجهوا ابحاثهم اليه » ان ما يرتكبه الاشرار من المآتي لا يوازي بضره ما يرتكبه الاخيار فان وطأتهم لأشد على العالم من وطأة المفترين عليه

أي اخوتي ، لقد تطلع يوماً أحدُ الناس الى قلوب اهل الصلاح والعدل قائلاً : « هؤلاء هم الفريسيون » فما فهم احدٌ قوله وما كان الصالحون العادلون ليفهموه ايضاً لأن عقولهم سجين في ضميرهم ان حماقة الصالحين حكمة لا يدركونها احد . ولكن لا مفر لهم من وصفهم بالفريسيين ، وقد قضي عليهم ان يصلبوا كل من يتدع لنفسه فضيلتها . تلك هي الحقيقة لا مرية فيها

لقد جاء رجل آخر فاكشف مواطن الصالحين والعادلين وما خفيت عنه أرضهم ولا قلوبهم فاورد سؤاله واجاب عليه :

— ١٨١ —

أيُّ إنسان يصب عليه هؤلاء الناس اشدَّ كرههم؟
 — إنهم لا يكرهون أحداً كرههم للمبدع ، لأنه في نظرهم المجرم الهدّام
 لتحطيمه الواح الوصايا القديمة
 ذلك لأن أهل الصلاح عاجزون عن الإبداع ، وما هم إلا بداية النهاية ، فلا
 بدع إذا صلبوا من يحفر وصايا جديدة على الواح جديدة ، وإذا ضحّوا المستقبل
 لأنفسهم ، والمستقبل للعالمين أجمعين
 هل كانت أهل الصلاح في كل حقبة من حقبة الزمان إلاَّ بداية
 النهاية (١)

— ٢٧ —

أفهمتم يا اخوتي هذه الكلمة وما قلته لكم أولاً عن الإنسان الأخير؟
 افما اتضح لكم ان الخطر الأكبر المهدّد مستقبل الانسانية انما هو كامن في
 مباديء أهل الصلاح وأهل العدل
 هيا ! حطّموا الصالحين والعادلين
 وعساكم تدركون معنى هذه الكلمة ايضاً

— ٢٨ —

اراكم تذهبون بدداً من حولي ، اراكم ترتعشون فكأن قلتي هذه ادخلت
 الرعب الى قلوبكم
 أي اخوتي إنني ما دفعت بسفينة الانسان نحو الغمر إلاَّ عندما أهبت بكم
 الى تحطيم الألواح وإسقاط الصالحين ، وها إن الرعب الأعظم يستولي على من
 دفعت الى اجتياز الغمر فقد غارت عيناه وحكمه دوائر البحار
 لقد اراكم أهل الصلاح وجهات الأمور الخسادة وعللوكم بحالات أمن
 كاذب ، وكنتم واجهتم اكاذبيهم وانتم اطفال فما انقطعتم عن الالتجاء اليها
 لقد شوّهوا كل شيء وافسدوه حتى في اصوله

(١) ما لصاحبنا نيتشه يعترف بتمرد عيسى على شر من يدعوهم أهل الصلاح والعدل ، وما
 له يباهي باقتفاء اثر هذا السامي الضعيف ، على ان عيسى ما جاء ناقضاً بل مكملًا وما جاء محطماً
 للوحي الوصايا ولا مبتدعاً فضيلة لنفسه على ما يقصد نيتشه بل رفع منار فضيلة يهتدي بها الناس
 اجمعون

ولكن مَنْ اكْتَشَفَ الإنسانَ لم يفتِه اكتشاف مستقبل الإنسانية فكونوا
لي ايها الأخوة البحّارة الشجعان المجالدين وهيّا بنا الى الأمام نشق عباب
البحر مقتحمين أمواجه الصاخبة ، تعلموا السير على الوجهة المستقيمة فان
كثيرين يحتاجون الى الاقتداء بكم
البحر هائج وفي البحر كل شيء ، فالى الامام ايها العزائم ، عزائم البحّارة
القدماء

ما يهمننا ما يدور بنا ، اننا ننشر الشراع قاصدين وطن ابنائنا ما وراء الغمر
حيث ترغي وتزبد اشواقنا الهاائجات

— ٢٩ —

قال الفحيم يوماً للماس : من اين لك هذه الصلابة ؟ افما نحن نسيبان
وانا اقول لكم — افما انتم اخوتي ، فمن اين جاءكم هذا الخوَر ؟
لِمَ هذه الليونة لِمَ هذا الميعان ؟ اين توكيد الذات في قلبكم واين غارت
سطور مقدراتكم فلا تلوح في احداقكم ؟
اذا انتم اطرحتم العزم الحاسم فكيف تتوقعون الظفر يوماً الى جانبي ؟
وكيف يتسنى لكم ان تشاركوني بالابداع اذا لم يكن لعزهم لمعان الجراز
ومضاؤه ؟

هل يكون المبدع الاً صلباً شديداً ؟ وهل من غبطة لكم اعظم من ان
تطبعوا يدكم على صفحات القرون فترسم عليها كارتسامها على قطعة من
الشمع ؟

انها لأعظم غبطة ان يكتب الانسان على ارادة الوفا الاجيال والاجيال أقوى
من الصلب وأسمى شرفاً . لأن أصلب الاشياء اشرفها
انني اعلق فوق رؤوسكم لوح هذه الوصية :
اتصفوا بالصلابة وتشددوا

— ٣٠ —

أي إرادتي لقد آن لنا ان نضع حداً لكل الصغائر ، وما لي من مطلب
سواك لانك وحدك سؤلي ومقصدي ، انقذيني من كل انتصار حقير
وانت ايها الصُدفة التي ادعوها مقدراتي ، انت القائمة في ذاتي فوق ذاتي
احفظيني وأعدّي للعظام نفسي

— ١٨٣ —

احتفظي ايتها الارادة للخاتمة باخر عظمة فيك ، كيلا يهي عزمك عند
نوالك الظفر . لأن ليس من احد لا يسقط عندما يبلغ الانتصار
وأسفاه ! أية عين لم يغشاها الظلام في سكرة الظفر ، سكرة الغسق .
وأسفاه ! أية قدم لم تتعثر ولم تتحول عن مسلكها ساعة الانتصار
انني أعد نفسي لا كون ناضجاً للظهيرة العظمى ، فلقاها صلباً لأنته النار
للانطباع وغمامة تتمخض بالبروق وضرعاً يتفجر بدّره
اريد ان اهياً ذاتي وصميم ارادتي فاصبح كالقوس ألنوى شوقاً لاحتضان
سهمه وكالسهم يطير شوقاً نحو كوكبه
اريد ان اكون الكوكب المتألق بانواره في الظهيرة العظمى ، وقد هزته
الغبطة والسهم السماوي يخترقه ليفنيه
اريد ان اتحول شمساً وإرادة شمس لا تتزعزع . فكون مهياً للاندثار في
أفق الانتصار
هذا ما اطمح اليه فلنضم حداً يا إرادتي لكل الصغائر ، انت مقصدي ،
فاحفظيني للظفر الأعظم

النقاهة

-- ١ --

وما كانت مضت ايام طويلة على عودة زارا واستقراره في غاره ، حتى هبَّ
يوماً من رقاده كالفاقد الرشد واخذ يصيح ويعرّب مشيراً الى مرقده كأنّ عليه
شخصاً غريباً يحاول طرده ، وساد القلق حيواني زارا فدارا حوله وحكم الرعب
جميع الحيوانات الاخرى فاذا هي تدب وتزحف وتتطاير هاربة الى بعيد
وبقي زارا في موقفه قائلاً :

هيا ! انهضي ايتها الفكرة الرائعة المنبثقة من اعماق ذاتي لقد كنت لك فجراً
واعلنت انجلاءك كالديك الصائح ، وانت لا تزالين منطرحة كالتنين ، افتحي اذنيك
واسمعي ، لانني اريد ان تطلقي صوتك انت ، انهضي فان هنا من الصواعق ما
يعلم حتى القبور ان تصبح سمعاً

افركي اجفانك واسمعي بعينيك ما اقول لك فان صوتي يهب النظر حتى لمن
ولدوا عمياناً، فاذا ما انتبهت مرة فلن يعاودك الرقاد لاني ما تعودت إيقاظ الجذود
الأقدمين لأسمح لهم بالرجوع الى نومهم العميق
اراك تتحركين وتتثائبين ، فانهمضي وتكلمي ، ان زارا يدعوك إن من يهيب
بك للنهوض انما هو الكافر زارا
انا هو زارا مؤكّد الحياة ، مؤكّد الالم ، مؤكّد الدائرة الأبدية ، أدعوك
يا اعمق فكرة بين افكاري
يا لا ابتهاجي ! انني أراك قادمة فهأ نذا اسمع صوت هاويتي لقد نهضت نحو
النور آخر اغواري
يا لسروري ! تقدي اليّ . . . هاتي يدك
لا . . . لا . . . ارجعيها . . . يا لكراهة . . . ويا لشقائي

— ٢ —

وما نطق زارا بهذه الكلمات حتى سقط على الارض كالميت وطالت غيبوبته
حتى اذا تاب اليه روعه حكمه ارتعاش شديد وشحب وجهه وانطرح سبعة ايام
على فراشه لا يتناول طعاماً ولا شرباً وكان تابعاً من الحيوانات لا يبارحانه ،
ولكنّ نسرهم كان يذهب في طلب الغذاء ويعود حتى كدّس انواع البقول
والفاكهة حول المرقد وطرح امامه نعجتين اختطفهما بكل عناء من القطعان
السارحة وقد نام عنها رعاتها
وبعد سبعة ايام جلس زارا على مرقده واخذ تقاحة ينشق نكهتها نخيل
لحيوانيه ان الزمن قد حان فقال له :
لقد مرت سبعة ايام يا زارا وانت مثقل الأجفان انما آن لك ان تنهض .
اخرج من غارك فان كل شيء يتشوق اليك فاهلوا يهب بالعطور نحوك والغدران
تتسارع الى لقيائك . وكل شيء يتوق الى معالجتك وشفائك
هل أذاك يقينٌ جديد. فارهقك بثقله وفعلت خيريته فعلها فيك ؟ فقد رأيناك
ساكناً كالعجين المنتفخ باختماره وشعرنا بروحك تتدفق من جنبك
فأجاب زارا : اذهبا في ثرثرتكما ، يا حيواني ودعاني أشدّ عزمي بالاصغاء
الى هذه الروح . إن الثثرة لتبسط العالم كله امامي كحديقة مترامية الاطراف

ان العذوبة كلها كامنة في الكلمات والاصوات فما هي الا جسور من الوهم
ممدودة بين الكائنات المنفصلة الى الابد

لكل نفس عالمها فهي تجد في كل نفس اخرى عالماً آخر . وكلما ازداد التشابه
بين الاشياء ازداد خداع السراب بينها . وأصعب المآزق اجتيازاً اضيقها
انني لا ادرك كيف يمكن ان يوجد شيء ليس فيّ انا ، لأن نفي الذات ممتنع ،
غير ان جميع الاصوات تنسينا هذه الحقيقة وخير لنا ان نتمكن من نسيانها

ما أعطيت الاسماء والاصوات الا لتشديد عزم الانسان ، وهل اللغة إلا
جنون له لذته ؟ أفما ترى الانسان يُرَقص بياناً على كل شيء

ما ألد الكلمات وما احلى خداع الاصوات فانها ترقص حينا على جميع ما في
قوس قزح من الالوان

فاجاب الحيوانان قائلين : « إن من له عقليتنا يرى الاشياء متراقصة لنفسها
لأن كل الاشياء تتقدم الى مسرح الوجود فتتصافح وتضحك وتنسحب ثم تعود
الكل يذهب والكل يرجع وعجلة الكون تدور الى الابد . كل شيء يموت
وكل شيء يعود فتنبور ازهاره ودوائر الوجود لا انتهاء لها

تتحطم الاشياء فتتبدد ثم تعود فتلتئم لتجديد بناء الوجود . يتفرق الشمل
على وداع فاذا بعده تسليمٌ خلقه الكون أمينة لذاتها الى الابد

ان الوجود يبدأ في كل لحظة فعلى محور « هنا » تنفتح دوائر الأجواء
« هنالك » فالمحور مركّز في كل مكان وطريق الابدية كله تعاريج
وعاد زارا الى ابتسامه قائلاً :

« يا لطيشكما ! انكما تعلمان جيداً ما وجب ان يتم في سبعة ايام . ويا للمسوخ
الذي زحف الى داخل عنقي ليكنتم انفاسي ، غير انني قضمت عنقه بأسناني فقطعت
رأسه ولفظته الى بعيد ، فأتيما تعيدانه الى نصابه

انا الآن متعب مما قضمت ولفظت ، ولا ازال مريضاً من اجهاضي
لقد شهدت ما عكل هذا ، فهل اردتما التلذذ بأشد اوجاعي أسوة بالناس ؟
والانسان اقسى حيوان في الوجود . لأنه لا يجد ارتياحاً على الارض الا بمشاهدة
المآسي ومصارعة الثيران والصلب وما تمتع بلذة الجنان على ارضه الا يوم اخترع
الجحيم

إذا ما صرخ رجلٌ عظيمٌ سارع صغيرٌ إلى نَجْدته والحسد يكاد يدلي لسانه من
فيه ولكنّه يسمي هذا الحسد رحمةً واشفاقاً

انظر إلى صغار الناس وأخص منهم الشعراء باي بيان ملتهب يشكون الدهر
وتصاريفه ، وإذا ما اصغيت إلى هذا الأنين الشاكي فلا يفوتك أن تنصت لنبرات
اللذة في كل شكوى

ان الحياة تقول لمن يشكو وهي تتحكم فيه بغمزة من عينيها : انك عاشقي
فانتظري لحظة لا تفرغ لك

ما يقسو حيوانٌ على نفسه قساوة الإنسان ، فإذا ما سمعت أنين من يدعون
انهم مرتكبوا آثام وحملة صلبان وتائبون فتنصت إلى أنينهم وشكواهم
تسمع فيها شهقات الشهوة المتلذذة

وهل اقصد انا الآن بما اقول ان اشكو الانسان ؟ أي نسري وافعواني ان
الشر الاعظم ضروري للخير الاعظم بين الناس هذا ما تعلمته وما تعلمت سواء
حتى الآن

ان الشر الاعظم لخير ما في قوة الانسان لانه الحجر الأشد صلابة لنحت
المبدع ، وعلى الانسان ان يتكامل في خيره وفي شره

لم احمل على عاتقي صليباً لأذهب مفتشاً عما اذا كان الانسان شريراً ، بل وقفت
هاتفاً بما لم يهتف سواي بمثله فقلت :

« يا للأسف ! ان يكون اعظم شر في الانسان واعظم خير فيه لا يتجاوزان
هذه الصغارة »

ان هذا الاحتقار العظيم للناس هو الثعبان الذي تغلغل في حلقي فكاد يخنقني
كما كاد يخنقني ايضاً ما انبأ به العراف اذ قال : كل الاشياء متساوية ولا شيء
يستحق العناء ، فالمعرفة تخنق طلابها

وهكذا رأيت الغسق ينسحب متعارجاً امامي وسمعت صوتاً حزيناً متعباً
كأنه نبرات سكران يراوده الموت يقول لي :

« سيعود دوراً فدوراً الى الأبد الانسان الذي يرهقك : الانسان
الصغير »

ذلك كان حزني المتعارج غسقاً طال انسحابه فأورثني الأرق ورأيت ارض

البشر تستحيل امامي الى مغارة اتسع صدرها ضاماً اليه كل حيّ فلاح لي كل شيء
ركام اقدار واكوام عظام وردوم قرون
ذهب زفيري يجول بين المدافن مترامياً على لحود الناس ملتصقاً بها وقد حكم
عليه الا يغادرها فبات هنالك منتحباً يشكو ويردد ليلاً ونهاراً :
« وأسفاه إن الانسان سيعود ، سيعود الانسان الصغير دوراً فدوراً الى
الابد »

ولقد رأيت الناس من قبل ، رأيت كبيرهم وصغيرهم ، فما أشبه الأكبر بالأصغر
فيهم فكلمهم مستغرق في بشريته
ما اصغر الأكبر بين الناس ! ويا للشقاء في أن يعود الصغار ابداً . إن هذا
ما يرهقني من الوجود
واندفع زارا يردد قوله : يا للكرهه . . . يا للكرهه وهو يتنهد ويرتعش
متذكراً داءه واوجاعه
وقاطعه لسره وافعوانه قائلين :

— توقف عن الكلام ، ايها الناقه ، اخرج من هنا واذهب الى حيث تنتظرك
الدنيا في حدائقها ، الى الورود والنحل والحمام ، وقف عند أسراب الاطيوار
المتزعة لتتعلم أناشيدها . وما اجدر الناقهين بالانشاد فان المتمتعين بالعافية
يتكلمون واذا هم تغنّوا فبغير ما يتغنى به الناقهون
فقال زارا — اسكتا ايها الاحمقان اراكما عرفتما السلوى التي اوجدتها لنفسي
في سبعة ايام . ولسوف أعود الى الانشاد الذي اوجدته للسلوى فيكون لي منه
الشفاء ، افتريدان ان اعدل عن هذا ايضاً

فصاح الحيوانان : انقطع عن الكلام أنسيت انك ناقه ؟ أعدّ قيثارة جديدة
لنفسك ، فما تجاري القيثارة القديمة انشاداً جديداً
أطلق اغنيتك ، يا زارا ، ولتذهب داوية كالعواصف ، أشف نفسك بها
لتنهض بما قدرك وما قدرك لاحد قبلك

ان حيوانيك يعرفان من انت ، يا زارا ، وما ستكون ، فما انت الا النبي
المعلن تكرار عودة الاشياء الى الابد . وهذا ما قدرك عليك القيام به منذ الآن :
ان تكون اول من ينشر هذا التعليم وكفاك بهذا العمل علةً واخطاراً
ما غرب عنا تعليمك يا زارا فانت تقول بان جميع الاشياء تعود ابداً

ونحن معها عائدون وبأنتا وجدنا من قبل مراراً لا عداد لها ومعنا جميع
الاشياء ايضاً

انت تقول بالسنة العظمى المتكررة وهي كالساعة الرملية تنقلب كلما فرغ
اعلاها ليعود ادناها الى الانصباب مجدداً ، وهكذا تتشابه السنوات كلها باجمالها
وتفصيلها كما نعود نحن مشابهين لأنفسنا اجمالاً وتفصيلاً في هذه السنة العظمى
اذا ما شئت ان تموت الآن يا زارا ، فاننا نعلم ما ستناجي به نفسك ، ولكن
نسرك وافعوانك يرجوانك الا تضع حداً لحياتك الآن

اذا انت عزمت على الرحيل ، فانك لتدفع بزفرة الارتياح لا بأنين الالم اذ
تطرح عن عاتقك وانت الصلب الجلود وقرك الثقيل وكربتك المضنية ، قائلاً :
ها أنذا اموت واتوارى وعمما قليل اصبح عدماً فان الارواح تفنى كما تفنى
الجسوم ، غير ان شبكة العلل الدائرة بي ستعود يوماً فتخلقني مجدداً فما انا الا
جزءاً عن علل العودة الابدية لكل شيء

ساعود بعودة هذه الشمس وهذه الارض ومعني هذا النسر وهذا الافعوان
سأعود لا لحياة جديدة ولا لحياة أفضل ولا لحياة مشابهة بل اني ساعود ابداً
الى هذه الحياة بعينها اجمالاً وتفصيلاً فأقول ايضاً بعودة جميع الاشياء تكراراً
وأبداً ، وابشر ايضاً بظهيرة الارض والناس وبقدوم الانسان المتفوق
هذه هي كلمتي نطقت بها وقد حطمتني هذه الكلمة ، ذلك ما قدر عليّ ابداً ،
فانا اتوارى منذراً وبشيراً

لقد حانت الساعة الآن ، الساعة التي يبارك فيها نفسه من يتوارى . وهكذا
ينتهي جنوح زارا الى المغيب »

قال النسر والافعوان هذا وتوقعا ان يجيبهما زارا بشيء ولكن زارا لم يعلم
ان حيواناه سكتا عن الكلام لانه كان قد استغرق في مناجاة نفسه فظهر كأنه
نائم وما كان نائماً

ووجم النسر والافعوان امام سكون زارا وذهبا على مهل من قربه

الامنية العظمى

اي نفسي ! لقد علمت ان تقولي كلمة « اليوم » كما تتلفظين بكلمتي « امس
وما قبله » وان ترقصي فوق كل مندثر اينما كان

أي نفسي ! لقد حررتك من كل قيد خفي وطهرتك من الأدران واقصيت
عنك العناكب وكل نور يخالطه ظلام

أي نفسي ! لقد نفضت عنك صغائر حياثك وكمينات فضائك واقنعتك
بالخروج عارية امام عين الشمس

لقد نفخت عاصفة الفكر على بحرك المضطرب وجلوت الغيوم السوداء من
آفاقك وقضيت فيك على الأثم القاتل

أي نفسي ! لقد اوليتك الحق بأن تقولي « لا » كما تقول العاصفة وان تقولي
« نعم » كما تقول صافيات الآفاق ، فاصبحت هادئة كالنور يجتاز العواصف
النافيات المانعات

أي نفسي ! لقد اطلقت لك الحرية تتسلطن بها على ما هو كائن وعلى ما لم
يتكوّن بعد ، فما شعرت نفسٌ بمثل ما تشعرين من ملذات آتي الزمان
أي نفسي ! لقد علمتك ان تحتقري احتقاراً لا ينخر كالسوس علمتك
الاحتقار الذهاب الى أقصى المحبة او الى اقصى التحقير

أي نفسي ! لقد علمتك الإقناع حتى خضعت الاسبابُ والمقدمات لما ترتأين
فاصبحت كالشمس تُقنع البحار بأن تتعالى الى مدارها

أي نفسي ! لقد نزع منك كل خضوع وخنوع ومتابعة واستعباد حتى
رأيتك سائدة لكل شقاء ومتحكمة في الدهر لانك انت هي المقدور

أي نفسي ! لقد منحتك اسماء جديدة ومتعنتك بالعباب متنوعة فدعوتك
المقدور ومحيط المحيط وقطب الزمان ومأذنة الآفاق

أي نفسي ، لقد أغدقت الحكمة كلها على مملكتك الأرضية وأترعت
كووسها بخمرة المعرفة المعتقة منذ اقدم العصور

أي نفسي ! لقد غمرتك بجميع الأنوار والظلمات وكل ما في الكون من
سكنات وشهوات ، فرأيتك تنمين ايامي كما تنمو الجفنة في الكروم

أي نفسي ! ما انت الآن الا دالية في الكرمة اثقلت جنيك ونهدت
ايداؤك عناقيد يلوح سمرتها النضار ، لقد ارهقتك السعادة الكامنة فيك فانت

صابرة خجولة من صبرك

أي نفسي ! ليس في الكون من نفس اشد منك حباً ورحابة وحناناً فاين
يتقارب الماضي والمستقبل ان لم يتقاربا في مجالك

أي نفسي ! لقد وهبتك كل ما ملكت يدي والآن أراك تبسمين قائلة : على
أي من كلينا حقة كلمة الشكران ؟

أفليس على الواهب ان يشكر من تفضل بقبول هبته ؟ وهل العطا : الا
حاجة في نفس من اعطوا والاخذ الا إشفاق في نفس الآخذين ؟

أي نفسي ! انني ادرك مغزى ابتسامتك ومعنى شجونك فانت الآن تمددين
راحات اقبالك مترعة بشهوة العطاء ، وتمدين ابصارك على البحار المزبدة وقد
ابتسم في عينيك صفاء السماء

من له ان يرد دموعه عن الفيضان ، اذا لاحت له ابتسامتك يا نفسي ؟ ان
هذه البسمة من العطف والحنان ليستهي الملائكة للبكاء

إن عطفك وقد تجاوز حدّه يمتنع عن النواح والعيول في حين ان ابتسامتك
تتشوق الى البكا وتحرك يتهدج بالنجيب

انك تتناجين قائلة : ان كل دمة فيها انين وفي كل أنين شكاية — ولذلك
تفضلين الابتسام على الجهر بما تتحملين من خيراتك ، ومن شوق يهز جوارحك
بارتعاش الكرامة تتوق الى مقاطع القاطنين

فاذا ما كنت تمتنعين عن البكاء ، يا نفسي ، مغضية باجفانك الحمراء ، فعليك
ان ترفعي صوتك بالانشاد

انظري الي في ابتسامي وانا منبئك بانك ستطالقين اناشيدك بصوت مرعد
يجعل البحار تنصت لنبرات شهوتك ، الى ان تسبح عليه العائمة المذهبة والمحلاة
بكل ما هو حسن في روغانه وغرابته ، حيث ينتصب السيد الجمّل بالعزم وفي
يده المقطع الماسي لعناقيد الكروم ، ذلك هو مخاصك ومحرك يا نفسي ،
ذلك هو الكريم الذي اضمر اسمه في اناشيد المستقبل ، والحيث ان في انفاسك
شيئاً من اريج هذه الاناشيد . فانت الآن مستسلمة للاحلام تنقعين غليلك من
الآبار حيث يدوي السكون وتلقين باشجانك الى اناشيد آتي الزمان لتجدي فيها
الراحة من الغناء

أي نفسي : لقد وهبتك كل شيء حتى فرغت يداي وآخر ما وهبتك
إهابتي بك للانشاد ، فقولي لي الآن من منا وجبت عليه كلمة الشكر
تغني يا نفسي (اطلقي اناشيدك من اجلي ودعيني أوجه اليك آيات شكراني
هكذا تكلم زارا ...

نشيد آخر للرقص

— ١ —

أرسلت نظراتي الى أعماق عينيك الساهدين ، ايتها الحياة ، فوقف نبضان قلبي اذ رأيت الذهب متوهجاً فيها ورأيت مركباً ذهبياً يشعُّ على بحر الظلام يشدُّ بمهدٍ مذهبٍ مشرف على الغرق
ورشقتِ قدمي المصابتين بجنون الرقص بنظرة مسكرة مذيبة ضاحكة مستفهمة ، وما قرعت يداك الصغيرتان ضربتين على دفكك حتى تحفزت قدماي للوثوب وتنصت عقيب كل منهما لاوزانك ، وأذن كل راقص مفتوحة في عقب قدمه

وثبتُ اليك ، ايتها الحياة ، ولكنك تراجعت عني وتوليت فاذا بغدائر شعرك المتطاير تسمعي فخيخ الافاعي وتريني من السنتها نصالاً قفزت متراجعاً عنك وعن إفاعيك ، فاذا بك متعالية تتحولين مقبلة عليّ وقد تدفقت بالشهوات عيناك ، مشيرتين اليّ بنظراتهما المنحرفة ان اتبع السبل الملتوية ، وهكذا تعلمت قدماي المراوغة على منعرجات الطريق اني أخشاك قريبةً واحبك بعيدةً ، ايتها الحياة ، فيجذبني إعراضك عني ويوقفني اقبالك نحوي ، فانا معذب بك وأني عذاب لا أحمّله من أجلك ، انت المحرقة ببردك ، الساحرة بكيدك ، الجاذبة بإدبارك المحيِّرة بسخريتك أيُّ إنسان لا يكرهك ، ايتها الأسيرة الغامرة الساحرة التي لا يفوتها مقصدهُ تتجه اليه ، ومن لا يحبك وانت البريئة الرعناء المسارعة الى المعصية والاثموفي عينيك لفتات الأطفال ؟

الى أين تقوديني الآن ايتها الطفلة المهذبة الشاردة ؟ اراك تفرّين من امامي حلوة طائشة أيتها الجاحدة الفتية . وها أنذا اتبعك راقصاً حتى الى المآذق التي لا أعرف لها منفذاً

اين انت ؟ مدي اليّ يدك او اصبعاً من كفك . فليس امامي الا مغاور ومضائق ، قفي . . . افلا ترين البوم والوطاويط تتطاير حولنا مهلاً يا طير الظلام ، أفأنت ساخرٌ بي ؟ اين نحن الآن ؟ لقد تعلمت من

الكلاب نباحهم فاراك تكشر عن أسنانك الصغيرة وتحدجني بنظراتك المتقدة
من وراء لبدتك الصغيرة الجعداء
أية رقصة تريد أن أرقص ، أجبليّة أم بحرية ؟ أنا هو الصياد ، افما يحلوك
ان تكون كلي أم تفضل ان تكون طريدي ؟
أنتِ هذا الطير ايتها الحياة فتعالى الى جنبي الآن ايتها القفّازة الشريرة :
ارتفعي وسيري الى الجهة الاخرى
ويلي لقد قفزت فوقعت ، فانظري اليّ طريحاً يتوسّل اليك افما كان خيراً
لي ان اتبعك على مسالك اجمل من هذه ؟ على مسالك الحب بين الشجيرات الزاهية
بعديد الوانها أو على شاطئ البحيرة حيث تتراقص الأسماك المذهبة
لقد اضناك التعب الآن وهنالك خرفانٌ ترعى عند الغروب أفلا يلذّ لك ان
نرقد حيث تصدو شبّابة الراعي
انني سأحملك الى هناك فمدي معصميك اليّ . لعلاك عطشى ولقد اجد ما
اروي به ظمأك ولكن شفتيك تتحولان عن كل شراب
لقد انقلبت أفعى ، هذه الساحرة الرشيقة الوثّابة الزاحفة فلا ادري في أي
الأوكار تغلغلت ، بعد ان صفعت وجهي وأبقت عليه طابع يدها الحمراء
لقد تعبت من رعايتك والسير ورائك ، ايتها الساحرة لقد اسمعتك اغاني
حتى الآن فلسوف تسمعيني صراخك ، هيّا : ارقصي على نقرات سوطي ألهبك
به ، فاني ما نسيت سوطي

— ٢ —

وسدت الحياة أذنيها واجابتنى قائلة :
« لا تقعقم بسوطك ، يا زارا ، فانت تعلم ان الضجة تشل التفكير وقد
بدأت تتوارد عليّ الخواطر ، فما انت وانا الا من زمرة المتكاسلين ، لقد وجدنا
جزيرتنا ومروجنا الخضراء ما وراء الخير والشر ، وما اكتشفها معنا احد ،
لذلك وجب علينا ان يحب احداً الآخر . وهب ان حبنا لا يخرج من صميم
القلب أفحقق لنا ان نتبادل من اجل هذا عاطفة النفور
أنت تعلم انني كثيراً ما احبك واتجاوز الحد في حبك وما ذلك الا لغيرتي
من حكمتك فياويلاه من هذه الحكمة المجنونة الهرمة ، ولكن اذا ما هجرتك
هذه الحكمة يوماً فلا يطول الزمن حتى تهجرك محبتي ايضاً »

وادارت الحياة انظارها ما وراءها وما حولها وقالت : لست بالأمين الوفي
يا زارا فمحبتك أبعد من ان تصل الى الحد الذي تصف باقوالك . وانا اعلم أنك
تفكر في هجري عما قليل

ان على المرتفع جرساً ضخماً قديماً يدق ساعات الظلام فيصل رنينه الى اعماق
غارك ، وعندما يؤذن بانتصاف الليل يخطر لك ان تغادرني في مدى الساعة الاولى
من الهزيع الثاني ، انني اعلم ذلك يا زارا فانت مصممٌ على هجراني
فاجبت متردداً « أجل » ولكنك تعرفين امراً آخر ، وتقدمت أسراً في
أذنها كلمة اخرى بين غدائر شعرها الذهبية المتطايرة ، فقالت :
« اذاً ، انت تعرف هذا ، يا زارا ! وليس من يعرفه سواك »

وتراشقنا الالحظات وعدنا نسرّحها على المروج الخضراء وقد دغدغها نسيم
المساء البليل واستخرطنا كلانا بالبكاء . وعندئذ شعرت ان الحياة اعزُّ عليّ من
حكمتي
هكذا تكلم زارا . . .

— ٣ —

- ١ — كن على حذر ايها الانسان
- ٢ — ماذا يقول نصف الليل في غوره ؟
- ٣ — « لقد نمتُ ، لقد نمتُ »
- ٤ — « ثم افقتُ من حلم عميق »
- ٥ — « إنَّ العالم عميقٌ »
- ٦ — « فهو أعمق مما يعتقد النهار »
- ٧ — « والآمه عميقة »
- ٨ — « واعمق من أحزانه أفراحه »
- ٩ — « تقول الآلامُ للعالم اعب و انقض »
- ١٠ — « ولكنَّ الافراح تطلب الأبدية »
- ١١ — « تطلب الأبدية العميقة »
- ١٢ — « ! ! ! »

الاختام السبعة

او

نشيدُ البداية والنهاية ، الالف والياء

— ١ —

انا العرّاف الممتليء بالروح الكاشفة الذاهبُ صُعداً على السلسلة المتعالية
بين بحرين ، السائر بين ما مضى وما سيأتي كغمامة كثيفة متملصة من جميع
الاعماق الخائقة والمعادية لكل متعبٍ ليس له ان يحيا وليس له ان يموت
انا تلك الغمامة المُعدّة صدرها المظلم للمعات الانوار المنقذة ، المتمخضة
بالبروق المُثبِتة الضاحكة مما تثبت ، انا الغمامة الحاملة للصواعق الكاشفة ، ويا
لسعد من تمخّض بمثل هذه الصواعق ! ولكنه ملزم بان يلتصق طويلاً
بالذروة كما تلتصق الغمامة المثقلة إذ عليه أن يشعل يوماً انوار مستقبل الزمان
كيف لا أحنُّ الى الابدية وكيف لا اضطرم شوقاً الى خاتم الزواج الى دائرة
الدوائر حيث يصبح الانتهاء عودة الى الابتداء
انني لم اجد حتى اليوم امرأة اريدها أمّاً لابنائي الا المرأة التي احبها ، لانني
احبك أيتها الابدية !
انني احبك أيتها الابدية

— ٢ —

اذا كنتُ تهجّمتُ بغضبي على القبور فانتهكت حرمتها ونبتت قصياً معالم
الحدود وألقيت بألواح الشرائع فخطمتها على مهاوي الاغوار
واذا كنتُ بسخريتي نثرت الكلمات المتداعية وهببت كالريح أكسح نسيج
العناكب وأطهر مغاور الموت المتعفنة القديمة
واذا كنتُ جلستُ مَرِحاً مسروراً حيث دُفنت الهة الأزمان المنصرمة
لا بارك العالم واغمره بالحب قرب أنصاب من افتروا عليه ، فما ذلك إلا لانني أتوق
الى رؤية المعابد ومدافن الآلهة عندما تخرق عينُ السماء الصافية قبابها المحطمة ،
فأجلس على الركام المتهدمة كالعشب الاخضر والشقائق الحمراء

فكيف لا أحنُّ الى الأبدية ولا اضطرم شوقاً الى خاتم الزواج ، الى دائرة
الدوائر حيث يصبح الانتهاء عودةً الى الابتداء
انني لم أجد حتى اليوم امرأة أريدها أمّاً لأبنائي إلاَّ المرأة التي أحبها ، لانني
أحبك أيتها الأبدية
إنني أحبك أيتها الأبدية

— ٣ —

اذا كانت هبت عليَّ نسمةٌ من نسَمات الإبداع الإلهية التي تكره حتى
الصدف العمياء على الدوران راقصة كترقص الكواكب في الافلاك
اذا كنت ضحكت بقهقهة البرق المبدع يصحبه إرماد العمل
واذا كنت تراشقت الزهر مع الآلهة على نرد الأرض حتى ارتجفت الأرض
وتشقت قاذفة لهاث النار في الاجواء، فما ذلك إلاَّ لأن الأرض نردُ الهي يرتعش
لوقم الكلمات المبدعة الجديدة ولتساقط الازهار الإلهية
فكيف لا أحنُّ الى الأبدية ولا اضطرم شوقاً الى خاتم الزواج ، الى دائرة
الدوائر حيث يصبح الانتهاء عودةً الى الابتداء
انني لم أجد حتى اليوم امرأة أريدها أمّاً لأبنائي إلاَّ المرأة التي أحبها، لانني
أحبك أيتها الأبدية
إنني أحبك أيتها الأبدية

— ٤ —

اذا كنت كرت ما في هذه الكأس من دواء تمازجت جميع العقاقير فيه ،
واذا كنت مددت يديَّ فضممت الأبعد الى الأدنى وجمعت بين النار والتفكير
وبين المسرات والاحزان مازجاً أقبح الاشياء باحسنها
واذا كنت انا ذرَّة مفتدية في بحر الرمال أعمل على مزج الاشياء في كأس
العقاقير ، فما ذلك إلاَّ لأن في الوجود ملجأ يلتجئ به الخير مع الشر وما الشر إلاَّ
احد التوابل التي تزيد الكأس فترغي طفاحاً
فكيف لا أحنُّ الى الأبدية ، ولا أضطرم شوقاً الى خاتم الزواج الى دائرة
الدوائر حيث يصبح الانتهاء عودةً الى الابتداء

— ١٩٦ —

إنني لم أجد حتى اليوم امرأة أريدها أمّا لا بنائي إلا المرأة التي أحبها، لأنني
أحبك أيتها الأبدية
إنني أحبك أيتها الأبدية

— ٥ —

إذا كنت أحببت البحر وكل ما يشبه البحر وما اشتد هيامي به إلا عند
مقاومته لي بزوابعه ، وإذا كنت أحمل في نفسي غبطة المستكشف ، الغبطة التي
تدفع بالشرع إلى المجهل وتملأ رواد البحار حبوراً ، وإذا كنت قد صرخت
في حبوري : لقد توارت أواخر الشواطئ عن عياني ، فتحطمت بتواريها آخر
حلقة من قيودي ، فما أنذا الآن في وسط المدى الفسيح الصاحب بعيداً عن
توالي الأمكنة والأزمان ، فهيّا بنا ، يا قلبي الهرم إلى الامام !
أواه ! كيف لا أتوق إلى الأبدية واضطرم شوقاً إلى خاتم الزواج ، إلى دائرة
الدوائر حيث يصبح الانتهاء عودة إلى الابتداء
إنني لم أجد حتى اليوم امرأة أريدها أمّا لا بنائي إلا المرأة التي أحبها، لأنني
أحبك أيتها الأبدية
إنني أحبك أيتها الأبدية

— ٦ —

إذا ما كانت فضيلتي فضيلة الراقصين ، وإذا كنت كثيراً ما رقصت مأخوذاً
باشعاع الزمرد والنضار وإذا كان شرّي شراً ضاحكاً يأنس إلى حقول الزنابق
واغصان الورود ، فذلك لأن كل ما هو شرير يتحد بالضحك ولكنه يتحد مبرراً
ومحرراً بغبطته نفسها
إن الالف والياء عندي هما أن تتحول كل كثافة إلى لطافة فيصبح كل
ثقل خفيفاً وكل جسم راقصاً وكل فكر طائراً . والحق إن في هذا كل بداية
وكل نهاية
فكيف لا أتوق إلى الأبدية واضطرم شوقاً إلى خاتم الزواج ، إلى دائرة الدوائر
حيث يصبح الانتهاء ابتداء
إنني لم أجد حتى اليوم امرأة أريدها أمّا لا بنائي إلا المرأة التي أحبها، لأنني
أحبك أيتها الأبدية
إنني أحبك أيتها الأبدية

واذا ما كنت بسطت فوق سماواتٍ يسودها السكون واطلقت جناحي في
مجالات سماواتي ، واذا ما كنت سبحت في أعماق مدى الانوار فملكت حكمة
الطيور في حريتي ، فما ذلك إلا لأن حكمة الطيور تقول : « ليس في الكون
فوق ولا تحت ، ألق بنفسك هنا أو هناك ، اذهب الى الامام أو تراجع الى
الوراء ما دمت خفيفاً ، أطلق صوتك بالتغريد ولا تتكلم بعد . أفليس التكلم
شيمة اهل الكثافة والثقل ، وهل يتصاعد كل قولٍ إلا نحو الخفيف اللطيف ،
غرّد ولا تتكلم بعد »

أواه ! كيف لا أحنُّ الى الابدية واضطرم شوقاً الى خاتم الزواج ، الى دائرة
الدوائر حيث يصبح الانتهاء ابتداءً
إنني لم أجد حتى اليوم امرأة أريدها أمّاً لابنائي إلا المرأة التي أحبها ،
لأنني أحبك أيتها الابدية
إنني أحبك أيتها الابدية . . .



هكذا تكلم زرادشت

الجزء الرابع

« أين تجلّى الجنون في الارض بأشدّ
« مما تجلّى بين المشفقين ، بل أي ضرر
« لحق بالناس أشد من الضرر الناشئ
« عن جنون الرُحماء ، ويل لكل يحب
« ليس في محبته ربة لا يبلغها إشفاقهم
« قال لي الشيطان يوماً : إن
« للربّ جحماً هو جحيم محبته للناس
« وقد سمعت هذا الشيطان يقول أخيراً
« لقد مات الآله وما أماته غير رحمته

زرادشت

الرُحماء — الجزء الثاني صفحة ٧٦

تقدمة العسل

وكرّت الأشهر وتوالت السنون على زارا وهو لا يشعر بها ، مع أنّها جلّت
بالبياض ناصيته وفوديه

وجلس زارا يوماً على حجر أمام غاره وأرسل نظراته الى بعيد ترود تعاريج
الأودية وقد ظهر شيء من افق البحر عند منتهىها السحيق ، وبينما هو مستغرق
في تفكيره دار حوله نسر وأفعوانه ثم مثلاً أمامه قائلين له :
-- علام ترسل نظراتك ، يا زارا ، أترك تفتش على سعادتك ؟

فاجاب — مالي وللسعادة ، لقد انقضى الزمان الذي كنت أتوقع السعادة
فيه فما أتشوّق الآن إلا الى أعمالي

فقال الحيوانان — إنك تتكلم كمن تغفل الخير فيه أفما أنت عائم على بحيرة
من السعادة ينعكس على صفحتها أديم السماء ؟

فاجاب زارا وهو يبتسم — لقد أجدتما التشبيه ولكنكما تعلمان ايضاً ان
سعادتي ثقيلة ولا شبه بينها وبين الأمواج هجوماً وتراجعاً فهي تزحمني ولا تباعد
عني وتلتصق بي كأنها الراتنج المذوب

ودار الحيوانان مرة ثانية حول زارا وعادا يتفرّسان به قائلين له — لقد
عرفنا السبب اذاً في اصفرار لونك واكمداده وتحول لون شعرك الى لون
القنب ، أفلا ترى انك غارق في المادة الراتنجية اللزجة وفي شقائق ؟

وتضاحك زارا قائلاً — والحق انني جدّفت عندما ذكرت المادة الراتنجية
فما حدث لي الا ما يحدث لكل ثمرة يتداركها النضوج ان العسل هو ما ينخثر
دمي ويزيد نفسي استغراقاً في صمتها

وتقرّب النسر والأفعوان من سيدهما وقالا — ان الامر كما تقول ولكن
أفلا تريد اليوم ان تصعد الى الجبل العالي فالهواء نقيّ يشعرك بلذة الحياة

فقال — انكما تعربان عن مشتهي فانا اتوق اليوم الى تسلق المرتفع ولكن عليكما ان تتداركا لي عسلاً من القفير الذهبي ، عسلاً اصفر وابيض من أجوده وأبرده لأنني اريد ان ابذله مقدمة الى الذرى

ولما وصل زارا الى القمة واطلق للحيوانين سراحهما رأى نفسه منفرداً فابتسم وأدار لحاظه ما حوله قائلاً :

لقد تعللت بتقدمة العسل لأتمكن من الانفراد بنفسي فأتكلم حراً طليقاً على القمة بعيداً عن منازل النساء وحيواناتهم

عندما كنت أذكر التضحية كنت أبدد ما وهب لي بألف راحة منبسطة فكيف اجسر ان ادعو هذا العمل اليوم تضحية ؟

انني عندما طلبت العسل لم اطلب سوى طعمة للشرك فاردت أخذها من القفير المذهب الذي تتشوق الى التلذذ به الأطياف والديبة

طلبت خير طعمة يستعملها الصائدون على اليابسة وفي البحار . فان الدنيا عبارة عن غابة تغص بالحيوانات وحديقة يتنعم بها كل صائد وحشي ولعلها أشبه ببجر زاخر لا قعر له . فهي والحق بحر محتشد بالأسماك على انواعها وعديد الوانها مما يشير شهية الآلهة انفسهم حتى انهم ليصبحوا صيادين يرمون بشباكهم الى هذا العالم المليء بالعجائب والغرائب كبيرها وصغيرها : واخص من الدنيا عالم الناس برّهم وبحرهم فانا ارسل في مجالاته شبكتي المذهبة هاتفاً ، انفتحي ايها الأغوار البشرية

انفتحي واقتني اليّ باسمائك اللامعة فلسوف اتمكن اليوم بخير طعمة استهوي بها الأسماك البشرية من اصطياد خيارها . وما هذه الطعمة الا سعادتي نفسها انشرها الى الابعاد بين المشرق والجنوب والمغرب وانظر ما اذا كان العدد الغفير من الاسماك البشرية يتعلمون تذوق سعادتي والاشتباك بها ، حتى اذا تغلغلت في حناجرهم طعمتي يضطرون الى الارتفاع نحو مستواي وهكذا يرتقي أشد الأسماك تعلقاً بالأغوار الى قرب اشر صياد يصطاد بني الانسان . وما انا الا ذلك الصياد منذ نشأتي وفي أعماق روحي فانا الجاذب المستهوي المزحزح الرافع والمتقف المعلم . انا من قال من قبل — يجب عليك ان تصير من انت فليرتفع الناس اليّ الآن لأنني انتظر الاشارات التي تعلن لي ان زمن نزولي قد حان ، فاني لم انزل بين الناس بعد كما وجب عليّ ان انزل ، لذلك انتظر هنا على

قمة الجبل مراوغاً مستهزئاً دون ان أُعيل صبري ودون ان يعمل هو ، انتظر كمن
نسي الصبر لأنه لا شفقة فيه

لقد اوسعتْ مقدراتي مجالَ الزمان أُمّامي ، فهل هي تناستني فشُغِلتْ
باصطياد الذباب مستظلة وراء صخر كبير ؟ والحق اني ممتنٌ لما قدّر الأبد عليّ
لأنه لا يزحمني بل يترك لي متسعاً من الدهر لأتلاعب وأرتكب الشرور حتى انه
اجاز لي اليوم ان اتسلق هذا الجبل لاصطاد عليه الاسماك . وهل سمعتم بانسان
يصطاد الاسماك على الدُرى ؟ لقد يكون ما طلبته جنوناً على انه خيرٌ لي ان يحكمني
الجنون من ان يسودني الجمود فالتون بالاخضرار والاصفرار وانا ساكن على
الاتظار في الاعماق . فانا لا اريد ان اكون كهؤلاء المتحرقين في غيظهم لطول
انتظارهم كأنهم عاصفة مقدسة تصيح بالوديان : أصغي الي والآن فاني اجلدك
بسياط الله

ما يكيدني مثل هؤلاء الثائرين فاني اقف باعتباري لهم عند حد الاستهزاء
ولا يفوتني سبب غضبهم لأنني اعلم انهم ان لم يقرعوا طبولهم اليوم فلن يقرعوها
الى الابد

اما انا ومقدراتي فما توجه خطابنا لا الى اليوم ولا الى الابد وبوسعنا ان
نصبر على الصمت لان امامنا مدى طويلاً وسيأتي زمن لن يكون فيه للقادم ان
يعبر ويتواري . ومن هو هذا القادم ؟ إن هو الا الصدفة العظمى اي ملك
الانسان إذ يحكم فيه زارا الف عام

واذا كان هذا الملك لم يزل بعيداً فما يهمني هذا البعد وانا الواثق من انه
لا بدّ قادم . انني استند من هذه الثقة الى الاسس الابدية ، الى هذه الصخور
والجبال القديمة المنتصبة بين الرياح مترصدة ما كان وما سيكون
فاضحك ايها الشر الكامن فيّ وارسل قهقهتك الهازئة من اعالي هذه الجبال
والقي بشباكك لاصطياد خير الاسماك البشرية ، اذهب رائداً جميع البحار فان
كل ما فيها هو لي التقط الجميع وارفع به اليّ . ان هذا ما يتوقعه اوفر
المتصيدين شراً

اذهي في عرض البحار أيتها الطعمة وغوري في الاعماق لاصطياد سعادتني ،
واقطر احلى قطراتك المعسولة ايها القلب طعمة شهية تحلّ في احشاء المصائب
المروعة الدكناء

ان أنظاري تمتد الى اعمق الآفاق فيالبحار تتسع امامي وبالمستقبل الانسانية
يفلق الضحى وما فوقى ينبسط السكون على تورّد الآفاق ، فيالاصفاء لا تكدره
الغيوم

استنجاى

وفي صبيحة اليوم التالي ، جلس زارا على مقعده الحجري أمام غاره ، وسار
نصره وافعوانه يتجولان في الارض لتدارك اطعمة جديدة وعسلاً جديداً لان
زارا كان بدّد حتى آخر قطرة من العسل القديم
وبينما كان مستغرقاً في تفكيره وهو متكئ على عصاه يتفرّس في ظلّ جسده،
انتفض فجأة اذ لاح له ظلّ آخر يرسم قرب ظله . ووقف متلفتاً الى ما وراءه
فاذا بالعرّاف واقفاً على مقربة منه وهو من قاسمه الغذاء يوماً على مائدته فأهاب
الى الخمول قائلاً « ان كل الامور متشابهة ولا شيء يستحق العناية لان لا معنى
للوجود والحكمة خائفة قاتلة »

ولكن ملامح هذا العرّاف كانت تبدّلت منذ ذلك العهد وما امعن زارا
النظر فيه حتى استولى عليه زعرٌ مما رأى على سحنته من طلائع الشؤم
وأدرك العرّاف ما يمرّ في خاطر زارا فبسط كفه ماسحاً وجهه كأنه يريد
محو ما ارتسم عليه ومسح زارا وجهه ايضاً حتى اذا عاد الاطمئنان الى كليهما
تصالحا فقال زارا :

اهلاً بك يا بشير التراخي والجمود ولعلك استفدت شيئاً من نزولك ضيفاً
عليّ فيما مضى ، فاجلس اليوم ايضاً الى مائدتي واسمح ان اجالسك انا الشيخ
الممتليء غبطة وحبوراً

فهزّ العرّاف رأسه قائلاً — يخيل اليك انك شيخ يتدفّق غبطة وحبوراً
ولكنك على اي حال كنت وأياً كنت يا زارا ، لن يطول زمن حبورك على هذه
الدرى فلسوف تجتاح سفينتك العواصف عما قليل

فقال زارا — وهل انا بئامن من هبوبها

فقال العرّاف — انّ الأمواج تدور بجبلك من كل جانب فهي تعلو وترتفع
دون انقطاع وعما قليل ستبلغ هذه الأمواج ، أمواج الشقاء والآلام ، هذه
الدرى فتذهب بسفينتك وتذهب بك ايضاً

وصمت زارا متعجباً
فاستطرد العراف — افلا تسمع الآن شيئاً؟ افما يبلغ اذنك صخب الأغوار
وهديرها

وبقي زارا باهتاً يتنصت فاذا به يسمع صوتاً مديداً تتلقفه اصدااء المهاوي
كأن لا هادية منها تطيق الاحتفاظ بمثل هذا النداء الفجيع !
فصاح زارا بالعراف — أجل يا نذير الشؤم ، انني اسمع صوت استنجد
يصرخ به انسان . ولعله آت من بحر الظلمات ، ولكن مالي ولمدد الناس ! افما
تعلم ما هي آخر خطيئة قدرت علي ؟
فاجاب العراف — بلى إنها الرحمة

وتدفق قلبه سروراً فرفع ذراعيه هاتفاً — لقد جئت لاسقطك في هذه
الخطيئة

وماد الصوت يدوي اوسع امتداداً واشد ارتياحاً كأن مصدره يقترب
فقال العراف — اسمع يا زارا ، ان النداء موجه اليك ، تعال ، تعال . . .
فقد لا تصل إلا بعد فوات الاوان
وبقي محتفظاً بصمته ولكنه شعر باضطراب زعزع إرادته فسأل متردداً —
ومن ذا يناديني من بعيد ؟

فأجاب العراف — انك تعرفه فعلى مَ تتجاهل ؟ ذلك هو الانسان الراقى
يناديك مستنجداً

وارتعش زارا قائلاً — ماذا يريد مني ؟ ماذا يطلب الانسان الراقى
هنا ؟

وبدا جلده يتصبب عرقاً
اما العراف فلم يأبه لاضطراب زارا بل انحنى فوق الهاوية متنصتاً واذ طال
السكوت في الغور ادار ظهره فرأى زارا لم يزل منتصباً مكانه وهو يرتجف فقال
له بصوت حزين

— لا يلوح لي انك الرجل الراقص لسعادته ، فارقص اذا شئت الا تقع على
الارض ولو انك رقصت بكل حركاتك امامي الآن فاني لا اصدق انك آخر من
يتمتع بالسعادة بين الناس . واذا ما تسلق احد هذه الذرى آملاً ان يجد آخر
السعداء فانه ليفتش عبثاً عليه اذ لا يجد سوى المغاور يختبئ فيها من يجب

الاستتار ان مكامن السعادة ليست في هذه الارحاء . وهل من سعادة ترتجي بين
من دفنوا انفسهم وتنسكوا ؟ فهل وجب علي ان افتش على السعادة في الجزر
السعيدة بعيداً وراء البحار ؟

ولكن مالي ولهذا مادام لا شيء في الوجود يستحق العناء والاهتمام وعبثا
نفتش فان الجزر السعيدة قد توارت من الوجود

وبعد ان أنهى العراف خطابه ودفع آخر زفرة من صدره عادت الغبطة
الى زارا فاذا به ينتفض كمن يخرج من الظلمة ليستقبل النور ويقول وهو يلعب
بلحيته

لا وألف لا . . . انني أعلم منك ، فالجزر السعيدة لا تزال مكانها فاصمت ايها
النداب ما انت إلا غمامة تمطر على بسملة الصباح وقد بللتني دموعك ولكنني
انفضها عني وافزع منك الى بعيد ، أفما تراني اعاملك بالحسنى ؟ لا تعجب لهذا
لأنك نازل في مملكتي

ها أنذا ذاهب الى مصدر صوت الاستنجداد في هذا الغاب لا فتش على الانسان
الراقي فلعله معرض للخطر بين الوحوش الضارية ، وانا احاذر ان يلحق به ضرر
في مملكتي وما اكثر الضواري فيها

وما تحفز زارا للسير حتي قهقهه العراف ضاحكاً وقال :

— أي زارا ، ما انت إلا مراوغ محتال ، انك تقصد التخلص مني فتفضل
مطاردة الوحوش ، ولكن هربك لن يجديك شيئاً فلسوف تجدني محتلاً غارك
عند رجوعك ، ستراني متربعا فيه كحزمة حطب ثقيلة

فقال زارا وهو سائر نحو الغاب — ليكن ما تريد ان كل ما في غاري هو
لك ايضاً لأنك ضيفي . واذا ما وجدت فيه شيئاً من العسل فلك ان تلحسه
لتخفف ما في نفسك من المرارة ايها الدب المزجر لاتنسا سنفرح ونطرب سوياً
هذا المساء لانقضاء هذا اليوم فتشترك معي بالغناء والرقص دبا مثقفاً

أراك تهز رأسك كأنك لا تصدق ما اقول ، فاذهب في سبيلك اذا ايها الدب
الهرم ولكن اعلم انني عراف انا ايضاً
هكذا تكلم زارا . . .

محادثة مع الملكين

وما مضت ساعة على سير زارا وتوغله في جباله واحراشه حتى اعترضت طريقه قافلة غريبة . فرأى ملكين كل منهما متوج وممنطق بالارجوان، يسوقان أمامهما حمراً محملاً . فقال زارا في نفسه : ماذا يطلب هذان الملكان في اراضي ، وأسرع الى الاختفاء وراء عوسجة حتى اذا اقتربت القافلة من مكانه تتم بصوت خافت — يا للغرابة ! اننى ارى ملكين ولا ارى غير حمار واحد

وتوقف الملكان وهما يبتسمان ويلتفتان الى مصدر الصوت الخافت فقال ملك الميمنة — ان مثل هذه الافكار تمر في الخاطر عندنا ولكن لا يعبر احد عنها

فهز ملك الميسرة كتفيه وقال — لعل المتكلم راع او ناسك عاش طويلاً بين الصخور والاشجار فالابتعاد عن المجتمع مفسدٌ للأخلاق المهدبة فقال الملك الآخر وقد ظهرت عليه امارات الكدر : الاخلاق المهدبة ! وهل غادرنا مجتمعنا الا هرباً من اخلاقه المهدبة ؟ خيرٌ لنا ان نعيش بين النساء والرعاة من ان نعيش بين قومنا وقد اتشحوا المذاهبات واستعادوا من الطلاء ملاحهم الكاذبات ، ما تجدي الانساب العريقة اذا كان من يباهون بها قد تهرأوا وغداً افسد ما فيهم دُمهم لما عاث فيه من امراض قديمة ولما ادخله عليه الاساءة الجاهلون

خيرٌ من هؤلاء القوم الفلاح السليم فهو بخشونته واحتياله وصبره ومجالدته اشرف انواع الانسان في هذا الزمان

ان فلاح هذا الزمان خير ما في المجتمع وطبقته اولى بالحكم ولكن الشعب هو الحاكم وما انخدع به بعد الآن فهو عبارة عن غوغاء من جميع الطبقات يختلط فيه القديس والسافل والصعلوك المغرور واليهودي فكانك منهم تجاه ما جمعت سفينة نوح

كيف نذكر العادات الحسنة وليس عندنا الا الرياء والفساد وقد نسي الجميع معنى الاحترام . لقد اردنا ان نهرب من كل هذا فلا نعود نرى الكلاب يقتلها الجشع والفضول وتبهرها السعف المذهبة

لقد بلغ الاشمزاز مني مداه لاننا نحن ايضاً اصبحنا كاذبين نرفل ببرود

اجدادنا وقد اخلقها الزمان وتقلد الانواط لنهر اجهل القوم واشدّهم احتيالا
ولماليء جميع من يتعاملون بالرّبا الفاحش مع كل سلطة .

لسنا اول المالكين فعلينا الا نكون على ما كانوا . لقد تعبنا وشبعنا
مخادعة واحتيالا

لقد اعرضنا عن الشعوب وتولينا عن هؤلاء المشاغبين وهذه الهوام القابضة
على الاقلام فهربنا من رائحة الحوانيت الكريهة ومن الانفاس الخائقة تخرج في
صدور الجهود القاصرة

اف للحياة بين الشعوب ويا لشقاء من يمشون في طلائعها ، اية اهمية للملوك
ما لك ولهم

فقال ملك الميسرة : لقد عاودك داؤك القديم ، لقد استولت نوبة الاشمزاز
عليك يا اخي ، ولكنك نسيت ان هنا من يسمع حديثنا

وخرج زارا من مكانه وقد سمع كل ما دار من حديث بين الملكين فتقدم
اليهما وقال :

ان من اصغى اليكما فراقه ما سمع انما هو رجل يدعى زارا . وانا هوزارا
القائل :

— اية اهمية للملوك بعد

فاغتفرا لي مسرّتي لسماحي منكما ما قلته من قبل
انما الآن في مملكتي وتحت سلطاني ، فاذا عسا كما تطلبان فيها ؟ لعلكما
وجدتما في طريقكما من افتش عليه ، فانا افتش على الانسان الراقي

وقرع الملكان صدريهما قائلين — لقد كشف امرنا . فقد اخترقت بكلمتك
هذه اعماق قلبنا وادركت سبب بلوانا . نحن ذاهبون للعثور على الانسان الراقي ،
الانسان الذي يفوقنا بالرغم من اننا في مرتبة الملك وقد اتينا اليه بهذا الحمار
لان على الانسان الاعلى ان يكون المعلم الاعلى

ان اقصى ما يحتاج الارض من نوازل ان لا يكون اصحاب السلطان على الناس
أفضل الناس كيلا يسود الكذب والفظائع فتلتوي الامور ذاهبة على غير مجاريها ،
لانه عندما يكون ارباب الساطان من زعائف القوم بل ومن حيواناته يتعالى
الشعب ويتعالى حتى ليسمعك صوته قائلاً انني انا هو الفضيلة

فهتف زارا : ماذا أسمع أعند الملوك مثل هذه الحكمة ؟ لقد اثارت هذه

الكلمات تريحني ولسوف انظم مقطعاً بما اوحته اليّ . ولعلّ ما سانظم لا تقبله
آذان الكثيرين ولكنني منذ زمان طويل نسيت مداهنة الآذان الطويلة
ونهق الحمار كأنه يحتاج ، فقال زارا :

« في ذلك الزمان ، في السنة الاولى من التاريخ الجديد ،

« هتفت الهة الاقدمين دون ان تكرع خرّاً ، فقالت :

« الويل . . الويل . . لقد ساءت الحال !

« يا للأحطاط ان العالم لم يسقط الى مثل هذه الدركة قبل الآن ؟

« فقد استحالت روما الى عاهرة

« وتدثني قيصرها الى مرتبة الحيوان

« حتى ان الله نفسه استحال يهودياً . . .

— ٢ —

واستحسن الملكان نشيد زارا ، وقال ملك الميمنة — لقد كان من حظنا
إن خرجنا على الطريق فلقيناك ، وقد كان اعداؤك عكسوا لنا صورة منك على
مرايا نفوسهم فرأيناك شيطاناً ضاحكاً ساخراً ادخل الرعب الى قلوبنا . ولكنّ
كلماتك ومباديك كانت تخرق آذاننا لتَهزّ احشائنا فتغلّبت على ما ادخلت صورة
وجهك من الاضطراب في روعنا . فقررنا ان نجبيء اليك وأنت القائل « عليكم
ان تحبوا السلم كوسيلة توصلكم الى حروب جديدة وان تفضّلوا فترة السلام
القصيرة على الهدنة الطويلة الامة . وما نطق احد قبلك بآية حربية كقولك
« لا خير يضاهي الشجاعة وغاية الحرب الحُسنى تبرر كل واسطة »

أي زارا ان دم اجدادنا قد ثار في عروقنا عندما سمعنا آيتك فكأنه الحمر
المعتق يغلي في الدنان لسماعه همسات الربيع . وهل كان اجدادنا يشعرون بلذة
الحياة الا عند اشتباك النصال اشتباك الافاعي تقطر دماً ، وهل كانت شمس السلام
في اعينهم الا نوراً خاسئاً ، فكل هدنة طويلة الامة كانت تلقّعهم بالعار
لكم من زفرة دفعها آباؤنا وهم ينظرون الى النصال المرهفة تتدلى صابرة على
جدران القصور فانهم كانوا يشعرون في احشائهم بظماً النصال نفسها وما لمعان
الحديد الا وهج شهوته وتحرّقه الى شرب الدماء

وبينما كان الملكان يتحدثان بجرارة عن سعادة آباءهما ، ثارت عوامل التهم
في زارا وهو ينظر الى ملامح الملكين التي تتمّ على الدعة والسكون غير انه

امتلك حوافزه وقال : هيّا بنا الى الدروة . الى غار زارا فسيعقب هذا النهار سَمَرٌ طويل ، وانا مضطر لمغادرتكما لان صوت مستنجد يدعوني من المدى البعيد . ستنال مغارتي الشرف من نزول ملكين فيها ، حيث لا بد لهما من الانتظار طويلاً . ولن يصعب الانتظار عليكما وقد تعودتماه في بلاطيكما . وهل بقي للملوك من فضيلة سوى فضيلة الصبر والانتظار ؟ !
هكذا تكلم زارا . . .

الحلقة

وتابع زارا طريقه وهو مستغرق في تفكيره فأنحدر من الاعالي حتى بلغ المستنقعات فاذا به يصطدم وهو ذاهل برجل هزته الصدمة فصرخ متألماً وأتبع صرخته بالشتائم تترى قبيحة سمجة . وبوغت زارا في استغراقه فرفع عصاه على الرجل ولكن روعه عاد اليه فسخر من نفسه وقال :

— ارجو عفوك واستميتك أن أضرب لك مثلاً عما وقع لنا .

بينما كان رجل سائراً في طريق مقفر وقد سرحت افكاره في مجالات بعيدة عثر بكلب نائم تحت شعاع الشمس فوقفا الواحد بوجه الآخر كعدوين لدودين يرتعشان خوفاً وحذراً . ولو ان الصدف تحولت قيد انملة لكان تداعب الكلب والمنفرد ، أفاهما في القفر فريدان «

فقال الرجل المصدوم والغضب لا يزال آخذاً منه مأخذه ، — كُنْ مَنْ تشاء يا هذا ، فما انت الا معتدي عليّ بمثلك بأكثر مما اعتديت بصدمتك ، انظر اليّ ، أفكأنا ؟

وكان هذا المتكلم جاثماً على الارض وقد غرس ذراعه في المستنقع كأنه يتصيد منه شيئاً فنهض صاحباً ذراعه العاري من الاووال ورأى زارا دماً غزيراً يقطر من ذراع الرجل فصاح به — ماذا جرى لك ايها التعس ، هل لسعك حيوان

فاجاب غضوباً هازئاً وهو يدير ظهره ليذهب في سبيله :

— ما يعنيتك يا هذا ، انني مقيم في ملكي وليس عليّ ان أرد على أهوج وأمسك زارا بالرجل وقد اشفق عليه فقال له — لقد اخطأت فلست في ملكك بل انت في ملكي حيث يجب ان لا يضار احد . ادعني بالاسم الذي تشاء

فما انا إلا مَنْ يجب ان اكون وقد أُسميت ذاتي زارا . تعال اتبعني الى مغارتي
لأضمّد جراحك ، فما انت إلا تعسُّ خانك الحظ ، لقد لسعك الحيوان ثم جاء
الانسان بعد ذلك يدوس عليك

وما سمع الرجل اسم زارا حتى تبدلت سحنته وهتف قائلاً : — أي شيء
أهتم له في الحياه غير هذا الانسان الفريد « زارا » وغير هذا الحيوان الفريد الذي
يعيش من غبّ الدماء « العَلَقَة »

ما انطرحت على الارض إلا طلباً لهذا الحيوان فقُرصت يدي عشر مرات
وإذا بزارا نفسه يقرصني ايضاً

يا لسعادي ، إذ قضي لي أن اكون اليوم في هذا المستنقع لأبارك خير حجام
بين الاحياء ، لأبارك زارا اعظم من عاق على الضمائر ليمتصّ منها

وفرّح زارا لسماعه هذه الكلمات فقال للرجل وقد مدّ اليه يده ليصافحه —
من انت يا هذا ؟ ان ما بيننا اموراً كثيرة يجب ان نجلوها ، غير انني لا اجد
مشقة في الايضاح وها قد وضح بيننا النهار

فاجاب الرجل — أنا « ضمير الفكر » وليس من عامل أشد صلابة واكثر تقيداً مني
غير زارا معلمي . وقد تعلمت منه انه خيرٌ للانسان ان يكون مجنوناً في عين
نفسه من ان يكون حكيماً في نظر الناس

انا هو الذاهب الى الاعماق ولا ابالي بضيق المدى أو باتساعه ولا فرق عندي
أكان الغور مستنقعا أم سماء ، وانه ليكفيني من الارض سعة الكف اذا جمدت
وصلحت مستقراً للقدم فليس امام العلم الموالي للضمير من شيء يعدّه صغيراً او
كبيراً

فقال زارا — لعلك اذاً مَنْ يحاول إدراك منشأ العَلَقَة ، فتذهب الى الغور
في بحثها جرياً مع ضميرك

فاجاب — لا يا زارا ، كيف لي ان اقوم بهذا العمل الفظيع ولا معرفة لي
الا بدماع العَلَقَة وفي دماغها ينحصر الكون في نظري ، افليس هذا الحيز كونا
بنفسه ؟ ارجو عفوك اذا ما اظهرتُ كبرياءً بقولي انني انا الاستاذ في هذا المطلب
ولذلك قلت لك ان هنا ملكي . لقد مرّ عليّ زمان طويل وانا احصر اهتمامي في
بحث دماغ العَلَقَة كيلا تفوتني الحقيقة في دقائقها ، ان في هذا المطلب تمتد سلطتي
وقد اعرضت عن كل ما عداه ، لذلك يتمشى علمي موازياً للجهلي . وقد قضى عليّ

ضميرٌ تفكيري ان اعرف شيئاً واجهل سائر الاشياء فاصبحت كارهاً لكل عمل
فكري لا يتعدى نصف مرحلته ولكل انسان اعتكر فكره في حماسه وتردده
ان عماوتي تبدأ حيث يتناهى اخلاصي لعقيدتي وانا راضٍ بالعمى واذا ما
اردت معرفة شيء انصرفت اليه قاسياً طالباً متعصباً لا الوي على شيء في سبيل
محجته

أما انت القائل يا زارا : ان الحياة نفسها مبضع يشق الحياة
ان قولك هذا قد جعلني تابعاً لتعليمك ، فتمكنت بذلك من اكتساب
معرفتي ببذل دمي

فقال زارا — ان الواقع يثبت قولك
وأشار الى ساعد الرجل وهي تدمي وعليها عشر علقات تمتص منها ، واردف
قائلاً :

— إن في حالك عبراً ، ايها الانسان ، فانت بنفسك تعلم ولن اقدم على
اسماعك كل تعاليمي

لنفترق هنا ، غير اننى أود ان التاك بعد الآن ، ان هذه الطريق المرتفعة
تؤدي الى غاري فانزل فيه اهلاً هذا المساء بين ضيوفي . لأننى اريد ان استرضيك
عما الحقته بك من اهانة عندما دست عليك بقدمي ، فانا افكر بهذه الترضية
الآن ولكنني مضطر الى مبارحتك الى حيث يستنجدني الصوت البعيد
هكذا تكلم زارا . . .

الساحر

— ١ —

وما دار زارا بالصخر على منعطف طريقه حتى لاح له رجل يأتي بحركات
غريبة ثم يدور كالجنانين وينطرح زاحفاً على الارض ، فوقف وقال في نفسه : لعل
هذا هو الانسان الراقي الصارخ المدد ، ولعلني أوفّق الى نجدة . واذا وصل اليه
راه شيخاً ارتجفت اعضاؤه وجحظت عيناه ، فهرع اليه محاولاً رفعه عن الارض
ولكنه حاول عبثاً ، فبقى هذا الشيخ كأنه في غيبوبة لا يحس بوجود احد قرب
واستمر يتلفت الى ما حوله ويبيدي اشارات اليأس المتروك ، وبعد ان تامل
وانطوى على نفسه بدأ يرسل أنينه وشكواه قائلاً :

من يدفعني؟ من يحبني بعد !
اليّ بالأيادي الحارّة ، اليّ بالقلوب المتقدّة
انا المحتضر المحتاج اليّ أكف تفرك رجليّ الباردتين
انا المنتفض تتأكلني الحمى الخفية ، المرتعش تهبُّ عليّ الرياح اللوّاح ،
انا طريدك ايها الفكر الذي لا اسم له ، ايها المحجّب المخوف الملفّع بالغمام
عيناً محدجني في طيات الظلام
ها أنذا طريق اتلوّني بعذاب الأبد تحت ضرباتك ، ايها الصياد العاتي ، انت
ايها الإله المجهول . . .

انزل عليّ بأشد ضرباتك ، اضرب ايضاً ، اخرق هذا القلب وقطع نياطه
تقطيعاً ،
مالك تطيل تعذيبي فلا ترشقني إلاّ بسهام فُلت حرايها ،
على مَ تطيل النظر ، وفي عينيك الساخرة بريق الألوهية أفما مللت عذاب
بني الانسان ؟
انت تمتنع عن القتل ولا تقصد إلاّ التعذيب ، لماذا تعذبني ايها الإله الساخر
المجهول ؟

آه ، اراك تقترب مني زاحفاً في الليل
ماذا تريد ؟ تكلم
اراك تزحمي وتدفعني ، ها انت تلاصقني
انك تتنصّت اليّ حشرة انفاسي وخفقان قلبي ،
فيالك من حسود اوعلى مَ تحسدني ؟
اذهب عني . . . اذهب عني . . .
ما هذه السُلّم تحملها اليّ ؟ اريد ان تعلو عليها لتلج قلبي ؟
اريد ان تنفذ اليّ اغوار افكاري ؟
ارجع ايها المتناول المجهول . . . ايها السارق

ما الذي تريد اختطافه ؟ وما الذي تطلب سماعه ؟

ما الذي تريد اختلاسه ، انت ايها المَعذَّب ؟
انت ايها الاله الجَلَّاد ؟
اتريد ان اترامى كالكلب على قدميك ؟
اتريد ان اتقدّم ثاملاً لا اعني زاحفًا احمل اليك غرامي ؟
* *

انك تضرب عبثًا ، فاضرب يا أقسى العُتاة !
أنا لست كلبًا ! أنا لست فريسةً لك ، أيها الصياد !
أنا لست اسيرك ، ايها اللصُّ المُلَفَّعُ بالغمام
تكلم ايها المتواري وراء السحب ، تكلم ايها المجهول !
قل ، ما الذي تطلبه مني ، أيها الكامن لعابري السبيل ؟
* *

اتطلب فديةً ؟ يا للغرابة !
وما هي الفدية التي تقتضيها ؟
إن عزة نفسي تشير عليك بأن تطلب كثيرًا
غير أن عزِّي الثانية تشير عليك بالإيجاز فيما تقول
آه ! ان ما تطلبه هو انا بكليتي !
* *

يا لجنونك ! انك ترهقني بتعذيبك ، انك تعذب عزِّي
اعطني المحبة . . . مَنْ يَدْفِئُنِي . . . من يحبني بعد
اليَّ بالأياذي الحارَّة . . . اليَّ بالقلوب المتقدة
أعطني . . . انا المنفرد المتشوق في الصقيع حتى الى اعدائه ،
اطلب اليك أن تستسلم لي ، وانت أقسى من يعاديني .
ولكنه تواري ! تواري رفيقي الوحيد ، اكبر اعدائي ، الكائنُ المجهول ،
الالهُ الجَلَّاد . . .

* *
لا . . . لا تذهب . ارجع . . . عدُّ اليَّ بتعذيبك
عدُّ الي آخر المنفردين فان دموعي كلها تنهمر شوقًا اليك
واخر أشعة من فؤادي تترامى نحوك

آواه . عُد اليّ ، يا الهى المجهول ، يا ألهى يا منتهى سعادتي !

— ٢ —

وبلغت الثورة في زارا حدّها فرفع عصاه واخذ يقرع بها الرجل الذاهب
بنواحه وشكواه ، قائلاً له بضحكة ملؤها الغضب : — توقف ايها المشعوذ ،
ايها المزيّف ، ايها الكذاب ، لقد عرفت من انت

سألهب ساقيك فانا اعرف كيف اعامل امثالك . فانتصب الشيخ وصاح :
توقف عن ضربى يا زارا ، فان ما شهدته منى لم يكن الا مزاحاً ولعباً ، وما
اللعب الا فنّ من فنونى . لقد اردت ان اعرضك للتجربة . والحق انك تفذت
الى أعماق سرىرتى ، فأبنت لى ايضاً ما تنطوي انت عليه ، انك لحكيم قاسٍ يا زارا
وعصاك ذات العقد تضطرنى الى ان اقول لك انك تجلد الناس بحقائقك جلداً
فقال زارا وهو لا يزال على حنقه : لا تداهن يا مشعوذ الارواح ما أنت إلا
مظهرٌ لا ينمّ على حقيقته فليس لك ان تذكر الحقائق بفمك

باي دور كنت تقوم امامى يا طاووس الطواويس ، ايها البحر الزاخر بالباطيل ،
ايها الساحر المشئوم . أظننت انى كنت مصداقاً أنينك وشكاياتك ؟
فقال الشيخ — كنت أمثل دور كفارة العقل ، أفما انت المخترع لهذا
التعبير ؟ فتكلمت بلسان الشاعر الساحر الذى ينقلب عليه عقله بعد تبدّله لادراكه
فساد عمله وفساد ضميره

أفما خدعت بتمثلى يا زارا ؟ وهل تكشف لك خداعى قبل أن آمنت
بشقاىى والقيت راحتى على رأسى ؟ وقد سمعتك تقول آسفاً « لم يمتّع من
الحب الا بالنذر اليسير » فرقص شرّى حبوراً فى داخلى
فقال زارا — لا ريب فى انك خدعت من قبلى من هم أقوى فراسة منى
وما انا من يتحوّط لنفسه تجاه المخادعين لان من واجى الا احاذر احداً ، هكذا
قضى على

أما أنت فقد قضى عليك بان تخدع الناس فما يخفى أمرك على فانا اعرفك
واعرف ان لكل كلمة من كلماتك معنيين بل ثلاثة واربعة معانٍ ، حتى انما اعترفت
به الآن ليس فيه الصدق كله ولا الكذب كله

وهل بوسعك ان تكون على غير ما انت عليه ايها الشرير الكاذب ايها

المزيف ، وانت اذا ما وقفت عاريا امام طبيبك يوما فانك لتجعل داءك نفسه يتنكر عليه ، هكذا موَّهتْ أُمّاي كذبك نفسه ونكرته عندما قلت لي : — ان ما شهدته مني لم يكن إلا مزاحاً ولعباً . فقد ضمنت كذبك شيئاً من الحقيقة وانت شبيه من بعض الوجوه بالمكفر عن ذنوب العقل

لقد تكشفت لي سريرتك فانا اراك بلغت من السحر ما تستهوي به الناس ولكنك لا تجد من الكذب والرياء ما تستهوي به نفسك ، لقد انكسر خيالك وعثرت اما لك لانك لم تكن غير الكره حقيقة لا حقيقة لك سواها فاصبحت ولا كلمة صادقة عندك ، فكل شيء مزيف فيك الا شفقتك او بالأحرى ما التصق بهما من كره او اشمزاز

وصاح الساحر بصوت جلجلت الكبرياء فيه — من انت يا هذا ليحق لك ان توجه اليّ مثل هذا الخطاب وانا أعظم الاحياء في هذا الزمان ؟
ونزل الساحر على زارا بنظرة التمتع باشعتها الخضراء وثلكنه وجم بغتة واردف قائلاً بصوت حزين :

— آي زارا . . . لقد تعبت من كل هذا . . . لقد كرهت جميع فنوني فما انا بالعظيم وما يجدي التظاهر شيئاً . ولكنني طلبت العظمة كما تعلم . اردت ان امثل دور الرجل العظيم فتمكنت من اكتساب ثقة الكثيرين ولكن اكاذبي تجاوزت طاقتي ووقفت دوني حائلاً اصطدمت به فأنحطمت اي زارا . . . ان كل ما في اكاذيب باكاذيب . . . ولا حقيقة عندي سوى المحطامي

فاجاب زارا وهو ينكت الارض بنظراته : لقد كان طلبك للعظمة مشرفاً لك وقد خانك مقصدهك فما انت بالعظيم
ان ما اكرم فيك وما اراه خير صفة لديك هو تعبك من نفسك وهتفتك « انني لست عظيماً » . لذلك اكرمك كمكفر عن العقل ، وهب ان تكفيرك هذا لم يدم الا لحظة واحدة فانك كنت في هذه اللحظة صادقاً ولكن قل لي ما اتيت تطلب هنا في غاباتي وبين صخوري واذا كنت انطرحت على طريقي لتلقاني فاي برهان قصدت نواله مني ؟ باية وسيلة اردت ان تنصب شركاً تجربتك لي ؟

هكذا تكلم زارا وعيناه تقدحان شرراً ، فوجم الساحر الشيخ ثم قال : وهل

حاولت تجربتك؟ ما كنت إلا مفتشاً وما أفتش عليه هو الانسان الصادق المستقيم
الانسان الذي لا يظهر الا ما يضر ، ان ما اطلبه هو إناء الحكمة الصادقة هو
الرجل العظيم

افما تعلم يا زارا اننى اطلب زارا
وساد السكوت على المتخاطبين ، وأغمض زارا عينيه مستغرقاً بالتفكير ، ثم
قبض على يد الساحر وقال له بكل تأدب

— هنالك على المرتفع الطريق المؤدي الى مغارتي ، وفي هذه المغارة ستجد
من تطلب ، فاذا ما بلغت سَلْ نسري وافعواني ليساعدك بالتفتيش في
طولها وعرضها

لا اكتمك انني ما رأيت الرجل العظيم حتى الآن لأن العيون لا تزال في
خشوتها قاصرة عن تفحص اية عظمة ، فاننا في عهد سيادة الشعوب
ولكم رأيت من متعظم يتمطى وينتفخ والشعب يصيح حوله هذا هو الرجل
العظيم ولكن ما يفيد منتفخ الحداد تمده اذا كان الهوا لا يلبث فيه
هكذا يخرج الهواء ايضاً من الضفدع حين ينتفخ لينشق . وليس من لعبة
أشد تسلية من غرز منصل في جلد منتفخ فاسمعوا هذا يا أبنائي
ان يومنا هذا يوم الشعوب فمن له ان يميز بين الكبير والصغير فيها
ومن له ان يطلب العظمة فيظفر بها غير المجانين وهل من ظافر غير من
فقد رشده

اراك تفتش على الرجل العظيم ايها المجنون الغريب فمن ترى اوعز اليك
بهذا ؟

أفي مثل هذا الزمان يوجد العظيم ، ايها المراوغ ؟
لماذا تحاول نصب شراكك امامي ؟
هكذا تكلم زارا وقد سلا همومه فضحك وسار في طريقه

المعتزل

وما سار زارا شوطاً في طريقه حتى لاح له رجل كبير الهامة يتشح السواد
جالساً على جانب السبيل وعلى وجهه نحول وشحوب ، فازعجه هذا الشبح وقال

في نفسه ويل لي انني ارى قناع الاحزان ، فهذا الرجل من طغمة الكهنة، وما يطلب هؤلاء الناس في مملكتي ؟

لقد تخلصت من ساحر لاقع على مناجي اللاموات ، على ساحر آخر يأتي بالعجائب بنعمة الله وهو يذم الحياة ! فليت الشيطان يختطفه . ولكن الشيطان متغيب ابداً عند الحاجة اليه ، واذا ما لي هذا الملعون الطلب جاء متأخراً

وكان زارا يتمم بهذه الكلمات وهو يفكر في وسيلة تمكنه من المرور امام الرجل الاسود دون ان تقع نظاره عليه ولكن هذا الرجل لمح زارا من بعيد فنهض كمن يظفر بما يتوقع واسرع الى ملاقاته قائلاً له :

— ايها المسافر المتجول أياً كنت ، أعجب هذا التائه الشيخ المعزّض للمخاطر في هذه الارحاء ، إنني أسمع زئير الوحوش من كل جانب ، وقد كان هنا رجل يوسعي ان الجأ اليه ولكنه توارى وعبثاً فتشت على مستقره ، وهذا الرجل هو آخر الاتقياء ، هو الناسك الصالح الذي لم تبلغ أذنيه الكلمات التي ذاعت بين الناس في هذه الايام

فقال زارا — وما هي هذه الكلمات ؟ لعلها قولهم بان الاله القديم الذي كانوا يؤمنون به من قبل قد مات

فاجاب الرجل بلهجة حزينة — لقد قتلها وانا قد خدمت هذا الاله حتى الساعة الاخيرة من حياته . وهأنذا أعزل الآن ولا سيدي ولكني لم أنل حريتي ، لذلك أصبحت ولا أمل لي بالسعادة الا اذا تلمستها بايامي الماضيات . وقد اتيت الى هذه الجبال لأقيم شعائر الدين وأحتفل بالعيد على ما يليق برئيس أعلى وأب من آباء الكنيسة الأقدمين ، فأنا هو اخر « البابوات »

ولكن الناسك الذي كان هنا ، القديس الذي كان يسبح الله بصلواته وأنشيده قد مات وقد فتشت عليه في كوخه فما وجدت الا ذئبين يعويان أمام بابه ناديين فقد كانت جميع الحيوانات تحن اليه في حياته . لذلك ذهبت في طريقي تائماً وانا مصمم الا أعود بصفقة المغبون فبدأت افتش على رجل آخر هو في تقديري أتقى الجاحدين ، بدأت افتش على زارا

قال الشيخ هذا وهو يحدج مخاطبه بنظرات حادة فمد زارا يده وقبض على راحة الشيخ وبعد ان قلبها وتقرّس فيها ملياً قال له :

— ما اجل يدك ايها المحترم فانها والحق يدٌ تعودت ان تبارك ، وعما هي ذي
الآن في يد زارا نفسه

انا هو زارا الجاحد القائل : اين اجد من يفوقني ججوداً لافرح
بتعاليمه

وارسل زارا نظراً كالسهم يخترق عيني الشيخ سابراً افكاره وما وراء افكاره
الى ان قال الشيخ :

ما فقد الله أحدٌ باكثر مما فقدته مَنْ تناهى في حبه له وفاق الكل بامتلاكه
انظر اليّ ، افما ترى انني اشد ججوداً منك ، ولكن مَنْ منا اشد سروراً
بذلك من الآخر ؟

وفكر زارا لحظة ثم قال — اخدمته الى آخر حياته ؟ اذا قل لي بآية ميتة
قضي ، اُصبحُ ما يقال من أن الرحمة قد قبضت على عنقه فاردته مخنوقاً اذ رأى
الانسان معلقاً على الصليب فتقل عليه ان يصبح حبه للناس ججياً يورده
الفناء ؟

وسكت الشيخ وهو يتلفت ما حوله مرتعشاً وقد اكفر وجهه وبدت
دلائل الألم عليه

فاستمر زارا في كلامه :

— دعه وشأنه ، دعه يذهب ، فانه هالكٌ لا محاله ، وانت تعلم ، وإن حق
الأ يُذكر الامواتُ إلا بالخير ، انه كان يتبع مسلماً غريباً

فقال الشيخ — اذا لزم ان تتكلم بين ثلاثة عيون « وكان المتكلم أعور » عن
احوال الله واموره ، فانا احق بذلك لأنني أخبر من زارا بهذه الامور بعد ان
خدمت الله سنوات طويلة واستسلمت لمشيئته ، وكم يعلم الخدّام من احوال
ساداتهم ما يخفونها هم عن انفسهم . . .

لقد كان إلهاً خفياً ملفعاً بالأسرار ، وفي الحقيقة ان ابنه لم يأت اليه الا عن
الطريق الملتوي ، لذلك كان الزنا اول مرحلة من مراحل الايمان به *

* الى مثل هذه النتائج دفع لا هوت الغرب وفلسفته الدينية عن رسالة عيسى بالعدد الغفير
من جيابرة التفكير بين شعوبه . اما والله ان كفر نيتشه فيما يقول عن هذه المرحلة من الايمان
انما هو كفر بالصورة المشوهة التي عرضت عليه لا بالمسيح الذي عني أمثاله بقوله « اغفر لهم يا
رب لانهم لا يدرون ما يفعلون »

من يسبّح الله كأنه رب المحبة فقد قصرت مداركه عن بلوغ مرتبة الحب السامية . افما اراد هذه الاله ان يقيم نفسه قاضياً ؟ والمحـب يجتاز اي حد من حدود العقاب والثواب

لقد كان هذا الاله الشرقي في شبابه قاسياً تجول فيه روح النـقمة فـاوجد جـحيماً لتسـلية صـحبه ، ولكنـه شاخ مع الـايام فاصـبح متراخياً رحيماً وانقلب جـداً بعد ان كان أباً بل انقلب جـدة هـرمة تتداعى
وجلس يوماً قرب الموقد يصطلي وقد تجعّدت أسارير وجهه وتقطّـب جبينه لشعوره بوهن رجليه ، فأحس بتعبه من ارادته ومن العالم وما عـم حتى قضى مخـتلقاً بـعميم رحـمته

فاستوقفه زارا قائلاً — أرايت ذلك بعينك ؟ فلقد يكون قضى على هذا الوجه كما يكون قضى بصورة اخرى فان الأرباب اذا ماتت تموت باسباب متنوعة . وعلى كل فأياً كان السبب ، فانه قد قضى ، وشرُّ ما اذكره به هو انه كان يشوش عليّ ابصاري وأسماعي ، فانا احب كل من صفت نظراته وكلماته وقد كان هو كما تعلم على شيء مما تتصف به انت ايها الكاهن الشيخ وما يتصف به كل كاهن ، فقد كان مبهماً غامضاً

افما كان في تفكيره كثير من الإيهام ؟ ولكم ثار علينا بغضبه لأننا لم ندرك غوامض اقواله وكان الاجدر به ان يأتي ببيان صريح لا يحتمل تأويلاً
واذا كانت اذاننا هي التي اساءت سماع اقواله فعلى مَ جهزنا باذان لا تحسن السمع ، واذا كان في آذاننا طين يسدها فن ترى وضع هذا الطين فيها ؟
ولكم انحطم من اناء تحت يد هذا الخزاف الذي لم يُتمّ تعلّمه ولم يتقن صنعته ، فعلى مَ ينتقم من مخلوقاته التي أبدعها اذا كانت خرجت مشوّهة من بين يديه ؟

افما كان هذا العمل خارجاً على ما يليق ؟ حتى ان اللائق نفسه في الرحمة هتف قائلاً انقذوني من هذا الاله نخير لي الا يكون لي اله فاتحكمم في مقدراتي ، خير لي ان اصاب بالجنون فاقـم نفسي الها . . .

عندئذ صاح الخبر القديم قائلاً : ما اسمع منك يا زارا والحق انك بلغت من التقوى ما لا تدرك مداه فلا بد ان تكون لقيت إلهاً هداك الى كفرك ، لأن

ايمانك . نفسه قد صدّك عن الاعتقاد بالله ولسوف يقودك اخلاصك اخيراً الى ما وراء الخير والشر

لقد قدّر لك ان تأتي بالبركة الابدية بعينيك وبيدك وفمك فليست اليد وحدها اداة للبركة

انك تحاول الظهور امامي كأشد الناس كفراً ولكنني أشتّم منك عطر البركة المستمرة فاشعر منها بلذة يخامرها الألم . دعني انزل ضيفاً عليك ولو ليلة واحدة فليس في الارض مكان ارتاح فيه ارتياحي بقربك

واستولت الدهشة على زارا فقال — ليكن ما تريد ، فهناك على القمة الطريق المؤدي الى مغارة زارا . وكنت أود ان اذهب بك اليها ، ايها المحترم ، فاني احب جميع الاتقياء ولكنني مضطر الى الاسراع نحو صوتٍ تعالى مستنجداً بي

اذهب الى مغارتي حيث لا يتعرض احدٌ لضررٍ فهي ميناء السلام لكل قاصد وانا أود ان يستقر على ارضها الجامدة كل حزين

ولكنني ارى نفسي أضعف من ان ابدّد أحزان روحك ولقد يمر زمان طويل قبل ان يجيء احدٌ بوسعه ان يقيم إهلك من الموت ، وقد مات هذا الاله القديم ولن يحيا بعد

هكذا تكلم زارا

اقبح العالمين

وعاد زارا يتوغل في الاحراش وبين الجبال مرسلًا ابصاره الى كل جهة دون ان يعثر على الصارخ المستنجد غير انه كان يقفز في سيره فرحاً وهو يقول لقد كفر هذا النهار عن سيئات صباحه فما اغرب من تحدثت اليهم في طريقي ولسوف ألوك كلماتهم وأمضغها حتى ازدرها غذاءً لنفسي

ولما وصل زارا الى منعطف سبيل تصدّه صخرة عالية انكشف له مشهد جديد رأى فيه نفسه في مملكة الموت ، اذ صدمت ابصاره مهاوٍ حمراء دسّناء ليس عليها شجرة ولا نبتة ولا يُسمع فيها صياح طير أو زقزقة عصنور وقد نفر من ذلك الوادي كل ذي حياة حتى الوحوش فما كان يرتاده من حين الى حين

الا الأفاعي الجسيمة الخضراء عندما كانت تحس بالهرم وتطلب الفناء . ولذلك
دعى الرعاة هذا الوادي مقبرة الأفاعي

وراودت مخيلة زارا تذكارات قديمة وشعر بأنه قد مرَّ بهذا الوادي فيما
مضى ، فأثقل دماغه وبدأ يتباطىء في سيره حتى امتنع عليه نقل قدميه فاذا به
يفتح عينيه فجأة فيرى على حافة الطريق شخصاً له وجه انسان وليس له من هيئة
البشر شيء كائناً لا اسم له بين أسماء الكائنات . واستولى على زارا نوع غريب
من الخجل فاستحت عيناه مما رأتها فاحمر وجهه حتى منابت شعره الابيض فتولى
وأراد ان يبارح هذا المكان فاذا به يسمع صوتاً كالهدير أو كبقية المياه اذا
سدَّت مجاريها وما عثم حتى استحال هذا الصوت الى نبرات تشبه الكلام وهي
تقول — اي زارا . . . اي زارا . . . حل رمزي اذا قدرت واعلن الحقيقة عن
« الانتقام من الشاهد »

قف مكانك وتراجع الى الوراء فالأرض متجلدة أمامك ، حاذر ان ينزلق
غرورك عليها فتتكسر قوائمه

انت تحسب نفسك حكيماً يا زارا ، فخل الرمز المعروض عليك . اذا كان لك
ان تكسر أصلب القشور لاكتشاف نواتها فقل لي مَنْ انا
وما سمع زارا هذه الكلمات حتى هزَّه الإشفاق هزاً فهوى على الحضيض .
كشجرة توالى على جزعها ضربات الفؤوس ، ولكنه ما هوى حتى نهض وقد
ارتسمت القساوة على وجهه فقال :

— لقد عرفتكَ يا هذا فأنت قاتل الإله ، دعني منك فانا متولِّ عنك . لقد
ثقل عليك ان يكون هنالك من لا يزال ينظر اليك ويتفرَّس في قبحك ، وأنت
أقبح العالمين ، فأقدمت على الانتقام من هذا الشاهد

قال زارا هذه الكلمات وتحفَّز للسير ولكن الكائن الذي لا اسم له تمسَّك
برجليه وصاح به متمتماً — لا تذهب . ابق هنا فقد عرفت ما هي الصدمة التي
ألقتك صريعاً ، مرحى لك لا لك تمكنت من النهوض . لقد ادركت ما يشعر به
قاتل إلهه ، تعال واجلس الى جانبي ، انك لن تضيع اويقاتك معي سدى . لاني
اذا لم اتوجه اليك فألى من أتجه ، اجلس ولكن لا تنظر اليّ ، فانك لتكرِّم قبحي
باغضائك عنه

انهم يطهدونني ، وقد اصبحت انت الآن ملجأى الأخير ، انهم يطهدونني

لا بحقدكم ولا بقوة جنسكم وما تهمني هذه القوة بل انني لأنخر بمصادمتها لي
وأسرُّ وهل في العالم نجاحٌ يضاهي نجاح المطَّهِّدين مجدّاً؟ ان المُطَّارِدَ ينتهي
بالمُتَابَعَة وهو الرا كض دوماً وراء متبوعه. ان ما يؤلمني منهم هو انهم يطهدونني
باشفاقهم . وما اهرب الا من هذا الاشفاق طالباً ملجأ في اكنافك ، فاحمني
يا زارا ! انك ملجأني الوحيد وقد فذت سريري وعرفت ما يشعر به قاتلُ إلهه.
ابقَ هنا واذا ما اردت الارتحال ايها الرَّحالة اللجوج فلا تنصرف من الطريق
التي اتبعتها انا لأصل الى هذا المكان ، انها لبئس الطريق

لعلك لا تنقم عليّ لتوجيهي هذه الكلمات اليك ولا سدائك نصحي . إن انا
الآ أقبحُ العالمين . ان رجلي أضخم الارجل وأثقلها فما مررتُ على طريق الا
ودمرتها

لقد رأيتك متجهاً نحوِّي وانت تقصدُ المرور بي خلسة ولاح الاحمرار على
وجهك فعرفت انك انت زارا . ولو ان غيرك مرَّ بي لكان تفحني بصدقةٍ او
بذل لي إشفاقه بنظرة او بكلمة ، ولكنني كما عرفت لم أصل من التسوّل الى
درجة أرضي فيها بتصدّق الناس عليّ

ان لديّ ثروة وافرة من العظام بل من أقبحها وافظعها لذلك شرفني خجلك
يا زارا

وما توصلت الاّ بشق النفس الى التخلص من إزعاج الرحماء لأجد الانسان
الوحيد القائل في هذا الزمان بان الاشفاق نقمةٌ وليس نعمة ، وهل من قائل
بهذا سواك ، يا زارا ؟

ان الاشفاق إهانةٌ للكرامة سواءً أصدر من الناس أم من إله الناس .
ولعلّ في حبس المعونة من النبل ما ليس في المسارعة الى بذلها
ولكن صغار البشر يحسبون ان في هذه المسارعة الى الاشفاق فضيلة لا
تضاهيها فضيلة . فهم لا يحترمون الشقاء اذا تعاضم ولا القبح اذا تناهى ولا
التشويه اذا لم يبق ولم يذر

إن أنظاري تمرُّ على هؤلاء الرحماء كما يمرُّ نظري الكلب على ظهور الأغنام
المتراخمة فما اراهم إلا صعايلك ترمد صوفهم وامتلأت رؤوسهم بفسكار الانعام
انني اقف كالبعجة تحدج المستنقعات بنظرات الاحتقار لارسل أنظاري
على تدافع صغيرات الامواج وكل ارادة واهية وكل نفس حقيرة

لقد طال زمن الاعتقاد بهؤلاء الاصاغر وأولاهم الناس الصواب حتى تولوا
القوة واصبحوا يقولون بان لا خير الا ما يرونه هم خيراً
ان ما يُعتبر حقيقة في هذا الزمان ان هو الا ما علمه ذلك البشير الذي نشأ
بين هؤلاء الصعاليك ، ذلك القديس الغريب الاطوار الذي وقف مدافعاً عن
قومه وهو يشهد لنفسه قائلاً « انا هو الحق »

انه هذا المدّعي قد أفسح المجال منذ زمان طويل لهؤلاء الصعاليك فتناولوا
منتصبين على اظلافهم ، ان هذا القائل انا الحق قد علمهم ضلالاً عظيماً
لقد أورد قوله هذا فما تَلَطَّفَ احدٌ تَلَطَّفَكَ بالرد عليه يا زارا اذ مررت
امامه وصحت به — لا . . . لا . . . والف مرة لا . . .

لقد حذّرت الناس من ضلاله، فكنت اول المحذّرين من الاشفاق ، وما وجهت
خطابك للمجتمع ولا للفرد بل وجهته لنفسك ومن هم من مرتبتك، فانت تبدي
استحياءك من خجل الآلام العظمى فتقول « كونوا على حذر ايها الناس ان الغمامة
الواسعة تمتد من منشأ الاشفاق »
ثم تقول « ان المبدعين قساة » والمحبة العظمى تتعالى فوق
إشفاقها »

اي زارا لقد كنت مدركاً إِنْذارات زمانك عند ما نطقت بهذا
ولكن عليك ان تحاذر انت ايضاً ما فيك من إشفاق ، لان كثيرين خرجوا
على طريقهم يقصدونك وما اكثر الغارقين ومن جمدهم الصقيع
ولادعوتك حتى الى الاحتراس مني ، فانك قد حلت لغزي من
وجهتي حسنه وقبحه وعرفت من انا وما فعلت فعرفت من ذلك ما يمكنه ان
يصدملك ويصرعك

وعلى كل ، فقد وجب على الاله أن يموت لانه كان يحدّق بعين نافذة لا تخفى
عليها خافية فيسبر اعماق الانسان وأغواره مستكشفاً جميع ما كمن فيه من قبح
وعيوب

لقد كان اشفاقه خالياً من الحياء ، فكان يذهب هاتكاً الاستار عن قبائح
ذاتي ، افما حق على هذا الفضولي الرحيم ان يموت ، افما كان لي ان انتقم ممن
تحرّش بخفاياي او اختار الموت تخلصاً منه

ان إلهاً يرى كل شيء حتى الانسان لأجدر به ان يفنى وما يحتمل الانسان مثله شهيداً

هكذا تكلم أقبح العالمين ، فنهض زارا وقد أحس بالصقيع في أحشائه وقال :
— يا مَنْ لا يُعرِّف ولا يُسمى ، لقد حولتني عن اتباع طريقك وأنا ادعوك مكافأة لك الى اتباع طريقي ، انظر الى الذروة ، هنالك مغارة زارا
ان مغارتي متسعة مديدة كثيرة السرايب يجد فيها طالب الخفاء خباءً . وعلى مقربة منها حفر وأوجار لكل حيوان من الزحافات والدبابات والأطيوار .
فاقتدِ بي يا مَنْ هجرت العالم وكرهت الحياة بين الناس وارهقك إشفاق الناس تعلم كما تعلمت انا فلا يتعلم الا العامل المختبر

ليكن أول ما تتعلمه التحدث مع نسري وأفعواني فالأول أعظم الحيوانات كبراً والثاني أشدهم مكرراً . فليكونا لك ولي خير مَنْ نستشير
هكذا تكلم زارا وسار في طريقه وقد ازداد تفكيره إسراعاً ومشيته تمهلاً
اذ كان يسأل نفسه عن امور كثيرة فلا يجد لها جواباً

وقال في قلبه : ما أشقى الانسان وما أقبحه مليئاً بالضغينة والعيوب الخفية
قيل لي ان الانسان محب لذاته ، فأية درجة يجب ان تبلغ الأنانية لتتغلب على ما في الذات من صفات حقيرة

لقد مررت الآن بكائن يحب ذاته وهو يحتقرها فهو في نظري متناهٍ في عشقه واحتقاره . لأنني ما عثرت قط من قبل بمثله كائنًا يحتقر ذاته الى هذا الحد
إن في مثل هذا الاحتقار تعالياً وسموًّا ولعل هذا الانسان هو الانسان الراقى الذي أرسل بصرخة الاستنجد

انني احب رجال الاحتقار العظيم لأن على الانسان ان يفوت ذاته ويتفوق عليها

مختار التسول

وعندما بارح زارا أقبح العالمين أحس بوحده ومشى الصقيع في أعضائه لما مرَّ في رأسه من افكار غريبة لاذعة ، ولكنه ذهب يجدُّ السير تارة على المراعي المخصبة المشرفة على البحر وطوراً وراء الجبل حيث جفَّ النهر فانكشف مسيله الموحش تحفُّ به الصخور ، فتشددت عزيمته وعادت اليه حرارته فقال في نفسه :

« لعلي علي مقربة من إخوان لا أعرفهم يدورون في هذه الأرجاء ولعل ما
احس به من أنس بعد الوحشة ومن حرارة بعد الصقيع يهب من انفسهم فتش
لها نفسي »

وتطلع من موقفه الى ما حوله فاذا به يرى قطعاً من الأبقار على مرتفع
فادرك ان ما ضاع من لهاث هذه القطيع قد كان السبب في انعاش قلبه
وما احست الأبقار بقدومه اذ كانت موجهة انتباهها الى خطاب كان يلقي
عليها . وما تقدم زارا بضع خطوات حتى سمع صوت انسان يرتفع من وسط
الحلقة وقد ادارت الأبقار رؤوسها الى مصدر الصوت فاسرع زارا الى اختراق
الحلقة فاذا برجل جالس على الحضيض يتكلم محوَّلاً كل جهده لاقتناع الأبقار بالآ
تنفر منه

وكان المتكلم احد انصار السلام ومن وعظ الجبال المتصفين باللطيف وقد
أشع العطف من عينيه

وتقدم زارا وسأله بدهشة عما يفعل ، فاجاب الرجل — إنني اطلب هنا ما
تطلبه أنت ، فانا أفتش على سعادة الحياة ، وقد اردت ان تعلمني الأبقار حكمها
فضت نصف الصبيحة وانا أهيب بها الى التكلم حتى كادت تنطق فأثيت أنت
تكدر صفونا

اذا نحن لم نرجع فنصير مثل هؤلاء الأبقار فلن ندخل ملكوت السماء ...
لأن علينا ان نقتبس من الأبقار اجترارها

والحق لو ان الانسان ربح العالم كله ولم يتعلم الإيمان في تفكيره كما يُتمن
الأبقار في مضغها فأية فائدة له من الحياة ؟ لانه اذا لم يجتر بتفكيره فلا شفاء له
من أشد ادوائه وداء الانسان العقام اليوم انما هو داء الاشمزاز ومن من ابناء
هذا الزمان لا تتقزز نفسه وعيناه وفمه ، أفما انت كسائر الناس يا هذا ؟ انظر الى
الأبقار

قال واعظ الجبل هذه الكلمات ثم أمعن النظر في زارا بعد ان كان يعلقه على
أبقاره فتغيرت سحنته وهتف قائلاً — من هو من أخطب ؟

ونهض عن الارض فجأة وهو يقول :

- هذا هو المتعالي عن كل اشمزاز ، هذا هو زارا بعينه ، هذه عينه وهذا

فه وهذا قلبه

وسارع الى تقبيل يدي زارا وعيناه تفيضان بالدموع كأنه لقي كنزاً ارسلته
السماء ووقفت الأبقار تنظر الى الرجلين مندهشة حائرة
وتباعد زارا قائلاً — مالك والتكلم عني ، تحدثت عن نفسك ، أفما انت من
اختار التسوّل متخلياً عن ثروته الكبرى ، أفما انت من رأى العار في الغنى
وأربابه ففزع الى الفقراء ينشر عليهم نعمته ويجود عليهم بقلبه ، فردّه الفقراء
خائباً ؟

فاجاب المتسوّل — أجل لقد عدت بالخيبة فلجأت الى هذه الابقار ، وانت
تعرف ذلك يا زارا

فقال زارا — وهنا تعلّمتَ فعرفت أن الإِجادة في العطا أصعب
من الإِجادة في الأخذ وأن العطاء فنٌ يتوقف إتقانه على إدارة العطف والتحكم
في خطراته

فقال المتسوّل — بخاصّة في هذه الايام التي ثار فيها كل سافل نفور متكبر
مباهياً بطبقة الغوغاء التي ينتمي اليها ، وما خفي عليك ان الساعة قد دنت لثورة
طبقات المُستبَعدين وهي ثورةٌ سيطول أمدّها ومدّاها
إن الصغار يتمرّدون على كل ما هو إحسان وتصدّق فلينتبه أرباب الثراء
وليحذروا

الويل لكل وعاء متضخّم لا يتسرب ما فيه الا قطرةً فقطرة من فوهته
الضيقة فان أعناق هذه الآنية معرضةٌ للكسر في هذه الازمان ، وقد اصطدمت
بالحسد الفاحش والشهوة الغاضبة والظمأ الدافع الى الانتقام وبكل ما في الغوغاء
من غرور ، لقد كذب من قال ان السعادة سائدةٌ بين الفقراء من الناس ، فما يتمتع
غير الابقار بملكوت السماء

وسأل زارا — ولماذا لا يتمتع الأغنياء بالملكوت
فاجاب المتسوّل — لماذا تجرّ بني يا هذا وانت أدري بالامر مني . وهل فزعتُ
الى الفقراء الا كرهاً لا غنيائنا ؟ وهم أسرى اموالهم وعبيدها وهم ذوو العيون
الباردة والقلوب التي تقرضها شهوة الاثراء فتوحي اليهم بكل وسيلة يستغلّون بها
أية كومة من كوم الاقدار ، أفما هربتُ من هؤلاء الناس وسفالتهم الصارخة
بوجه السماء ، كما هربت من الطبقة الموشاة بالذهب والمزورة تزويراً المتحدّرة
من جدود كانت اصابعهم مخالب من حديد فعاشوا عقباناً او جامعي خرق ، من

الطبقة التي ماتت النخوة في رجالها فسرحت نساؤها فاحشاً سائبات لا فرق
بينهن وبين البائحات في المواقير

لقد رأيت الغوغاء في الطبقة العليا كما رأيتها في الطبقة الدنيا فلا فرق بين
الغنى والفقراء في هذا الزمان ، لذلك هربت وامعنت في الهرب حتى أدنى بي
المطاف الى هذه الأبقار

هكذا تكلم رسول السلام والعرق يتصبب منه لاندفاعه بتيار خطابه ، فوجت
الأبقار مضطربة ، غير ان زارا كان لا يزال يحدق بالمتسول وهو يتسم حتى اذا
وقف عن الكلام قال له :

— لقد أجهدت نفسك بعنف خطابك فما لقمك ان يتفوه بهذه الكلمات
الجافية وما لأذنيك ان تسمعها . وما ارى معدتك نفسها قادرة على هضمها
وتحمل مثل هذا الغضب المتدفق ، فمعدتك بحاجة الى غذاء أخف وما انت
بالرجل الشره ولعلك من اكلة الأعشاب والبقول تحب مضغ الحبوب ولعق
العسل

فقال المتسول — لقد اصببت فانا احب العسل وامضغ الحبوب فافتش على
ما لذ طعمه وطابت نكهته ، وما يساعد بمضغه على امرار الزمان شأن الكسالى
وليس امهر في الاجترار من الأبقار فهي التي اخترعته كما اخترعت التمرد تحت
شعاع الشمس فتخلصت من كل تفكير جدي عميق مضخم للقلب

فقال زارا — اذاً عليك ان تشاهد نسري وأفعواني فليس لهما على الارض
نظير . تلك هي الطريق المؤدية الى مغارتي فانزل فيها ضيفاً علي هذا المساء
لتتحدث مع النسر والأفعوان عن سعادة الحيوانات ، وهناك تنتظرنى الى ان
اعود لأن صوتاً استنجدني من بعيد وانا ذاهب الى مصدره . ولسوف تجد في
المغارة عسلاً جديداً أخذ من القفران الذهبية وهو بارد كالثلج فلك ان
تأكله

استأذن ابقارك الانصراف ايها الرجل الغريب فانها خير من أخلص لك
واصدق من علمك الحكمة

فقال المتسول — ما هي أخلص واصلق منك يا زارا فأنت بطيبة قلبك
خير من الأبقار

فقال زارا — سحقاً ، ايها المداهن ! لماذا تقصد افسادي بمعسول القول
والثناء ؟

اذهب بعيداً عني ،
ورفع زارا عصاه غاضباً فاسرع المتسول بالهرب

الظل

وما توارى المتسول وشعر زارا بانفراده ، حتى سمع صوتاً آخر يهتف به من
ورائه قائلاً له — توقف وانتظرنى ، انا ظلك ، يا زارا
ولكن زارا لم يصح سماعاً وقد ازعجه ان تكون جباله آهلةً بمثل هذا العدد
من الناس ، وتسأل عما آلت اليه عزلته فقال ان مملكتي ليست من هذا العالم
فلأذهبن مفتشاً على جبال جديدة
ها ان ظلي يدعوني ، ولكن ما يهمنى هذا الخيال وعليه هو ان يتبعنى ، اما
انا فاهرب منه

ومشى زارا فاذا به يرى المتسول يركض امامه وظله يجدد في السير من
ورائه ، غير ان زارا ادرك ان الجنون كاد يستولي عليه فوقف فجأة ينفذ عن
نفسه ما علق بها من كيد واحتقار ، وهو يقول : افما يتعرض امثالي القديسون
الشيوخ الى اغرب الحادثات ؟
والحق ان جنوني قد تزايد في هذه الجبال وما أندا اسمع قرعة ستة اقدام
حكمها الجنون

لا حق لزارا ان يخاف من خيال فيسطو عليه الوهم حتى يرى رجلي خياله
اطول من رجله

ووقف بغتة والتفت الى ما ورائه فاذا بظله يصطدم به فيكاد يسقط الى
الارض ، وتفرس في هذا الخيال فساد الرعب كأنه يرى شبحاً من وراء القبور
لما رأى من هزاه وهرمه ، وصرخ قائلاً :

— من انت ، ولماذا تدعى انك ظلي . ومنظرك لا يروقي
فأجاب الظل — اعذرني اذا اصررت على ما ادعى واذا كان جالي لا يروق
لك ، فأني اهنئك على حسن ذوقك . ما انا الا جوابة آفاق اقتني خطواتك منذ

زمن بعيد فاذهب على طريق لا تنتهي عند حد ولا مسكن لي فكا نبي اليهودي
التائه الى الأبد بالرغم من انني لست يهودياً ولا خالداً
لماذا قضي عليّ ان ابقى دائماً على سفر دون قرار فتحملني عواصف جميع
الرياح ، حتى تعبتُ من ذرع هذه الكرة الأرضية التي لا اول لها ولا آخر
ليس من سطح لم انطرح عليه كالغبار المتهاوي بعد ثورته على المرايا وزجاج
النوافذ ، وكل شيء المسه يختلس مني ولا آخذ منه شيئاً فهانذا ناهلٌ واكاد
اكون هباء

انت يا زارا متبوعي الذي سرتُ وراءه ولم يرني . خفيتُ عنك ولسكني
كنت اصدق ظلّ لك فما حططت رحالك مرة الا وحططتُ قربك رحالي ، ثم
هبت معك أجول في ابعاد العوالم واشدها صقيعاً كالأشباح يلذُّ لها ان
تنطرح على السطوح المثقلة بالثلوج

ذهبت في إثرك متشوقاً الى كل محذور بعيد والى كل شرّ ، فاذا كنتُ
اكتسبت من الفضائل شيئاً فما اكتسبت الا اقتحامي كلّ ممنوع . وفي إثرك
حطمت كل ما كان يعبد القلب وقلبت كل معالم الحدود ومحوت كل الصور
وانا اتهافت على اشد الشهوات خطراً . والحق انني ارتكبت هذه الجرائم كلها .
وفي إثرك ايضاً فقدت ثقتي في معاني الكلمات وفي الشرائع المقدسة وفي الاسماء
العظمى ، افما يبدّل الشيطان اسمه كلما استبدل جلده ، وهل الاسماء الا جلودٌ ،
بل لعلّ الشيطان نفسه جلدٌ ليس الا

وكنت أحث نفسي على السير فاقول « لا حقيقة في الوجود وكل شيء جائز »
فاندفعت أشق برأسي وقلبي اشد المياها صقيعاً . ولكم خرجت بعدها طارياً وقد
لوّح الصقيع جلدي بناره

ويلاه ! ماذا فعلت بالعطف وبالحياء وبالايمان بالصالحين وأين توارى الطهر
الكاذب الذي كنت اتشح به من قبل ، طهرُ الصالحين في اكاذيبهم الشريفة ؟
لكم اتبعت الحقيقة وانا اترسم خطاك فرجعت الحقيقة اليّ لتصفعني على
وجهي وما لمست الحقيقة حين لمستها الا عندما كان يلوح لي انني اقول الكذب
لقد انجلت امورٌ كثيرة أمامي لذلك لم يعد لي شيء وكل ما احبته قد
مات فكيف يسعني ان احب نفسي بعد !

ان ما اريده هو ان اعيش كما اشتهى والاّ فخيرٌ لي الاّ اعيش ، وتلك هي

ايضاً إرادة أقدم الناس ولكن انى لي أن أجد لذة بعد ، وقد اضمحلت
مقاصدي واهداني وليس امامي من ميناء ينطلق اليه شرابي
ما تهمني الريح المناسبة ؟ وهل لمن لا يعرف وجهته أن يراقب مهب
الرياح

لم يبق لي غير قلب متعب وقح وإرادة لا قرار لها وجناح مريض وظهر
تفككت فقراته

لقد فتشت على مسكني فاشتقتي محاولتي ، وانت تعلم يا زارا ، اي شوق اكابده
من اجله !

أين هو هذا المقر ؟ لقد طلبته فما وجدته فهو ابداً في كل مكان وابدأ لا مكان
له بل هو العبت الأبدى

هكذا تكلم الظل فارتسم الأسى على وجه زارا فقال :

أنت هو ظلي . وما الذي تفتححه من هيئات المخاطر ، ايها الروح المطلق
المتجول ، لقد كان يومك ثقيلاً عليك فاحذر ان يكون مساؤك أشد إرهاقاً

ان التائبين امثالك يعثرون على سعادتهم اخيراً ولو في سجن من السجون ،
افما رأيت كيف يرقص السجناء على جرائمهم وقد بلغوا الأمان

احذر ان يتسلط عليك ايمانٌ جديد يضيق عليك المجال باوهامه القاسية
لانك منذ الآن معرضٌ لاستهواء كل ضيق شديد

لقد غاب هدفك عنك ، فكيف تقدر على الذهاب في حزنك او بلوغ السلوان
وقد ضللت طريقك ، فيالك من خيال تائه وفكر شريد ، فاذا ما اردت الراحة
في ملجأ هذا المساء ، أيها الفيراش المنهوك ، فاصعد الى مغارتي

ذلك هو الطريق المرتفع المؤدي اليها ، وما أنذا أبتعد عنك لانني اشعر
بشيء كالظل يثقل علي

سأذهب راكضاً وحدي لأتبين النور ما حولي ، فالى مغارتي هذا المساء
لأننا سنُحيي ليلة راقصة هناك

هكذا تكلم زارا

في الظهيرة

وذهب زارا راكضاً في سبيله فلم يصادف عليه احداً، فلذَّ له الانفراد بنفسه
واستغرق مفكر ساعات طويلة بما يسره واذ تبكّدت الشمسُ السماءَ مرسلّة أشعتها
عمودياً على رأس زارا رأى أمامه شجرة هرمة تعقّدت أغصانها وقد التفت
عليها جفنة كرمٍ طوّقتها من كل ناحية حتى اختفى جزعها وتدلّت من أعاليها
العناقيد صفراء ناضجة فهاب الظمأ به ليمدّ يده ويقتطف عنقوداً يطفي إواره
ولكنه أحس بحافز آخر يدعوّه الى التمدد تحت ظل الدالية طلباً للراحة والنوم،
فانطرح على العشب وما عثم حتى نسي ظمأه فاستسلم للوسن ولكن عينيه
بقيتا مفتوحتين تحدقان بجفنة الكرم والشجرة وقد شاقه عشقهما، فقال في
نفسه :

سكوتاً . . . لعلّ العالم قد أكمل الآن فاني اشعر بما لا عهد لي به

من قبل

أحس بالوسن يهبُ عليّ كنسمات تخطر على موجات البحر اللامعة، فهو لا
يغمض أجفاني بل يترك لروحي انتباهتها ولكنه يتوغل فيها فكأنها تتمدد
وتتسع مجالاتها وقد اضناها التعب فهل حان مساء يومها السابع في وسط النهار ؟
ان روحي الغريبة تنطرح ممددة بطولها فكأنها بعد ان ذقت أذ الأشياء لا
يحاولها الأسى بعد فهي تبدي امتعاضها

وها هي تلتصق بالتراب كقارب دخل فرضته متعباً من أسفاره على البحار
المجهولة، أفليست اليابسة أصدق من غادات البحار ؟

انها تستغني عن جبلٍ يشدها الى مرساها فخيط عنكبوتية يكفيها ليصلقها
بترابها

ها أنذا كالقارب في فرضته أرتاح على التراب الأمين مشدوداً اليه بأوهي

الخيوط

يا لسعادي ! على م لا ترفعين صوتك بالإنشاد يا نفسي وأنت منطرحة على
العشب في الساعة التي لا يعزف فيها راعٍ على شبّابته

لا . . . لا تنشدي ! ان حرّ الظهيرة يرتاح على المروج فاحفظي الصمت يا نفسي
لأن العالم قد أكمل

لا... لا تنشدي ! ان عصافير المروج نفسها صامتة لا تزقزق ، انظري !
هذه الظهيرة الهرمة راقدة تحرك شفيتها . أتراها ترتشف قطرة من السعادة ؟
قطرة معتقة من الحجر الذهبي تحمل السعادة الى هذه الظهيرة فتبتسم ! سكوتاً .
إنها لا بتسامة الآلهة

كنت اعتقد من قبل وانا احسبني حكيماً ان السعادة تنشأ من أقل
الاسباب ولكن الزمان علمني انني كنت مجدفاً وان مجانين الحكماء لا يرتكبون
مثل هذا الخطأ

لقد عرفت الآن ان على الأقل من القليل يتوقف خير الشعور بالسعادة لانها
تقوم على ألطف الاشياء واعمقها صمتاً . على حركة حרבاء بين الاعشاب ، على لفحة
نسيم ، على لحظة سكوت ، على طرفة عين
ماذا جرى لي ؟ تنصّتي يا نفسي : هل توارى الزمان ؟ أتراني اهوي ساقطاً
في غور الأبد

أحس بطعنة في صميم قلبي : فأنحطم ايها القلب ، خير لك ان تقف عن
نبضاتك بعد ان شعرت بهذه السعادة وبعد ان نزلت الطعنة النجلاء عليك
يا للعجب الم يكتمل العالم الآن افما اتم استدارته ونضوجه ؟ الى اين تطير
هذه الكرة المذهبة ؟ وهل انا ذاهب وراءها ؟
سكوتاً

وعندها احس زارا بانه نائم فتشاءب وشدت به عضلاته ، فقال في نفسه :
— انهض ايها الكسلان النوام ! أف لكما ايها الساقان الهرمان لقد
دهمنا الوقت وامامكما شقة طويلة بعد
لقد نمت مدة تبلغ نصف الابد يا هذا فانهض ، انهض ايها القلب الشيخ
فلقد تحتاج الى زمن طويل لتعود الى انتباهك بعد هذه الرقدة
وتسلط النعاس على زارا ثانياً فانطرحت روحه بالرغم منه تطلب الراحة
قائلة : اسكت ودعني افما اكمل العالم يا لجمال هذه الكرة المذهبة
وصاح زارا بروحه — انهضي ايها الكسولة ، ايها المختلسة ، مالك تتنآءيين
وتزفرين وتتهاوين الى الاغوار
من أنت ايها الروح ؟
وانتفض زارا مذعوراً اذ وقعت اشعة من الشمس على وجهه

وصاح - أيتها السماء المنبسطة فوقى ، انك تنظرين الى وتصغين الى
روحي الغريبة
اي متى تتشرّين قطرة الندى التي تساقطت على كل شيء في هذا الوجود ؟
أي متى تتشرّين هذه الروح الغريبة ؟
أيتها الأغوار الأبدية ، ايها القاع المليء جزلاً ، أيتها الظهيرة التي يرتعش لها
كل شيء ، أما آن لك ان تتشرّبي روجي فتندغم فيك ؟
هكذا تكلم زارا ونهض من مرقدته تحت الشجرة كأنه يفيق من سكرة فاذا
بالشمس لا تزال في كبد السماء فعرف انه لم ينم الا زمناً قصيراً

السلام

وكان العصر قد خطا خطوة كبرى نحو المساء عندما بلغ زارا مغارته بعد طول
المسير وبعد ان ذهب جهده في التفتيش على المستنجد عبثاً
ولكنه ما أصبح على قاب عشرين قدماً من مسكنه حتى وقف مذعوراً اذ
سمع صوت الاستنجد يدوي في اذنيه وازدادت دهشته اذ تأكد ان الصوت
خارج من مغارته نفسها . غير ان الهاتف كان يصل اليه كأنه هتافات عديدة
يدفعها فم واحد

واسرع زارا فوجد مغارته فاذا هو مائل امام جميع من التقاهم في طريقه: ملك
الميمنة وملك الميسرة والساحر الشيخ ورئيس الاحبار والمتسول والظل وضمير
العقل والعرفان الحزين والحمار
وكان اقبح العالمين واضعاً تاجاً على رأسه وملتفئاً بدثارين من القرمز ، لان
هذا الرجل كان يحب ان يتنكر ويتجمل ككل قبيح
وكان نسر زارا منتصباً بين هذا الجمع وقد انتفش ريشه ولاح الاضطراب
عليه لاضطراره الى ابداء الجواب على مسائل تنال من غروره وكان الأفعوان
ملتفياً حول عنقه

ودهش زارا مما رأى وذهب نظره يتفرّس في كل وجه من وجوه ضيوفه
ويطالع صفحات نفوسهم ، وكان هؤلاء الضيوف وقفوا عن مقاعدهم وكل منهم
ينتظر بنخسوع خطاب زارا

وبعد صمت قصير قال زارا :

— ما كان صوت الاستنجاد إلا صوتكم اذاً . . . فانا اعلم الآن اين يجب ان أفتش على الانسان الراقي

إنه جالس في مغارتي هذا الانسان ، وما أعجب لهذا لانني انا دعوته واهبت به للحضور وقد وعدته بالعسل والسعادة . ويلوح لي انكم لا تتصلون الى الاتفاق فيما بينكم فكل منكم يسبب الكدر لرفاقه وانتم مجتمعون هنا في حين انكم تستنجدون بصوت واحد فانتم بحاجة الى من يعيد ضحككم اليكم ، الى رجل مرح رقاص استولى عليه الجنون

اغثفروا لي هذه اللهجة التي لا تليق بضيوف مثلكم يستسمعون لليأس ولكنكم لا تعلمون ما يشدد العزم في قلبي ، ان مشهد اليأسين يدفع بكل انسان الى محاولة مواساتهم وتعزيتهم وهذا ما اشعر به الآن وانا مدين لكم بهذا الشعور . لذلك اقدم لكم ما املك . فانزلوا على الرحب في مغارتي هذا المساء وليقم نسري وافعواني بخدمتكم

ولكن عليكم ان تردوا عنكم كل يأس فانتم في منزلي حيث يسود الاطمئنان والسلام

فانا إذا أقدم لكم الأمان أولاً ثم اقدم لكم خنصر يدي لانكم اذا ما قبضتم عليه تقبضون على ساعدي ، فانا لا اتردد في تقديم قلبي لكم ، فأهلاً وسهلاً بكم

هكذا تكلم زارا وهو يضحك ضحكة الحب والشر ، فانحنى الضيوف يردون السلام باجلال واحترام وتكلم ملك الميمنة باسم الجميع قائلاً :

— لقد عرفنا انك انت زارا من طريقة تقديم يدك واهداء سلامك لقد تواضعت امامنا حتى كدت تُخجل حرمتنا لك ، وما سواك من يعرف التواضع فيقف منه عند حد العزة ، فقد اتيتنا بقدوة تصلح من أخلاقنا فتسد نظراً وتشدد قلبنا

اننا لن نتردد في تسلق جبال أعلى من هذا الجبل اذ كان من اعتلائنا ما يبسط امامنا مشاهد تقشع الغشاء عن العيون وتجعل بصرها حديداً
لقد انقطعنا الآن عن الصراخ في طلب النجدة لأن قلوبنا قد تفتحت وامتلأت حبوراً ونكاد نستعيد قوانا وشجاعتنا

أي زارا ، ليس في الارض شيء أدعى الى السرور كالارادة القوية السامية
فهي أشرف ما يُنبِت التراب ، فاذا ما نمت دوحة واحدة من هذا النبات سرت
القوة في كل ما حولها من حدائق ومروج

ان من يعلو مثلك يا زارا لشبيهه بشجرة الصنوبر ترتفع صامته فريدة صلبة
العود وتمد فروعها القوية الخضراء كأنها تريد اللحاق بما تنشر من سيادة وكأنها
تستنطق الرياح والعواصف وكل ما يبدو على الذرى العاليات ، واذا ما أرسلت
جواباً أرسلته بنبرة عالية ظافرة أمرة

من يتردد في تسلق الذروة لي شاهد مثل هذه الدوحة ؟ ان كل من يسوده
الأسى القائم يطرح عنه الاستسلام اليه اذا هو نظر الى دوحتك يا زارا ، وفي
النظر اليك طمأنينة من لا قرار له وشفاء القلوب الحائرة

والحق ان عيوناً كثيرة تتجه اليوم نحو جبلك ودوحتك وقد تنبّهت
الاشواق اليك وقد تسأل الكثيرون عن حقيقة زارا . وجميع من وصلت
معسولات اناشيدك الى اذانهم ، جميع المنفردين افراداً وازواجاً يقولون — اترى
لم يزل زارا في الحياة ؟ اذا نحن لم نعش معه كانت الحياة باطلة لا خير فيها . لماذا
لا يجيء الينا بعد ان اعلن قدومه طويلاً . اذهب فريسة عزلته ، أم علينا ان
نسعى نحن اليه

ان العزلة نفسها قد تراخت وتفككت في هذا الزمان فكانها قبر ينشق
عمن ثوى فيه ، ففي كل بقعة بعث ونشور

وها ان الأمواج تتعالى حول الجبل وبالرغم من ارتفاع ذروتك لقد حق على
الكثيرين ان يرقوا اليك وقد حان الزمن لاطلاق سفينتك من مأواها

اذا كنت ترانا الآن امامك نحن من حكمنا اليأس فتغلّبنا عليه الآف فما
ذلك الا دليل على ان من هم خير منا قد خرجوا الى طريقهم متجهين اليك ، ان
البقية الاخيرة من اتباع الله بين الناس يسرون اليك ايضاً وهم من تناهى فيهم
الشوق والكره والتخمة من الدنيا ، هم من لا يريدون الحياة الا اذا اعطي لهم
أن يتدربوا على الأمل ، الا اذا تعلّموا منك الأمل الأعظم يا زارا

هكذا تكلم ملك الميمنة وقد قبض على راحة زارا قاصداً تقبيلها ولكن
زارا تراجع عنه وابتعد عن الجميع في صمته العميق ثم عاد اليهم يحدّثهم بلفقاته
الخارقة لسرائرهم فقال :

— أيها الرجال الراقون، أيها الضيوف، اصغوا إليّ انني سأخاطبكم بالألمانية وبكل صراحة فأقول لكم إن من أنظرُ قدومه الى هذه الجبال ليس أنتم فقال ملك الميسرة : انه سيخاطبنا بالألمانية وبصرامة . . . أفلا يتضح أن هذا الحكيم الشرقي لا يعرف من هم الألمان . وكان الاجدر به ان يقول سأخاطبكم بالألمانية الخشنة ، وما هي بأقبح ما في هذا الزمان

فاردف زارا قائلاً : لقد تكونون جميعكم رجالاً راقين اما انا فلا اراكم بلغتم ما يستلزمه التفوق من العظمة والقوة . هكذا انتم في تقديري أو بالحرى في تقدير الارادة الصارمة الكامنة في نفسي وهي صامته الآن ولكنها لن تسكت ابداً . لقد تكونون من اتباعي ولكنكم لستم مني في مقام ساعدي الأيمن . لأن من يمشي على ارجل مريضة كأرجلكم يحتاج الى عناية ومدارة سواء أعرف نفسه أم خفيت حاله عليه ، وانا لا اداري ساعدي ولا رجلي ولا اداري المجاهدين تحت أمرتي . فكيف تقتحمون ما أصلي من معارك

اذا انا اعتمدت عليكم عرضت للفشل انتصاري لأن اكثركم ينطرح صريعاً لأول قرعة تهدر بها طبولي

ما انتم من البهاء على ما ارجو ولا من النسب على ما أطلب وانا اطلب المرايا الصافية لا عكس عليها تعاليمي ، فاذا ما انعكست صورتي على مراياكم جلستها مشوّهة للناظرين

ان كواهلكم منقطةٌ بعديد الاحمال وبخيالات الزمان المنصرم وفي خباياكم شرورٌ كثيرةٌ ففيكم من الغوغاء خصالٌ مستترة فانتم وإن صلحتم وحسن أصلكم لا تزال فيكم عيوبٌ عديدةٌ وأمر حداد لا يسعه تقويم اعوجاجكم

ما انتم الا جسور يعبر عليها من هم خير منكم ، ما انتم الا مدارج يرقاها المتجه الى الاعتلاء فوق ذاته ، وعليكم ان تلينوا له ظهوركم ، لقد يولد منكم يوماً من يصبح وارثاً لي ولكن هذا اليوم لا يزال بعيداً في مجال الزمان أما أنتم فما لكم ان تحملوا اسمي ولا ان ترثوا خيراتي في هذه الحياة

لستم أنتم من أنتظرونا في هذه الجبال ، لستم انتم من سأستصحب عندما أهبط بين الناس للمرة الأخيرة ، فما أنتم الا طليعة القادمين اليّ وهم اعظم منكم لأنهم من غير من تناهى فيهم الشوق والكره والتخمة من الدنيا ومن غير الفيئة التي تدعونها البقية الأخيرة من اتباع الله على الارض

لا . . . والف لا . . . انني انتظر سواكم هنا على جبالي العالية ولن اتحرك
للخروج الى العالم قبل ان يصلوا الي . فهم ارفع منكم واقوى ، هم رجال المرح
الاصحاء من رأسهم الى اخمص اقدامهم ، ولا بد ان يأتي الي هؤلاء الاسود
الضاحكون

افما بلغكم ايها الضيوف خبر ابنائي وهم قد خرجوا على طريقهم يقصدون
مقرّي ؟

حدثوني عن حداثتي وجزري السعيدة ، حدثوني عن نوعي الجديد . لماذا
لا تحدثوني عن كل هذا ؟

استحلفكم بحق ضيافتي لكم ان تذكروا لي ابنائي ، فما جمعت الثروة الا لهم
وما تحمّلت للفقر الا من أجلهم فامتنعت عن العطاء
انني أفدي بكل شيء هؤلاء الابناء وهم النبت الحي ، أدواح الحياة المجسّمة
لأعز آمالي

وتوقف زارا فجأة عن الكلام لتغلب شوقه عليه فأغمض عينيه وأطبق فيه
متنصتاً لخفقان قوّاده
وساد الصمت جميع من في الغار غير ان العرّاف الشيخ أخذ يرسم بيديه
إشارات غريبة

العشاء السري

وتقدم العرّاف كمن عيل صبره وقبض على يد زارا قائلاً : — ولكن . . .
أفما انت القائل إن بعض الامور مقدم على بعض . افما دعوتني الى تناول
الطعام وهنا من قطعوا شوطاً بعيداً للوصول اليك ، فهل ترى ان تشبعنا
كلاماً ؟

لقد تحدثتم كثيراً عن الموت برداً وغرقاً واختناقاً ولكن لم يذكر احد منكم
بليّتي انا وهي الخوف من الموت جوعاً
وما سمع النسر والأفعوان هذا الكلام حتى سادها الرعب فهربا اذ تأكدا
ان كل ما جمعا منذ الصباح حتى المساء لن يكفي لاشباع العرّاف وحده
واردف العرّاف قائلاً ولم يذكر احد منكم الخوف من الموت عطشاً ، اما انا

فبالرغم من انني سمعت تدفق الفصاحة كالنهر فاني لا ارتوي منها بل اطلب خمرًا ،
لان الخمر وحده يرتجل الصحة ارتجالاً ويقضي على المرض بالشفاء العاجل
وبينما كان العرّاف ذاهباً في كلامه يطلب خمرًا كان ملك الميسرة يقول: لقد
تداركت الخمر فاحضرنّا منه حملاً ولكن الخبز ينقصنا

فضحك زارا وقال — ان المنفردين لا خبز لديهم ، ولكن ليس بالخبز وحده
يحيا الانسان بل بلحم الخراف ايضاً ولديّ خروفان ، فليُذبحا وليعدّا ليُعطرا
فاني احب لحم الخروف معطراً ولديّ ايضاً اعشاب واثمار تكفي اهل
الشراهة واهل الذوق وعندي من الجوز وسائر المُغَلّقات ما يشغلنا كسره
وكشف خفاياه

سنجلس عما قليل لتتناول خير غذاء ولكن على الجميع ان يمدوا سواعدهم
للعمل وليشتغل الملكان كالآخرين . لان زارا وهو ملك يمكنه ان يكون
طباخاً ايضاً

وفرّح الجميع بهذا الاقتراح ما عدا المتسوّل المتطوع الذي كان يأنف من
الاحوم والخبز والتوابل ، فقال : اسمعوا ما يقول زارا في شراسته ! فهل يتسلق
الانسان الجبال ليتنعم بوليمة ؟ واني لافهم الآن ما كان يقصد بتعليمه اذ قال
« ليكن الفقر مباركا ، وادرك لماذا يريد إفناء المتسوّلين »

فقال زارا — كن مرحاً مثلي يا هذا واحتفظ بما تعودته امضغ جبوبك
واشرب ماءك وامتدح طبخك اذا كان هذا يورثك الجبور . فانا امثلّ
الشريعة الا لا تباع لي ولي لست شريعة للناس اجمعين . ولكن من اراد ان
يتبعني فعليه ان تقسو عظامه وتخف رجلاه ، عليه ان يكون فرحاً في الولايم
فيطرح عنه الهموم ويبقى مستعداً لاقتحام الصعاب قوياً صحيحاً

ان خير ما في الارض لي ولا تباعي واذا منع عنا أخذناه عنوة واقتداراً ،
لنا الذّ غداء وانقى سماء وأقوى الافكار وأجمل النساء

هكذا تكلم زارا ، ولكن الميمنة أجابه قائلاً :

أليس من الغريب ان يقول حكيمٌ بمثل هذا القول الصواب ! والحق لمن
الغراية بمكان ان يجمع الحكيم بين الأمرين ولا يكون حماراً
هذا ما قاله ملك الميمنة وهو يبدي دهشته فأمن الحمار على قوله بالنهيق

وهكذا بدأت هذه الوليمة الطويلة التي دعيت بالعشاء السري في كتب التاريخ وما دار حديثه أثناء هذا العشاء إلا على الانسان الراقي

الانسان الراقي

— ١ —

عندما جئت الى الناس لأول مرة اتيت الجنون الأعظم الذي يرتكبه المنعزلون ، فوققت على الساحة العمومية ، ووجهت الخطاب الى الكل فكأنني ماكلت احداً ، غير انني امسيت ورفاقي حبالاً وجثثاً امواتٍ بل كنت انا نفسي جثة باردة

ولكن عندما انبثق الصبح الجديد تباجت لعيني حقيقة جديدة علمتني أن أقول « مالي وللساحة العمومية ولعامة الناس ولضجتهم وأذانهم الطويلة »

ايها الرجال الراقون ، تعلموا مني قولي « لا يؤمن احدٌ في الساحة العمومية بالانسان الراقي ، واذا شئتم ان تتكلموا على هذه الساحة كما تشتهون فان العامة تتغاضن قائلة « إننا جميعنا متساوون »

ايها الرجال الراقون ، إن طبقة الشعب تنكر الانسان الراقي فهي ترى الناس على اختلاف طبقاتهم انساناً واحداً امام الله اما المساواة امام الله فما لنا ولها ما دام هذا الإله قد مات ! ولكن العامة كائنة ونحن نأبى المساواة امامها ، فاعرضوا عن العامة ، ايها الرجال الراقون وابتعدوا عن ساحاتها

— ٢ —

أمام الله . . . ولكن الله قد مات في هذا الزمان ، ايها الرجال الراقون وقد كان عليكم الخطر الأعظم ، ولولا اندراجه في لحده لما كنتم انتم تبعثون في هذا الزمان تعود-الظهيرة الى ذرّ انوارها ويصبح الانسان المتفوق سيداً

— ٢٤٠ —

افهمتم معنى كلمتي هذه ؟ يا اخوتي . اراكم ترتعشون فهل أصيب قلبكم بالدوار ؟ وهل فغرت الهاوية فاها أمامكم ايضاً . أيعوي كلب الجحيم في إثركم يا ترى ؟

الى الأمام ، أيها الراقون ، لقد آن لطود المستقبل الانساني ان يلد
لقد مات الله ، ونحن نريد الآن ان يحيا الانسان المتفوق

— ٣ —

إن أوفر الناس اهتماماً في هذا الزمان يتساءلون عما يحفظ حياة الانسان ،
اما زارا فهمه ان يعرف كيف يتفوق الانسان على إنسانيته
ان الانسان المتفوق قبلة انظاري وعواطي ، وما اهتم للانسان ولا للقريب
ولا للفقير ولا للمحزون ولا لخيار الناس
أي اخوتي ، انا لا أحب من الانسان الا كونه مرحلةً وجنوحاً . وفيكم ايضاً
اجد صفات عديدة تجببكم اليّ وتبعث الآمال في قلبي
لقد عرفتم الاحتقار ايها الراقون ، وذلك ما يشدد بكم أُملي لأن عظماء
المحتقرين هم ايضاً عظماء الحرمة والجلال
لقد بلوتم اليأس وذلك ما أكرمهم فيكم لانكم لم تتمرنوا على الاستسلام وعلى
دناءة الاحتياط

ان زعانف القوم هم سادة هذا الزمان الداعون الى التجلّد والصبر والتواضع
والتحذّر والثبات والى ما هنالك من حقيرات الفضائل
انهم لأشباه الرجال يتصفون بصفات النساء والمستخدمين ويقودون الغوغاء
طامحين الى التسلط على مقدرات الدنيا ، فيا للكرهة ! . . . وأف لهؤلاء القوم
أشباه الرجال ، فانهم لا ينون يتساءلون عما يطيل حياة الانسان متلذذاً متنماً .
وبهذا يسودون في هذا الزمان

اعتلوا فوق هؤلاء الناس يا اخوتي فانهم ألد أعداء الانسان المتفوق
اعتلوا ايها الراقون فوق صغائر الفضائل والمحاذرات ومراعاة ذرات الرمال
واكوام النمل وملذات الذات وطلب السعادة للعدد الاوفر بين الناس
وخير لكم ان تتمنعوا بيأسكم من ان تستسلموا ، انني احبكم لانكم لا
تعرفون ان تحيوا في هذا الزمان ، ايها الراقون ، وبذلك تتمتعون بافضل ما
في الحياة

أشجعاناً انتم، ايها الاخوة؟ ولا اعني تلك الشجاعة التي لا تنجلي في الانسان الاً امام شهود، بل شجاعة المنفرد الذي لا يراه احد: شجاعة النسور التي لم يعد لها من إله شهيد !

ان الارواح الجامدة والبغال والعميان والسكران لا تعرف ما هي قوة القلب وما تبت الجنان الاً من عرف الخوف فتغلب عليه ومن سبر أعماق الهاوية فما نالت الاعماق جنانه بروعة واضطراب الشجاع من حدق في القاع السحيق بمقلة النسر ومن قبض على الاغوار بمخلبه، ذلك هو الشجاع

لقد قال الحكماء ان الانسان شرير طلباً لتعزيتي، وبليت هذه الحقيقة تنطبق على أحوال هذا الزمان، فان الشر قد اصبحت خيراً ما في الانسان من قوة، فعلى المرء ان يزداد ارتقاء في خيره وفي شره ايضاً، هذا هو تعليمي انا... فان اعظم شرراً انما هو اعظم خير للانسان المتفوق

إن الدعوة الى احتمال العذاب وحمل خطايا العالم كانت تليق ببشير الطبقة الحقيرة بين البشر، اما انا فاني اسر بالخطيئة العظمى كأعظم تعزية على ان مثل هذه الاقوال لا تبذل لمن استطالت آذانهم وما تليق كل الكلمات بجميع الافواه، فان من الحقائق ما تدق عن الافهام العادية فتتوارى وراء الابعاد. وليس لارجل الخرفان ان تتراكم للحاق بها

أيها الراقون، اتعتقدون أنني أتيت لأصلح ما شوهتم باخطائكم؟ او لأهتم بتهيئة المراقدين الوثيرة للمتأملين منكم او لأدل التائهين في الجبل على المغاور ليخرجوا من ما ذقهم؟

لا... فليذهب الى الفناء الخيار في نوعكم، اذ يقتضي ان يتزايد ضيقكم مع مرور الايام— لأن بهذا الضيق وحده يتعالى الانسان الى الذرى حتى يبلغ مراعي الصاعقة المحرقة القاتلة

انا لا اتوجه بتفكيري واشواقي الا نحو العديد القليل ونحو الحادثات الدائمة
البعيدة في مجال الازمان وما يهمني شقاؤكم وآلامكم الحاضرة الزائلة
انكم لا تزالون مقصرين في مجال الشقا وما بلغت آلامكم ما عليها أن تصل
اليه ، لانكم من اجل ذاتكم تتألمون لا من أجل الانسان : وان ادعيتم بتحملكم
هذا العذاب فانتم كاذبون . فليس بينكم واحد تحمّل ما تحمّلت من اوصاب
وآلام

— ٧ —

انني لن ارضى بتوقف الصاعقة عن انزال الاذى ولا أريد أن تتحوّل عن
مسلكها حين تنقض ، بل أريد أن تسدد مرماها وتخدم مقاصدي
لقد تجمّعت حكمتي طويلاً وتكاثفت غمامة يتزايد اربدادها وسكونها
ذلك شأن الحكمة التي قدّر لها أن تقذف بالصاعقة يوماً من الايام
أنا لا اريد ان اكون نوراً لا بناء هذا الزمان ولا ان ادعى نوراً ما بينهم ،
لاني اريد ايراثهم العنى ، فلتنزل على اعينهم صاعقة حكمتي

— ٨ —

لا تطلبوا شيئاً يفوت قواكم ادراكه ، فمن طلب ما لا طاقة له به فقد كذب
نفسه . لانه اذ يطلب العظام وهو مزور ومقلد تنفر منه العظام حتى يرى ذاته
زائغ البصر جماداً مطلياً في فمه كلمات كبرى وبين يديه قرعة لا جدوى لها
كونوا على حذر من طلاب العظام ايها الرجال الراقون فالقناعة خير الكنوز
أفليست العامة من يسود هذا الزمان ؟ وهي مع ذلك لا تميز بين العظيم
والحقير والطريق السوي والمسلك الملتوي ، فالعامة متقلبة كاذبة دون ان تشعر
بجرمة كذبها

— ٩ —

تمنعوا بالحزم ايها الراقون ، يا رجال الشجاعة وحرية الضمير فهذا الزمان
زمان العامة ، وما تعلّمته العامة وقبلت به دون تعليل لا يسعكم هدمه بالبرهان
في عقيدتهم
إنّ الاقناع لا يقوم في الساحة العامة على المعقول بل على الحركات والنبرات
ولا شيء يلقي بالنفور في روع العامة كالبرهان

واذا انتصرت الحقيقة مرة هنالك فتساءلوا بكل ارتياب عن الضلال الذي
دافع عنها فأولاهما انتصارها

احذروا العلماء ايضاً فانهم يكرهونكم لعله عقمهم ، وعيون العلماء باردة
جافة لا تلقي نظرها على طير حتى تعريه عن ريشه ، انهم يباهون بامتناعهم عن
الكذب ، فاحذروا من هذه المباهاة لان المجال بعيد بين مَنْ عجز عن الاتيان
بالكذب وَمَنْ أحب الحقيقة

إن فقد الحرارة شيء ورزاة الحكمة شيء آخر ، ولا ثقة لي بالعقول الباردة
فمن لا يعرف أن يكذب لا يعرف ماهية الحقيقة ولا كيفيتها

— ١٠ —

اذا اردتم بلوغ الذرى فتسلقوها بارجلكم ، ولا تطلبوا ان تُحملوا اليها
حلاً على ظهور الغير ورؤوسهم

قل لمن يمتطي جواداً ويسير خبيثاً نحو هدفه ، لا تنس ان رجلك العرجاء
راكبة معك ولسوف تترجل في آخر الشوط فتهوي على ذروتك الى الحضيض

— ١١ —

ايها الرجال الراقون ، انتم المبدعون ولا تحمل المرأة في احشائها الا ابنها
لا تركبوا شططاً . اعلموا من هو القريب ولا تظنوا ان بامكانكم ان تفعلوا
من اجله شيئاً كما لا يمكنكم ان تبدعوا بالنيابة عنه

اعرضوا عن كلمة « من اجل » وتناسوها ، ايها المبدعون ، لان فضيلتكم
تتوقف على ألا تفعلوا شيئاً من اجل احد وبسبب احد او لآية علة . اصموا
آذانكم دون هذه الادوات الكاذبة

ان العمل من اجل القريب فضيلة صغار القوم وقد جرى بينهم القول بالتبادل
وبان احدي اليدين تغسل الاخرى . ومثل هؤلاء لا حق لهم بانانيتكم ولا قوة
لهم على الاتصاف بها

ان في انانيتكم ، ايها المبدعون ، حزم الجبلى ومحاذرتها ، لان محبتكم تحيط
بالثمرة التي لم ترها عين بعد ، فتحفظها وتمدها بالغذاء . فاذا ما كان حبكم كله
منصباً على ولدكم تجلّت في ذلك كل فضيلتكم ، لانه هو واجبكم وارادتكم فلا
تضللكم كاذبات الشرائع

— ٢٤٤ —

اعلموا ايها الراقون المبدعون ان كل مَنْ سيولد مريضاً، وان كل مَنْ
وَلِدَ قد تنجس
سلو النساء لتعلموا ان لا لذّة في التوليد فالدجاج تبيض صائحة والشاعر
يبدع متألماً
لقد حلّ بكم نجس الوالدات ، ايها المبدعون
كل مولود جديد يأتى برجس الى العالم ، فعلى كل مبدع ان يطهر
نفسه

اياكم وممارسة الفضائل بما لا طاقة لكم به ، ولا تكلفوا نفوسكم ما يستحيل
حكماً

اقتفوا ما ابقت فضائل ابائكم من آثار ، اذ كيف يتسنى لكم الارتقاء اذا لم
ترتق معكم ارادة آبائكم ، ولكن ليحذر الطامح الى بلوغ الطليعة ان يصبح
آخر السائرين ، احذروا ان تدخلوا اية قداسة على رزائل آبائكم ، فمن
العبث ان يطالب بالعفة من تمرغ آبؤه بالنساء وكرعوا الحمر والتهموا لحم
الخنازير

انكم لتطلبون كثيراً اذا اقتضيت العفاف من مثل هذا الرجل فحددتم له امرأة
او اثنتين او ثلاث ، اما انا فلا اصدق بارعوائه حتى ولو انشأ ديراً وكتب على
بابه « هذه طريق القداسة » انّ هذا الدير الا ملجأ ومقرّ لمحاولات الجنون ، فما
ينمو في العزلة من الانسان الا ما استصعبه اليها من حوافز . وهنالك المجال
لنمو الحيوان الكامن

من الخير ان نردع الكثيرين عن العزلة والانفراد
هل على وجه الارض في هذا الزمان من يفوق دنساً القديسين المتنسكين في
الصحراء يدور حولهم الشيطان من جهة والخنزير من جهة اخرى ؟ ...

ما رأيكم مرةً تنتحون مكاناً قصياً عن الناس وقد بدت عليكم دلائل اليأس

والخجل ، ايها الرجال الراقون ، الا وتمثلتكم كالنمرقات فريسته أو كاللأغب
خانه الزهر على صفحة زرده

ولكنكم لا تبالون فانكم ما تعلمتم إجابة اللعب والتحدّي ! وهل نحن في
الحياة الاّ جلاس مائدة كبرى للسخرية والمقامرة
الأنكم اخطأتم وفاتتكم المقاصد العظمى تريدون ان تفوتوا انفسكم ،
ولأنكم فشلتكم تريدون أن يفشل الانسان ؟

— ١٥ —

كلما تعالت المثل صعب تحقيقها ، افما أنتم ايها الرجال الراقون نماذج فاشلة
للمثل الاعلى ؟

ولكن لا تبالوا بهذا بل أقدموا واضحكوا من انفسكم اذ لا عجب في انكم
نماذج فاشلة او نصف فاشلة لان نصفكم منحطم ، ومستقبل الانسان يسير سيره
البطيء وهو يتكامل فيكم

افما يتدافع ويغلي في مراجلكم ابعد واعمق ما في الانسان افما يكمن فيكم
اعتلاؤه الى السهى وقوته العظمى ؟

وهل من عجب اذا تصدّعت مراجل عديدة من بني البشر فاضحكوا يا اهل
الرقى فما اكثر الممكنات في مستقبل الانسان

افما نجحت محاولات عديدة فيما مضى ، ولكم على الارض من امور بلغت
كاملها وان صغرت

احيطوا نفوسكم بهذه الاشياء الصغيرة المتكاملة فانها تنيل قلوبكم الشفاء
بنضوجها فلا شيء يعلمنا الامل الاّ ما بلغ الكمال

— ١٦ —

ان اعظم ما ارتكب في العالم من اخطاء هو قول القائل «ويل للضحاكين
في هذه الدنيا » فان من جاء بهذا الانذار قد قصّر في التفتيش فما وجد على
الارض شيئاً يستحق الضحك في حين ان الاطفال يجدون ما يضحكهم

لقد كان حبّ هذا النذير قصير المدى فما اتصل الينا منه شيء نحن
الضحاكين ، بل أنه ابغضنا ووجّه الينا لعنته وهو يتهددنا بالبكاء وصريف
الاسنان

— ٢٤٦ —

افليس من فساد الذوق ان يندفع الانسان الى اللعن اذا هو لم يحب ؟ هذا
ما فعله ذلك النذير لانه ابن العامة المتعصب . ولو انه عرف الحب لما كان احتدم
غضباً لانه لم يُحَبِّ ، فكلُّ حُبِّةٍ تتناهى لا تطلب حُبَّةً . . . بل تطلب اكثر
من المحبة

ابتعدوا عن جميع هؤلاء المتعصبين فهم نوعٌ من الانسانية مريضٌ فقير ،
هم من العامة التي تزوغ نظراتها من الحياة وتصيب الارض بسمِّ أعينها
ابتعدوا عمن لا يعرفون التساهل فان خطواتهم ثقيلة على التراب وقلوبهم
مثقلة في الصدور ، إنهم لا يعرفون الرقص فكيف لا يثقل عليهم التراب

— ١٧ —

إنَّ جميع الاشياء الحسنة تسير نحو اهدافها على منحرجات السبيل فترفع
ظهورها كاهررة هادرة لما تتوقع من سعادة قريبة المنال ، فالاشياء الحسنة
تضحك ابداً

لك ان تعرف من خطوات الناس اذا كانوا ظفروا بطريقهم السوي ، فانظر
الى خطواتي تدرك حالي ، واذا رأيتني راقصاً فاعلم أنني اقتربت من هدي
والحق انني ما استحلت تمثالاً ولا انقلبت عاموداً لا حياة ولا حس فيه ،
فانا أحب الجري في المجال البعيد ، لأن في الارض مستنقعات كثيرة ومعاثر لا
تجتازها الا الأ رجل الراقصة المنزلقة

ارفعوا قلوبكم الى ما فوق ، ايها الاخوة ولكن لا تنسوا ارجلكم ، اذ
عليكم ان ترفعوها ايضاً واذا اردتم اعادة الرقص فعليكم الا تأثقوا من الانقلاب
على رؤوسكم

— ١٨ —

انا المتوج نفسي ملكاً على الضاحكين باكليلِ ضَفَرَتِه من الورود يداي ،
وليس سواي من يقوى على تطويب ضحكك كما فعلت

انا زارا الرقص ، الخفيف الخطوات الضارب بجناحيه متحفزاً للانتفاض
الى الأتالي مشيراً الى جميع الطيور بنشر أجنحتها ، انا من بلغ الرشاقة
الالهية

— ٢٤٧ —

أنا زارا العرَّاف ، أنا الضاحك الصبور المتسامح المحب للوثوب وتجاوز
المحدود ، أنا المتوج نفسي بنفسي

— ١٩ —

ارفعوا قلوبكم الى العلا ، إخوتي ، ولا تنسوا ان ترفعوا ارجلكم ، ايها
الراقصون المجيدون بل انتصبوا على رؤوسكم ايضاً
ان بين طلاب السعادة حيوانات ضخمة ثقلت حركتها وبينهم من ولد كسيحاً
قتل هؤلاء يحاولون الرشاقة كالقيل يجرب أن ينتصب على قمة رأسه ، غير ان
المجانين بالسعادة خير ممن يجنون بالشقاء والراقص متاثلاً أفضل ممن يتعارج
في مشيته

تعلموا الحكمة مني ، ان لأقبح الاشياء وجهتين لهما حسنهما ، ولشر الناس
رجلين للرقص فتعلموا ايها الرجال الراقصون ان تقفوا سوياً على اقدامكم
أعرضوا عن أشجان العامة واحزانهم ، فان للمهرجين بينهم في هذا الزمان
سياء الغارقين في الاحزان . ذلك لأن هذا الزمان زمان العامة من بني
الانسان

— ٢٠ —

كونوا كالهواء المندفِع من مغاور الجبال فهو يهب راقصاً على هواه فيرتعش
البحر متراقصاً لدغدغة نسائمه
تبارك من يستنبت أجنحةً للحمير ومن يمدُّ انامله لضرع اللبوة فيحتلبها ،
إن هو الا الروح الطيبُ النَّائِرُ يهب كالعاصفة من أجل ما هو عتيد ومن أجل
ما سيكون . إن هو الا عدو الرؤوس الشائكة والرؤوس المنثمة عدو كل
الأعراس الذابلة وكل ما دب فيها الفساد

تبارك روح العاصفة روحاً وحشياً طيباً حراً طليقاً يرقص على مستنقعات
الاحزان كأنه يتمايل منها على ناضرات المروج . تبارك من روح يكره الغوءاء
المستكبين الفاقدن الصواب وكل ناقص يتعزز بالعبوس
تبارك روح العاصفة من قوة تهب الحياة لكل فكرة حرة ، تبارك
من زعزع يذري الرمال وهو ضاحك على عيون مقروحة لا ترى في الوجود
الا قتلاً

— ٢٤٨ —

ايها الرجال الراقون ، إنَّ شرَّ ما فيكم هو انكم لم تتعلَّموا الرقص على اصوله
لتتوصلوا الى الانطلاق بخطواتكم فوق رؤوسكم ، وما يضيركم الا تتوقفوا اذا
حاولتم

انَّ الممكنات كثيرةٌ ، ايها الراقون ، فتعَوَّدوا ان تضحكوا ولوعلا ضحككم
فوق رؤوسكم

ارفعوا قلوبكم ايها الراقصون المجيدون الى ما فوق ولا تنسوا ان تضحكوا
ضحكاً جميلاً

انني التي اليكم يا كليل الورود فهو تاج الضاحكين لقد طوَّبتُ الضحك ايها
الرجال الراقون فتعلَّموه . . .

نشيد الاشجان

— ١ —

وعندما لفظ زارا الكلمات الاخيرة من خطابه ، رأى نفسه أمام مخرج غاره
فترك ضيوفه وانطلق يستنشق الهواء النقي هاتفاً :

— يا للنفحات الطيِّبات ويا للسكينة السعيدة ، تعاليا اليَّ يا نسري وأفعواني
وقولا لي أراقتما رائحةً هؤلاء الرجال الراقون . إنني أشعر الآن بمقدار
حيي لكما

إنني احبكما يا نسري وأفعواني

ودار الحيوانان حول زارا وحدَّقا به طويلاً وبقي الثلاثة يستنشقان هواءً
بليلاً لا يظفرون بمثله في مجلس الرجال الراقين

— ٢ —

وما خرج زارا من الغار حتى وقف الساحر الشيخ مرسلًا نظرات التجسس
ما حوله وهو يقول — لقد أُخِلَ المكان

فيا ايها الرجال الراقون وما ادعوكم بهذا النعت الا تشبُّهاً بزارا في ثنائه
عليكم ، فانه ما كاد يخرج هو حتى عاد فاستولى عليَّ روجي الخداع الماكر الساحر
وما هو الا شيطان اشجاني . العدو الدود لزارا فلا تلوموا هذا الشيطان اذا

طمح الى إبداء ضروب سحره أمامكم وقد اجتاحت نوبة من نوباته ولطالما حاولت
مقاومتها بلا جدوى

ان روحي الشرير عدو لزارا وهو صديقكم جميعاً ، سواء أدعيتم رجال
الفكر الحر أم رجال الحق أم رجال كفارة العقل أم رجال الثورة أم رجال الشوق
الاعظم أنتم المصابين بما أصبت به من الكراهة العظمى ، أنتم المؤمنون بأن الله
قد مات دون ان يكون على احد الأسرّة إله آخر تشدّه الاقطة في طفولته
انني اعرف من أنتم يا اهل الرقي واعرف ايضاً من هو زارا الذي اتوجه
اليه بحبي مرغماً لأنني احس بأن قد يساً سينبثق منه ، ويلوح لي احياناً أنه
هيكلي يسكن فيه شيطان الاشجان فاجبه ايضاً لحلول روحي الشرير في سريره
لقد اوشك هذا الروح ان يستولي عليّ ، وها هو ذا يصرعني ، فياله من
شيطان يتقمص اشجان الغسق !

افتحوا اعينكم ايها الراقون ان هذا الروح يتجسّد ولا ادري ايظهر طارياً
في هيئة رجل ام في هيئة امرأة
لقد بدأ ستار العتمة ينسدل حتى علي خير الاشياء
اعيروا سمعكم وحدّقوا ، اهو رجل ام امرأة هذا الروح ، روح اشجان
المساء

هكذا تكلم الساحر الشيخ ثم ادار لحاظه فيمن حوله وقبض على قيثارته

— ٣ —

عندما يعتلّ الهواء ، ويتساقط الندى المعزّي دون ان تراه العيون ، وما
تسقط الانداء الا خفية ككل عزاء

افما تذكر ايها القلب الملتاع كم ظمئت الى دمع السماء ، الى قطرات الانداء؟
لقد كنت منهوكاً يرهقك السغب والشمس تلقي اشعتها على الاعشاب
الصفراء متراكضة حولك من خلال الادواح القائمة فتبهرك في روغانها ، وتلقي
في روعك انك تائق الى الحقيقة ، وما هي الا خادعة ساخرة

لا . . ما انت الا شاعرٌ ولست الى الحقيقة متطلعاً مشوقاً
ما انت الا حيوانٌ وحشيٌّ زحّافٌ عليه ان يتفوّه بالكذب ، حيوانٌ

مفجوعٌ بالغنائم ، يُسدل على وجه قناعاً تعددت ألوانه ، وهو نفسه قناع لقناعه
وغنيمة لفجعته

أأنت يا هذا طالب حقيقةٍ وحق ؟

لا . . ما أنت إلا مجنون ، ما أنت إلا شاعر

انك تتكلم بالاستعارات والتشابه ، وترتفع عقيرتك مُقنَّعاً بوجه معنوه
متراكضاً على معابر من كاذبات البيان تائهاً على اقواس قزح مزيفة تحت آفاق
لا حقيقة لها

إنك تائه يتراكض في كل مكان
ما أنت إلا مجنون ، ما أنت إلا شاعر !

أأنت طالب حقيقةٍ وحق ؟

ما انت الا منسخٌ تمثالٍ الهى يلتمع في صقيعه ، وليس له جلال هذا التمثال
ولا صمته منصوباً على مدخل بيت الله

ما انت الا عدو كل هيكل مشيدٍ للفضيلة فمسرحك القفار حيث تشبُّ
حرّاً طليقاً ، واذا ما حُصرت في مسكنٍ قفزت من نوافذه مستسلماً لتصاريف
الحدثان ذاهباً بهدير شهوتك في مجاهل الغاب بين الوحوش الكاسرة الرقطاء
الجميلة كالمعصية وقد قطرت اشداقها شبقاً ودماء فتسرح بينها متوحشاً زحافاً
كاذباً

أو انت اشبه بالنسور التي تحدق طويلاً في الاغوار حتى اذا لاحت الخرفان
في مراعيها انقضت عليها ؟ انها لعدوة الخراف وكل من له نظراتها وصوفها
ووداعتها

ما شهوة الشاعر الا شهوة النسر والنمر

تلك هي شهوتك المقنَّعة بألف وجهٍ ايها المجنون . ايها الشاعر !
لقد نظرت الى الانسان كأنه نعجة فمزقت الله فيه كما مزقت النعجة وانت
تقهقه ضاحكاً

تلك هي لذتك ، ايها الشاعر ، إن هي الا لذة نسر ونمر ، لذة شاعر ومجنون
لقد جنحت يوماً في الهواء البليل جنوحَ الهلال الحسود على وهج أنوار

الغروب ، هارباً من النهار عدوه اللدود متوارياً عن شجيرات الورود الى ان
يغمرها الظلام ماحياً اشباحها
أجل لقد جنحتُ فيما مضى جنوحَ الهلال هارباً من جنون الحقيقة وشهوة
النور ، تعبت من النهار ومن أضوائه فأنحدرتُ عليلاً نحو المغرب الى مطارح
الظلام ، وقد احرقني الحقيقة بسعّارها
أفما تذكر ايها القلب الملتاع حجةً تعطّشك في ذلك الحين ؟
مالي وللحقائق جميعها ، سحقاً لها
ما انا الا مجنونٌ ما انا الا شاعر

المعرفة

هذا ما أنشده الساحر ، موقعاً في شرك نغمه الغدّار الحزين جميعَ مَنْ
حواله ما عدا صياد العلقمة المقيّد بضمير العقل فانه لم يقع كالأخرين بل نهض
واختطف القيثارة من يد الساحر صارخاً : — لقد سمّمتَ هواء الغار يا هذا
جددوا الهواء ، أدخلوا زارا الينا
إنَّ سحرك أيها المراوغ يدفع بالناس الى الشهوات ومجاهل القفار ، ويا لشقائنا
اذا كان أمثالك يتكلمون عن الحقيقة ويولونها اهمية ، وويلٌ للأفكار الحرة اذا
كانت لا تحذر الساحرين ، انها لتفقد حريتها باها لها
إنك تدعو للرجوع الى السجون وتقتاد الناس اليها ايها الشيطان الحزين ففي
اينك دعوةٌ مستترةٌ فما اشبهك بمن يمجّدون العفاف فيجبيء تمجيدهم دعوةً الى
الملذات
هكذا تكلم صاحب ضمير العقل ، غير ان الساحر كان يحيل ابصاره في مَنْ
حواله وهو يتنعم بظفره فتغلب لذته على حنقه من خصمه ، واخيراً نظر اليه
قائلاً بلطف : — ان الأغاني الجميلة تثير خير الأصداء ولذلك يجب ان يعقبها
السكوت الطويل ، افما ترى هؤلاء الرجال الراقين يتنصّتون ، ويلوح لي انك لم
تفهم شيئاً من نشيدي لان تفكيرك محصورٌ في دائرة السحر
فاجاب صاحب الضمير — إنك تثني عليّ بالإقرار بالفرق بينك وبينني، وحسنًا
فعلت ، ولكن انتم ايها الراقون مالي اراكم وانتم ذوو النفوس الحرة ساكتين

كمن تطلّع طويلاً الى رقص غانيةٍ عاريةٍ متهتكةٍ فاذا بروحه ترتقص في داخله

افليس فيكم ايها الراقون القوة التي لا تنال منها خزعبلات الساحرين !
ولكنني اراكم في وادٍ وانا في وادٍ . لقد تسنى لي ان اتحدث اليكم طويلاً
قبل ان عاد زارا الى مغارته فعرفتُ انني معكم علي خلاف ، فانتم لا تطلبون ما
اطلب عن عقيدة راسخة وما جئت الى زارا الا لانني اعلم انه معقل الارادة
الثابتة التي لا تتزعزع في هذه الازمان التي يتصدّع فيها كل شيء ويتداعى
اما انتم فان نظراتكم تدل على انكم تطلبون الريبة وتتشوّقون الى الشك ،
فتودون لو يزيد الارتعاش وتعمُّ الزلازلُ الارض لتزداد حياتكم اضطراباً ، فما
اتخوّف منه انا تتوقون انتم اليه فتستهويكم حياة الوحوش في الغابات
والمغاور

انكم لتنفرون ممن يدعوكم الى اجتناب الاخطار فلا تأنسون الا الى المضللين
الساحرين

ولكن اعلموا ان هذه الاماني الكامنة فيكم لن يكون لها ان تتحقق ، لان
الخوف شعورٌ غريزيٌّ اوليٌّ في الانسان يفسّر كل شيء ويجلو حقيقة
الخطيئة الاصلية والفضيلة الاصلية ، وفضيلتي انا قد نشأت عن الخوف واسمها
« العلم »

لقد عاش الانسان طويلاً يسوده الفزع من الحيوانات الكاسرة وبينها الوحش
الكامن فيه والذي يدعوه زارا « الحيوان الداخلي » . وقد استحال هذا الخوف
مع كرو الزمان الى زعرٍ روحي يدعى « علماً »

هكذا تكلم صاحب ضمير العلم ، وكان زارا قد عاد الى الغار وسمع نهاية
الخطاب فاخذ ينثر اوراق الورد على رأس صاحب الضمير وهو يهزأ به
قائلاً :

— ماذا اسمع ؟ والحق انك مجنونٌ والا كنت انا مجنوناً . لذلك ابادر الى
إنزال الحقيقة على رأسك دفعة واحدة . فاعلم ان الخوف شذوذٌ في الانسان لانه
ما نشأ في الاصل الا مفطوراً على الشجاعة طمّاحاً الى تقلبات الحدّثان مأخوذاً
بلذة الشك مدفوعاً لاقتحام المجهول ، فالشجاعة اولى عواطف الانسان ، اذ
استهوته فضائل الضواري واشد الحيوانات عزماً وإقداماً فماعتّم حتى غم هذه

الفضائل منها وهكذا صار إنساناً
ويلوح لي ان هذه الشجاعة الراقية الوثابة إنسانيةً بجناح النسر وروغان
الآفعى تدعى اليوم . . .
فضحك جميع الحاضرين وهتفوا بصوت واحد
— تدعى زارا

وارتفع من بين الحشد شيء أشبه بالغمامة السوداء وتوارى فبدأ الساحر
بالضحك ايضاً وهو يقول :

— لقد خرج روح الشرير مني افما دعوتكم الى الحذر منه عندما اعلنت
لكم انه روح مكار مخادع كذاب ، ويتناهى مكره بخاصة عندما يتجلى عارياً .
ولكنني اعجز من ان اقاوم سحره فما انا من خَلَقَهُ وما انا من
خَلَقَ العالم

فلنعد الآن الى صلاحنا وسرورنا . انظروا الى زارا فإن في عينيه قتاماً
واراه ناقماً علي غير انه لن يثبت على نغمته حتي يجيء الظلام فسوف يسترجع
حبه ويعود مثنياً علي لانه لا يستطيع البقاء طويلاً دون ان يرتكب مثل هذا
الجنون

ان زارا يحب اعداءه وهو بين من صادفت في حياتي اقدرهم في هذا الفن
ولكنه في سبيل حبه لاعدائه ينتقم من اصدقائه

هكذا تكلم الساحر الشيخ فصفق له الحاضرون حتى اضطر زارا الى
الدوران في غاره وهو ينفذ راحتيه متبرماً من أصحابه بعاطفة تمازج شرها
بجها فكانه يحاول عذر الناس والاعتذار اليهم في آن واحد ، وعندما وصل
الى مخرج الغار شاقه الهواء الطلق وتذكر نسره وافعوانه فاندفع طالباً
الخروج

بين غادتين في الصحراء

— ١ —

وعندئذ صاح المسافر الذي دعا نفسه خيال زارا قائلاً : — لا تذهب ابق
بيننا لئلا تكرر علينا احزاننا بعد ان تولت عنا ، فقد أغدق علينا الساحر شرّاً
ما عنده حتى ان رئيس الاحبار الوافر التقوى بدا يسكب الدمع من عينيه ويتوه

في بحر الشجون . وليس بيننا من احتفظ بحزمه غير هذين الملكين لتعودهما
التحكم بسيماهما ولو انهما كانا على انفراد لكانت تبدو عليها الأعيب الغيوم
وتعصف ریح الخريف بأكية فوقهما فنسمع إعوالاً ونواحاً . ابق هنا يا زارا .
لا تذهب فهنا ويلاتٌ خفية تريد ان تتكلم ، هنا ظلماتٌ وغيوم وهواءٌ كثيف
يضغط على الصدور

لقد بذلت لنا الغذاء الانساني وأتيتنا بالآيات تتدفق قوة وأملاً فلا تسمح
ان تجتاحنا في ختام هذه الوليمة روح التراخي والكسل

ليس لسواك ان ينفخ حولنا هواء القوة والنقاء فاني ما نشقت في العالم ما
يهبُ عليّ في غارك من لفحات صافيات ، وقد جبت الاقطار ومررت بمعاطسي
على اجواء واجواء فما راقني شميمٌ الا حيث تقيم

لأصدقنّ القول ، لقد راقني مرة مثل هذا الشميم من قبل عندما أنشدت ما
أوحى اليّ بين غادتين في الصحراء حين ملأت صدري من نسبات الشرق المشبعة
عطراً في صفائها وانا بعيد عن اوربا الهرمة تكدر جوها الغيوم وترهقها
رطوبتها واشجانها

ذلك زمان عشقت فيه غادتي الشرق في صيرائه فهناك سماء غير هذه السماء
لا تتلبد فيها الغيوم ولا تعتكر على اديمها الافكار

انكم لا عجز من ان تتصوروا سحر هاتين الغادتين وهما معرضتان عن الرقص
جالستان وفي سكونهما اجمل حركات الفنون وقد كمن الفكر في صدرهما فكأنهما
اسرارٌ والغاز تماوج اشكالاً وألواناً فلا يعرفها قنّام ، وهكذا الالغاز المستسمة
لمن يحل مكنونها

لقد أوحى اليّ هذا النشيد للتشبيب بغادتي الصحراء

هكذا تكلم المسافر المدعو خيال زارا ولم يدع مجالاً ليجاوبه احد فقبض
على قيثاره الساحر ولف ساقاً على ساق وهو يحدج من حوله بنظرات تشعُّ حكمة
ووقاراً وقد انفتحت ارنبتا انفه تنشقان الهواء ملياً فكانه غريبٌ في بلاد بعيدة
يتنسم اجواءها

وبدا ينشد بصوت يزأر زئيراً

ان الصحراء تتسع وتمتد فويل لمن يطمح الى الاستيلاء على الصحراء
يا للمهابة :

يا للبداية تليق بمهابة صحراء افريقيا ،
تليق بأسد او بنذير يهيب بالناس الى مكارم الاخلاق
إنها لروعة لم تسطع عليكما يا صديقتي عندما أتيح لي انا ابن اوروبا ان
اجلس عند اقدامكما تحت ظلال النخيل . حياً على الصلاة !

يا للعجب !

اراني ماثلاً امام الصحراء ولكنني عنها جدٌ بعيد ، وما ابتلعتني الواحات
الصغيرة ، بل انفرجت امامي كأطيب الثغور نكهة فارتميت فيها وها انذا عند
اقدامكما يا صديقتي العزيزتين ، حياً على الصلاة !

إنني أجد تلك الواحة اذا كانت عززت من نزل فيها . . .
وانما تدركان ما في رموزي من الحكمة
طوبى لاحشائها اذا كانت كهذه الواحة ، ولكنني اشك في ذلك فاننا قادم من
اوروبا ، اشد العرائس جحوداً
اصلحها الله إنه السميع المجيب

ها انذا جالس في ظلال اصغر الواحات فما اشبهني بتمرة سمراء مذهبة تتشوق
الى ثغر كاعب يفتقر عن اسنان محددة ناصعة كالثلج ، وهل تحلم قلوب التمر الملتهبة
الا بمثل هذه الثغور ؟ حياً على الصلاة

ما اشبهني بهذه التمور عند الظهر ، تتطاير حولها الهوام المجنحات وتدور بي
شهوات اصغر من هذه الهوام واشد منها جنوناً وشرّاً ، والى جانبي « دودو
وزليخا » صامتتين كأبي الهول
انني انشق نسيمات الجنان والهواء حولي مفضض باشعة ما ارسل القمر مثلها
في الاجواء ، فهل ارسلها صدفة ام عن قصد كما قال الشعراء الاقدمون ؟

اما انا فأشك فيما قيل لاني آتٍ من اوروبا وهي أشد العرائس جحوداً
أصلحها الله إنه السميع المجيب

انني انشق الهواء ملء معاطبي وليس لي امس ولا غد، فأجلس معلقاً
ابصاري على النخلة وهي تتأود وتتشنى وتهز ردفها فكأنها راقصة دارت طويلاً
على رجل واحدة، حتى لا يسع من يراها الا ان يقلدها، ولعلها نسيت ان لها
رجلاً ثانية

وقد فتشت عبثاً على هذه الرجل الصغيرة الساحرة تحت الاردان الخافقة،
صدقاني يا عزيزتي ان هذه الرجل الاخرى قد ذهبت في سبيلها
ويلاه! اين استقرت تلك الرجل التائهة واين حطت رحالها ولعلها الآن
وحيدة منفردة ترتجف فرقاً من هجمات وحش كاسر او اسد اصفر تجعّدت
لبدته ولعلها الآن ممزقة إرباً. حياً على الصلاة!

لا تبكيان يا عزيزتي فقلبكما رقيقٌ وصدركما يدرُ حناناً
أي زليخا كوني كالرجال وتشدّدي، وانت دودو الشاحبة لا تذرفي
الدمع بعد
ولكن لا بدّ في هذه الارعاء من قوة تشدد القلوب لا بد من آيات تفوح
عطراً وتتسامى جلالاً

ارتفع يا مظهر الجلال ولتهب مرة اخرى نسمة الفضيلة
ويا ليت اسد الفضائل يزأر ايضاً امام غادات الصحراء فزئير الفضيلة يا بنات
الصحراء، اقوى ما ينبه اوروبا ويحفز بها الى النهوض
ها انذا ابن اوروبا، لا يسعني الا الخشوع والانتباه لدوي هذه الآيات
البيّنات

وقد توكلت على الله

ان الصحراء تتسع وتمتد، فويل لمن يطمح الى الاستيلاء على الصحراء...

الانتباه

— ١ —

وبعد ان الشد كل من المسافرين والخيال نشيده ضجّ الغار بالحركة والضحك
فأخذ الجميع يتكلمون في آن واحد حتى الحمار نفسه فوقف زارا غاضباً ساخراً
بضيوفه بالرغم من تسرب شيء من فرحهم الى قلبه اذ رأى في هذا الجبور اول
اعراض الشفاء . فانسحب الى خارج الغار وبدأ يخاطب نسرهم وأفعوانه قائلاً :
أين ذهب يأسهم ، اراهم نسوا ذلك اليأس عندي ولكنهم لم ينسوا
الصراخ بعد

وسدّ زارا أذنيه اذ تعالى نهيق الحمار يزيد في جلبه هؤلاء الرجال الراقين
وقال — انهم فرحون ولعلمهم تعلموا مني ولكن ضحكهم ليست ضحكتي
لأبأس فهم شيوخ يمثلون الى الشفاء بالذهاب على سبيل تخير وه ولقد احتملت
أذناي من قبل أشد من هذه الجلبة وهذا الصخب

انه ليوم انتصار هذا اليوم لأن الروح الكفيف يتراجع الى الوراء وهو
عدوي اللدود ، لقد بدأ هذا النهار شتوماً ولعله ينتهي الى خير
ها ان المساء قادم ممتطياً جواده قاطعاً البحار على سرجه الأرجواني
ان السماء تحدجه بلفقات الجبور والارض تتراخي على أسرارها ، فالحياة
تستحق الاهتمام قربي ايها النازلون ضيوفاً عليّ .
واذ دارت الجلبة في الغار أردف زارا قائلاً :

انهم تعلموا الضحك لنفسهم فقد فارقه الروح الكفيف وهذا تأثير غذائي
وآياتي ، والحق اني ما قدمت لهم من الاغذية ما تنتفخ به الاحشاء بل ما يليق
بالمجاهدين فنبتت فيهم شهوات جديدة

ها ان سواعدهم واقدامهم تمتليء املاً جديداً وقد تمددت قلوبهم فوجدوا
بيانا جديداً يولد المرح في تفكيرهم

وما اجهل أن مثل هذا الغذاء لا يبذل للأطفال ولا للنساء المتراخيات سواء
أكنّ عجائز أم صبايا فان للأطفال والنساء علاجات غير هذا العلاج لا قناع إمعانهم
وما انا بطبيبهم ولا بالقوام عليهم

لقد تخلى هؤلاء الراقون عن اشمزازهم وفي ذلك ما أعده ظفرآلي لقد أحسوا
انهم في مأمن عندي فتعرّوا عن كل حياءٍ سخيّف وها هم يعربون باخلاص
عما يشعرون
إنهم يفتحون قلوبهم ويعودون الى اويقات الصفا ويجترّون ممتنين
والأمتنان خير دليل على الرجوع الى الصواب فلن يطول الزمان حتى يرفعوا
الانصاب لذكرى افراحهم القديمة
إنّهم الآن ناقهون !
هكذا تكلم زارا وقد استولى عليه الفرح ودار حوله نسرّه وأفعوانه
محترمين سعادته وسكونه

— ٢ —

وبعد هنيهة اضطربت أذنا زارا لا تقطاع الجلبة من الغار وقد ساد فيه
سكوت الموت ولكن رائحة عطرية انتشرت منه كأن هنالك بحجرة تحرق فيها
رؤوس الصنوبر
وتساءل زارا عما يفعل القوم في غاره وتقدم نحو الباب فاذا به يشاهد امرأ
من أغرب الأمور فصاح — لقد عادوا الى التقى ، فهم يؤدون شعار الدين
ويصلّون ، لقد جنّوا
وكان جميع من في الغار جاثين على ركبهم كالأطفال والعجائز يعبدون
الحمار
وبدا اقبح العالمين يهدر ويتلوّى ويستعد للترنم وما غم حتى بدأ ينشد
قائلاً :

المجد والحكمة والمنة والثناء والقوة لاهلنا الى أبد الآبدين
جوابه الحمار بنهقة مستطيلة
— إنه يحمل أثقالنا ويقوم بخدمتنا ، فهو الجلود الصبور الذي لا يرد طلباً ،
ومن احب إلهه أدبه بصرامته
جوابه الحمار بنهقة
— انه صموت لا ينطق الا إيجاباً لطلبات العالم الذي أبدع فهو يمتدح عالمه
واذا سكت فما سكوته الا لمكره ، لانه لا يستهدف للخطأ

فجاوبه الحمار بنهقة
— انه يمر ولا من يأبه له في الحياة ، فلون جلده رمادي يستر به فضيلته واذا
كان له عقل فهو يستره لذلك يؤمن الجميع بأذنيه الطويلتين
فجاوبه الحمار بنهقة

— يا للحكمة الخفية : ويا لصاحب الأذنين الطويلتين لا يجيب الاً بالايجاب
ولا يرد طلباً أما خلق العالم على صورته ومثاله فجاء العالم على أشد ما يكون
حماقة وسخافة ؟

فاجاب الحمار بنهقة
— انك تتبع طرقاً مستقيمة وطرقاً ملتوية وما يهملك ما يدعو به الناس
استقامه والتواء فان ملكوتك قائم ما وراء الخير والشر فبرآءتك هي جهلك
للبرآة

فاجاب الحمار بنهقة
— انظر كيف أنك لا تدفع احداً عنك فتقبل الصعاليك كما تقبل
الملوك وتدع الاطفال يأتون اليك واذا ما جاءك الخطاة استقبلتهم بنهقة
الترحيب

فاجاب الحمار بنهقة
— انك تحب الأنثى والتين الناضج فلست متصعباً في غذاءك فلا تأنف
من قضم الشوك اذا جمعت . وفي هذا كنت حكمتك الآلهية
فاجاب الحمار مصدقاً بالنهيق

عيد حمار

وعند هذا المقطع من المدائح عيل صبر زارا فبدأ ينهق هو ايضاً واندفع
الى وسط ضيوفه وقد استولى عليهم الجنون صارخاً — ماذا تفعلون
يا ابناء الناس

وتقدم يرفعهم الواحد بعد الآخر عن الحضيض قائلاً :
الويل لكم لو رأيتم احد غير زارا ، إذن لحكم الكل عليكم بانكم في دينكم
الجديد من افطع المجدفين او من أشد العجائز تخريفاً وجنوناً

أنت يا رئيس الاحبار كيف تسنى لك دون أن تبحد نفسك وان تعبد
حماراً كأنه إله

فاجاب الخبر الكبير — عفوك يا زارا إني أعرف منك بأمور الله ومن الحق
أن اكون هكذا ، وخير لنا ان نعبد الله في حمار من الأ نعبد مطلقاً . تمنن
في كلمتي هذه ايها الصديق العظيم يتضح لك ان فيها كثيراً من الحكمة
إن من قال « إن الله روح » قد خطا الخطوة العظمى نحو الجحود وليس من
السهل إصلاح ما تفسده مثل هذه الكلمة في العالم
إن فؤادي يرتقص فرحاً إذ بقي على الأرض شيء يمكننا ان نعبد
اغتنر يا زارا لرئيس أحبار تقى ما يشعر به
والتفت زارا الى المسافرين والخيال قائلاً :

— وانت يا من تدعى الفكر الحر بل من تتصور انك فكر حر ، كيف تمثل
هذا الدور الغريب وتتعبد للوثن
انك تفعل الآن ما لم تفعله بين الغادات السمر ذوات الدلال يا من اتخذ
لنفسه عقيدة جديدة

فاجاب المسافرين والخيال — الأمر محزن وانت مصيب ولكنني عاجز عن
الايان باي عمل فان الإله القديم قد بعث فقل ما تشاء يا زارا
إن السبب في هذا كله هو اقبح العالمين فهو باعث الإله ولو قال انه هو قاتله
فليس موت الإله إلا عقيدة لا تركز على شيء

فقال زارا — وأنت ايها الساحر القديم المراوغ ماذا فعلت ؟ من سيؤمن
بك بعد الآن في ازمنا الحرية هذه اذا كنت تؤمن بمثل هذه الحماريات الالهية
لقد اتيت حماقة فكيف اقدمت عليها وانت على ما تعلم من المهارة والاحتيايل
فاجاب الساحر — لقد اصبت فما أتيت إلا حماقة ولقد كلفني جهداً كبيراً
فقال زارا — وأنت يا ضمير العقل ، تفكر وضع اصبعك في انفك ، أفما
يبكتك ضميرك على ما فعلت ، افما تدنس فكرك من هذه العبادة ومن هذا
البخور المتصاعد ؟

فوضع ضمير العقل اصبعه في انفه واجاب — ان في هذا المشهد شيئاً يرتاح
له ضميري . وقد لا يكون لي الحق بأن اعبد الله غير اني أرى ان الها على هذه
الشاكلة يستحق الايمان

يجب ان يكون الاله خالداً بحسب ما شهد به الاتقياء ، فمن كان له مثل هذا الزمان الطويل له ان يمنح نفسه خير الازمان وان يعيش على مهل وبالسخافة التي تحلو له ، فيبلغ الهدف الذي يريد ومن له الفكر المتجاوز حده يميل الى السخافات والى الجنون

افلا ترى يا زارا انك معرضٌ بأفراط حكمتك الى ان تصير حماراً
افلا يتجه الحكيم الى السبل المتعرجة ، وهلا تجد في نفسك ما يثبت هذه الحقيقة ؟

ونظر زارا الى اقبح العالمين فاذا به لم يزل منطرحاً على الارض وهو يقدم للحمار خمراً ليشرب فقال له

— ماذا انت فاعل : لقد تبدلت يا هذا فعينك تشعُّ نوراً وقد اتشح قبحك برْدَ الجلال . أصبحٌ ما يقوله رفاقك ؟ أنت بعثته من الموت ؟ وما الذي اهاب بك الى احيائه ؟ فهل كنت على خطأ عند ما قتلته والحقته بغابر الزمان ؟
إنني اراك انت راجعاً الى الانتباه بعد غفلتك فماذا فعلت ولماذا هديت نفسك ؟ تكلم ايها السر الغامض

فقال اقبح العالمين — ما أنت الا لئيم يا زارا . وأنا اسألك فأجب من منا أعلم فيما اذا كان هذا الاله لا يزال حياً أم انه مات حقيقة

غير انني اعلم كما علمتني فيما مضى ان من يريد ان يقتل قتلاً لا حياة بعده يلجأ الى سلاح الضحك فالغضب لا يقتل ، أفما قلت هذا يا زارا أنت المستر ، أنت الهادم بلا غضب والقديس الخطير ! فما أنت الا لئيم

— ٢ —

ودهش زارا لما سمع من اجوبة فاندفع الى باب غاره ووقف هنالك يصيح بأشد نبراته :

لماذا تخفون سرائركم أممي ، ايها الطائشون ، افما ارتعشت قلوبكم في صدوركم لأنكم عدتم اطفالاً اي من أهل التقى ففعلتم فعل الاطفال وضممتم اكف الضراعة قائلين « ايها الاله الصالح العزيز »

ألا فاخرجوا الآن من غرفة الاطفال ، ان مغارتي قد شهدت اليوم جميع الاعيهم . اذهبوا وتأملوا خارجاً في طيش طفولتكم وفي نبضان قلوبكم

لا ريب في انكم اذا لم تعودوا أطفالاً فلا تدخلون ملكوت السماوات» قال
هذا ورفع اصبعه نحو السماء»
فقالوا — لا . . . لا نريد ان ندخل ملكوت السماوات لاننا وقد اصبحنا
رجالاً لا نطلب في غير الارض ملكوتاً

— ٣ —

واستأنف زارا الخطاب فقال :
— أي اصدقائي الجدد ، ايها الرجال الغريبو الأطوار ، انتم ايها الراقون
انني لأعجب الآن بكم ، لقد عاد سروركم اليكم فتوردت وجوهكم وقد حق
لكم كازهار جديدة ان تعيدوا فاقيم للحمار حفلة اذ اردتم ان تسروا وان
يجيء زارا المريحُ بمجنون شيخوخته لينير ارواحكم
لا تنسوا هذه الليلة وهذا العيد ، ايها الرجال الراقون فقد ابدعتم فيما
اخترعتم وما يوجد مثل هذه الاعياد الا الناقهون لانها نذير الشفاء
فاذا ما احتفلتم بهذا العيد عيد الحمار ، فاصنعوا هذا محبةً بأنفسكم ومحبةً
بي ، اصنعوا هذا لذكري . . .
هكذا تكلم زارا . . .

نشيد الثمل

— ١ —

وبينما كان يتكلم خرجوا الواحد تلو الآخر الى الهواء الطلق وقبض زارا
على ذراع أقبح العالمين وخرج به ليريه مشاهد الليل والشلالات المتدفقة قرب
غاره مفضضة بشعاع القمر. وأمام هذه الشلالات وقف جميع هولاء الشيوخ وقد
تسرب العزاء الى قلوبهم فشدّ عزائهم وكان كل منهم معجباً بذاته ، وقال زارا
في نفسه ، لكم تشوقني رؤية هؤلاء الراقين الآن
وعندئذٍ وقع أغرب حادث شهده القوم طوال يومهم اذ رأوا أقبح
العالمين يهدر مفتشاً على كلمات لبيانه فاذا به يتناول مسألة خطيرة ذهبت تهز
احشاء السامعين

قال : — ايها الاصحاب ، هذه لأول مرة أحيأ فيها الحياة كلها بيوم واحد

فقد كفاني هذا العيد بصحبة زارا لا تعلم محبة الارض ، فيمكنني الآن ان
أقول للموت — أهذه هي الحياة ؟ إذن أعدني اليها مرة أخرى
أفلا تريدون ايها الاصحاب ان تقولوا للموت ما اقوله له أهذه هي الحياة
إذن أعدنا اليها من اجل محبة زارا مرة أخرى

هكذا تكلم أقبح العالمين وكان الليل قد قارب الانتصاف
وأحس الرجال الراقون عندئذ بانهم تحولوا عما كانوا عليه وقاربوا الشفاء
وعلموا ان زارا قد بدّل من حالهم فاقبلوا عليه يلثمون راحتيه حباً واحتراماً
فضحك بعضهم وبكى البعض الآخر وكان الساحر القديم يرقص طرباً . ولعله
كان مأخوذاً بالسكر ، على ما ينقله بعض الرواة ، ولكنه ولا ريب كان ثاملاً
من حياته الجديدة بعد ان تخلى عن حياة التراخي والكسل . وقال بعض الرواة
إنّ الحمار نفسه بدأ يرقص متأثراً مما سقاه أقبح العالمين ، وقد لا يكون الحمار
استسلم للرقص في ذلك المساء فليس للامراهمية ما دامت الحوادث الجسام التي
وقعت حينذاك تقوت ما لرقص الحمار من شأن
إن من آيات زارا قوله — واية اهمية لهذا —

— ٢ —

وعندما نطق أقبح العالمين بما ذكرنا كان زارا في حالة اضطراب شديد إذ
انعقد لسانه وارتجفت ركبته وتماوت نظره ، ومن يدري ما كان يدور حينذاك
في خلده . فكأنه كان يذهب بفكره مداً وجزراً ويتحفز للطيران وقد شخص
الى الابعاد مطلقاً من الذروة على بحرين او سائراً كغمام كثيف بين الدابر والمقبل
من الزمان

وأحاط الراقون بزارا يسندونه بسواعدهم الى ان ثاب رشده اليه فدفع عنه
القوم المسارعين الى تمجيده دون ان يقول شيئاً ولكنه شخص كمن يسمع صوتاً .
فوضع سبّابته على شفّتيه وصرخ :
تعالوا . . .

وساد الصمت ودوت من بعيد رنة جرس ، فتنصت زارا ومن معه ثم عاد
يقول وقد وضع سبّابته على شفّتيه ثانية :
— تعالوا . . . تعالوا . . . لقد اقترب نصف الليل

وتغيرت نبرات صوته ولكنه ظلّ في موقفه
وعاد السكوت يثقل على الكل حتى على الحمار والنسر والافعوان والغار
والقمر الباهت والليل نفسه
ورفع زارا سبّابته للمرة الثالثة الى شفّتيه وقال :
— تعالوا . . . تعالوا . . . هيا فقد دنت الساعة ، هيا بنا الى الليل

— ٣ —

أيها الرجال الراقون لقد انتصف الليل ، ولسوف أُسرُّ اليكم بما أُسرّه اليّ
الجرس القديم في رنينه
سأُناجيكم بالرهبة والاخلاص الذين ناجاني بهما جرسُ نصف الليل القديم
البالغ من العمر ما لا يبلغه الإنسان الفرد
لقد عدّ هذا الجرس من قلوب آبائكم نبضاتها فهو يزفر ساعة نصف الليل
زفيراً ويرسلها ضحكاً في قلب الظلام
انصتوا ! إن من الاشياء ما لا تُعلن في نور النهار اما في هذه الساعة وقد
اعتلّ الهواء وسكنت ضوضاء قلوبكم فان الاشياء تتناجى وتتفاهم وتتسلل الى
أرواح السّمَر فيمتد بها ويطول ، فاسمعوا زفير ساعة الليل وضحكها في
أحلامها
أفلا تسمعها انت تناجيك برهبة واخلاص ، افلا تسمع ما تقول ساعة نصف
الليل في قدَمِها وعمقها ؟
— ايها الانسان كن على حذر !

— ٤ —

ويلٌ لي ! اين تسرّب الزمان ؟ انما وقعتُ في آبارٍ لا قعر لها
لقد نامت الدنيا ، ويلاه انني اسمع هرير الكلب واري لمعان القمر ، انني
لأفضل الموت على ان أبوح لكم بما يعتقدّه فؤادي عن نصف الليل
لقد مت وقضي امري !
لماذا تمدّين نسيجك حولي ايتها العنكبة ، اتطلبين دماً ؟ ويلاه لقد تساقطت
الأندا ودنت الساعة ، الساعة التي سأرتجف فيها برداً وأتحول منها الى جليد ،
الساعة التي تسأل وتساءل ولا تكفّ عن السؤال قائلةً « مَنْ سيَجْرا على هذا ؟ »

— ٢٦٥ —

مَنْ سَيَكُونُ سَيِّدَ الْعَالَمِ ، مَنْ يَرْضَى وَيُرِيدُ أَنْ يَهْتَفَ بِالنَّهَارِ كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا :
سِيرِي عَلَى مَا أَقْرَرْتُكَ

لَقَدْ دَنَتِ السَّاعَةُ ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الرَّاقِي ، فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ أَنْ هَذَا الْخُطَابُ مُوجَّهٌ
إِلَى مَرَهَفَاتِ الْأَسْمَاعِ ، إِلَى أَسْمَاعِكَ
— مَاذَا يَقُولُ نَصَفُ اللَّيْلِ فِي أَعْمَاقِهِ ؟ —

— ٥ —

إِنِّي مَحْمُولٌ إِلَى هُنَاكَ ، وَرُوحِي تَرْقُصُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ! مَنْ سَيَكُونُ سَيِّدَ الْعَالَمِ
يَا تَرَى ؟

لَقَدْ نَوَّرَ الْقَمَرُ وَسَكَنَ الْهَوَاءَ ، وَآسَفَاهُ ، هَلْ تَسْنَى لَكُمْ أَنْ تَرْتَفِعُوا
بَطِيرَانَكُمْ ، لَقَدْ رَقَصْتُمْ وَلَكِنْ السَّاقُ لَيْسَتْ جَنَاحًا
أَيُّهَا الْمَجِيدُونَ فِي رَقْصِكُمْ ، لَقَدْ انْقَضَى زَمَنُ الْحُبُورِ فَاسْتَحَالِ الْخَمْرُ إِلَى خَمِيرَةٍ ،
لَقَدْ فَرَّغْتَ الْكَؤُوسَ وَعَلَتْ هَمْسَاتُ الْقُبُورِ
إِنْكُمْ لَمْ تَبْلُغُوا الْأَعَالِي فِي طَيْرَانِكُمْ لِذَلِكَ تَنَادَى الْقُبُورُ « انْقُذُوا الْأَمْوَاتَ ،
لِمَاذَا طَالَ بَنَاءُ اللَّيْلِ ؟ فَهَلْ اسْكُرْنَا شِعَاعُ الْقَمَرِ ؟ »
فَيَا أَيُّهَا الرَّاقُونَ انْقُذُوا الْقُبُورَ ، مَا لَكُمْ لَا تُنْهَضُونَ الْأَمْوَاتَ ، كَفَى الدِّيدَانُ
مَا رَعَتْ ! لَقَدْ دَنَتِ السَّاعَةُ

لَا يَزَالُ الْجَرَسُ يَدُوي بِرَنِينِهِ فَالْقَلْبُ يَزْفِرُ زَفْرَاتِ الْإِحْتِقَارِ . إِنَّ سَوْسَ
الْقَلْبِ يَنْخَرُ شَغَافَهُ
وَيَلَاهُ ! مَا أَعَمَّقَ هَذَا الْعَالَمُ

— ٦ —

أَيْتُهَا الْقِيثَارَةُ ! لَكُمْ أَحَبُّ نَغَمَاتٍ أَوْ تَارِكُ كَأَنَّهَا تَتَعَالَى مِنْ بَعِيدٍ وَمِنْ الزَّمَانِ
الْمُنْصَرَمِ عَنْ ضَنْفِافِ نَهْرِ الْغَرَامِ
مَا أَنْتِ أَيُّهَا الْجَرَسُ إِلَّا هَذِهِ الْقِيثَارَةُ الْمَشْجِيَّةُ فَلَكُمْ قَرَعَتْ قَلْبَكَ الْإِحْزَانُ ،
إِحْزَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَالسُّلَفَاءِ الْأَقْدَمِينَ ، حَتَّى انْضَجَّتْ دَعْوَتُكَ الْإِزْمَانُ
فَعَدَّتْ كَالْخَرِيفِ الْمَذْهَبَ وَكَقَلْبِي الْمُنْفَرِدِ فَاصْبِحْ صَوْتُكَ كَلَامًا وَالْعَالَمُ نَفْسُهُ قَدْ
نَضِجَ كَالْعِنَاقِيدِ لَوْحِهَا الْأَسْمَرُ فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَمُوتَ مَكْفَنًا بِمَجْبُورِهِ
أَفَمَا تَنْشَقُونَ يَا رِجَالُ الرِّقَى عَبِيرًا يَضُوعُ خَفِيًّا . إِنَّهُ هُوَ الْإِعْبِيرُ الْأَبَدُ ،

— ٢٦٦ —

رائحة خمر السعادة المعتقة، السعادة الثابتة بشوقها الى الموت المعلقة انشادها
في نصف الليل قائلة :

ان العالم عميق ، ان العالم اعمق مما كان يظن النهار

— ٧ —

دعني . . . دعني ، انني اظهر من ان تمسني يدك وقد اكمل عالمي ، دعني ايها
النهار الاحمق العبوس الثقيل ، أفليست ساعة نصف الليل اشد منك اشراقاً ؟
يجب على الاطهار ان يسودوا العالم وهم المجهولون الاقوياء تكن فيهم ارواح
نصف الليل المشعة بأنوار اعمق واصفى من انوار النهار
ايها النهار ، انك حولي وتراود سعادتني لأنك تجديني انا المنفرد ينبوع
كنوز لا تفنى

أنت تطلبني ، ايها العالم ، وما انا بالعالمي ولا بالديني ولا بالآلهي ، ما اثقلك
أيها النهار وما اثقلك أيها العالم
لتذهب ايديكما على هدى ، لتذهب قابضة على سعادة اعمق وشقاء اعمق ،
لتذهب مسئولية على أحد الآلهة ولتدعني وشأني
أيها النهار ، ان سعادتني عميقة وشقاؤني عميق ولكنني لست إلهاً ولست
حتى جحيم اله ، وما اعمق اوجاع العالم

— ٨ —

أيها العالم الغريب ، ان اوجاع الآله اعمق من اوجاعك فاقبض على اوجاع الآله
ودعني وشأني ، فما انا الا قيثاره تفيض عذوبة وسحراً
أنا قيثاره نصف الليل ، انا جرس لا يفهم أحد بيانه وعليه ان ينطق امام
الصم ، وانتم ايها الراقون لا تفهمون ما أقول
لقد قضي الأمر وتوارى الشباب مع الظهيرة والعصر فخان وقت المساء وأقبل
الليل ونصف الليل ، وهذا الكلب وهذا الريح كلاهما يعوي
وهل الريح الا كلب يئن ويعوي ، فيا لصوت الريح من زفير وضحك
وحشجة عند انتصاف الليل

انها لشاعرة سكرى تجاوزت حدود النشوة وطال سهرها ، هذه الساعة
القديمة تداعب أوجاعها عند نصف الليل وتداعب أيضاً مسراتها ، والمسرّة عند
اشتداد الألم تفوق الألم شدة وعمقاً

لماذا تمتدحينني ، ايها الكرمية ، أفما قطعتُ جفنتك بقساوة فقطرت دماً
فما لثنائك يتجه الى قسوتي الثاملة ؟

أسمعك تقولين — كلُّ شيءٍ يبلغُ كماله ونضوجه يطلب الموت تبارك منجلُ
الكرام . فما يتمسك بالحياة الا ما لم يبلغ النضوج بعد
ان الالم يقول لنفسه مرّ وانقض ولكن المتألم يطلب الحياة قاصداً أن
ينضج ويصبح مرحاً مليئاً بالشهوات متشوقاً الى الأبعد والأعلى والأشد صفاءً ،
فكل من يتحمل العذاب يصيح « أريد ورثةً لي ، انما مقصدي هو أولادي
لا أنا » في حين أن المسرة لا تطلب ورثةً ولا اولاداً . لا تقصد المسرة الا ذاتها
ولا تتشوق الا الى الخلود ، الى عودة الأشياء بعد عبورها والى كل ما يشبه ذاته
مستقراً الى الأبد

يقول الالم : انحطم يا هذا : اقطر دماً ايها القلب اذهبي ايتها الساق وتطير
ايها الجناح بعيداً نحو الأماطي فما أنت الا آلامٌ واوجاع
فهيأ اذاً يا قلبي الهرم ما دامت الآلام تقول لك مرّ وانت . . .

أيها الرجال الراقون ما تُراكم تحسبونني ؟ أنبيء انا أم متوهم أم تأمل أم معبر
أحلام أم جرس يدوي في نصف الليل ؟
أنا ندى أم بخور من الابدية !
افما سمعتم ؟ افما شعرتم بان عالمي قد اكتمل ؟
ان نصف الليل هو الظهيرة ايضاً
ان الالم لذّةٌ واللعنة بركةٌ والليل شمسٌ مشرقة
ابتعدوا كيلا يقال عنكم ايضاً ان الحكيم مجنون
اذا كنتم احسستم بفرح فقد احسستم ايضاً بجميع الاتراح بجميع الاشياء
متسلسلة متداخلة متعاشقة

افما اشتبهتم ان تعود المرّة مرتين فتهتفم ارتياحاً للذّة الحين من الدهر
ولطرفة عين ؟ انكم بهذا التمتني وددتم لو تعود الاشياء جميعها ، متسلسلة متداخلة
متعاشقة . وهكذا احببتم العالم ، ايها الخالدون ، فكان حبكم ابدياً لا نهاية له .
قلتم للآلام ان تنقضي ولكنكم دعوتموها لتعود ، لأن كل لذّة تطلب الخلود

ان اللذات تطلب الخلود لكل شيء، فتريد عسلاً وخيراً وساعة تأمل في نصف الليل، تريد قبوراً وتريد الدموع تنسكب مؤاسية على القبور والشمس الجائحة بنورها الذهبي الى الغروب

واي شيء لا تتشوق اللذة اليه فهي اشد ظمأ وجوعاً من الالم وفيها ما ليس فيه من روعة واسرار، فاللذة تطلب ذاتها وتنهش ذاتها فهي إرادة تناضل في حلقة مفرغة، تريد حباً وتريد بغضاً، تتمتع بالسعة فتجود وتقذف بما تبذل، تتسول تسولاً لتهب نفسها وتشكر من يأخذها، فهي تشتهي ان تُقَابَل بالبغضاء

اللذة المتمتعة تشتهي الاوجاع والاحتراق في الجحيم والعار وكل ما عراه التشويه، فهي تلتهب بظماً الحياة، وما خفيت عنكم الحياة في هذا العالم ان اللذة الثائرة السعيدة تشنقكم ايها الراقون وتحن الى الأمم ايها الفاشلون لان اللذة الابدية تتشوق ابداً الى كل محاولة فاشلة، فهي تطلب ذاتها اذ تطلب الالم

انحطم ايها القلب فانت اللذة وانت الالم
تعلموا هذا ايها الراقون : ان اللذة تطلب الخلود
ان اللذة تطلب الخلود لجميع الاشياء، خلوداً لا نهاية له

أتعلمتم نشيدي الآن ! أدركتم مغزاه ؟
هياً إذا ايها الرجال الراقون، ترنموا بهذا النشيد، فهو نشيدي وعنوانه
« مرة أخرى » ومعناه « مدى الابد »

تغننوا جميعاً بنشيد زارا
ايها الانسان، كن على حذر
ماذا يقول نصف الليل ؟
« لقد استسلمت طويلاً للوسن
« وها أنذا انتبه من رقادي
« ان العالم جد عميق

« فهو اعمقُ مما يعتقد النهار
« والآمه عميقة
« واللذة اعمقُ من الآلام
« يقول الألم — مرّ يا هذا وانقض
« ولكن ليس من لذة لا تطالب الخلود
« خلوداً لا نهاية له !!!

الذير

وفي صبيحة اليوم التالي نهض زاراً من مرقد فشدّ حقويه بنطاق وخرج
من غاره ملتعباً قوياً كالغزالة التي كانت حينذاك تذر قرنّها من وراء الغمام
وانتصب زارا يناجي الشمس كما ناجها من قبل قائلاً :
« لو لم يكن لك من تنيرين . أكانت لك غبطة ايّتها المقلّة المتوهجة بانوار
السعادة »

افما يعزُّ عليك أيها الكوكب العظيم أن يبقى من تنير في مكامنهم وأنت
طالع لتهب الأنوار وتنشرها على العالمين
لقد نهضتُ انا اما هؤلاء الرجال الراقون فلا يزالون مستغرقين في نومهم ،
أفيكون هؤلاء الرجال رفاقي الصادقين ؟ لا ليسوا هم من انتظر بين هذه الجبال
أريد ان ابدأ عملي من أول نهاري وهم يجهلون نذير صباحي وصوت
اقدامي لا ينذرهم بالشروق

إنهم راقدون في غاري ولم تزل أحلامهم ترتوي من نشيدي في نصف الليل
فليست آذانهم بالأذان المرفهة لسماع اقوالي
وكان زارا ذاهباً في نجواه والشمس تصعد في الافق فاذا به يسمع صرخة
نسره على الذرى فقال : لقد انتبه معي نسري وأفعواني للتسبيح امام الشمس في
شروقها ، فالنسر يقبض بمخلبه على النور الجديد ، انني احب الحيوان الصادق
ولكن أين رجالي الصادقون ؟

وفي ذلك الحين أحس زارا كأن زرافات من الطيور تدور به واشتد
خفيف الاجنحة حول رأسه حتى اضطر الى اغماض عينيه . فاذا به يشعر بوقع

سهام عليه كأنها مفوقة من قوس عدو جديد وما كانت تلك الوخزات الا مداعبة
طغيات الحب للحبيب الجديد

فقال زارا في نفسه وقد استولت الحيرة عليه :

— ما أَلَمْ بي يا تُرى ؟

وقعد باحتراس على الحجر الكبير أمام باب غاره ، وبدأ يلوح بيديه ليردِّ
عنه الطيور المتدافعة بحنانها اليه ولكنه شعر بان راحته تغوران في لبدَةٍ
وسمع من ملمس يديه زئير أسدٍ ، زئيراً ملؤه اللطف والحنان
فصاح زارا — لقد جاء الانذار

وأحس بقوة تبدل من قلبه . ففتح عينيه فاذا بوحش ضخم اصفر اللون
ممدد عند قدميه وقد أسند رأسه على ركبتيه كأنه كلبٌ وجد صاحبه القديم
فلازمه لا يريد عنه انفكاكا

وكانت اسراب الحمام لا تزال تتطاير حول زارا واذا أصاب جناح احدها
انف الأسد كان الأسد يهزُّ رأسه مندهشاً ويستغرق في ضحكه
عند هذا المشهد لم يقل زارا غير كلمة واحدة « لقد اقترب ابنائي » وصمت
صمتاً عميقاً . غير انه أحس بسقوط حمل ثقيل عن قلبه فأنهمرت دموعه غزيرة
تبلاً راحته ، وذهل عن كل ما حوله لا يبدي حراكاً فجاءت طيور الحمام تقع على
كتفيه وتداعب شعره الأبيض ولاتني تغدق عليه عطفها وحنانها . وكان الأسد
مستمراً في ارسال لسانه على راحتي زارا مجففاً ما عليهما من دموعه وهو يزأر
متمهلاً خاشعاً

وطال هذا الموقف ولعله لم يطل فليس لمثله على الارض من زمان
وكان الرجال الراقدون نهضوا من رقاهم في هذه الاثناء وتهبأوا للخروج الى
زارا ليقدموها له تحية الصباح ، ولكنهم ما أطلوا من باب الغار حتى وثب الأسد
وهجم عليهم وهو يزجر فصرخوا جميعاً والذعر يملأ روعهم وتراجعوا ثم
اختفوا عن العيان

ونهض زارا عن معقده وقد استولى عليه الدهول فادار لحاظه في كل جهة
وهو يتساءل عما جرى له وعما رأى وسمع ثم تاب اليه رشده فأنجلت امامه حوادث
يومه فقال وهو يمرُّ انامله على لحيته :

— في صبيحة أمس كنت جالسا على هذا الحجر فتقدم العراف الي وسمعت

لأول مرة صراخ الاستنجاد فيا ايها الرجال الراقون ، ان ما أنبأني العراف به
أمس انما كان فشلكم لا غير وقد اراد ان يقودني نحوكم لتجربتي فقال لي :
اي زارا لقد اتيت لاوقعك في آخر اخطائك
وقهقه زارا ضاحكاً غاضباً من كلمة « آخر اخطائك » وتساءل عما تحتفظ
هذه الخطيئة له !

وماد فاستوى على الحجر الكبير واستغرق في تفكيره ثم نهض بغتة وهو
يهتف

« هي الرحمة ! الرحمة للرجال الراقين !
وظهرت قساوة الفولاذ على سيمائه فقال :
« لقد كان للرحمة زمانها »

آية اهمية لشهواتي ورحمتي ، ما انا طالب سعادة، إنَّ ما اسعى اليه هو المهمة
التي وضعتها نصب إرادتي
والآن وقد جاء الأسد ، فقد اقترب زمان ابنائي . اما انا فقد بلغت النضوج
ودنت ساعتي !

هذا هو الشفق يلوح على صبيحتي وقد طلع نهاري . فاشركي بانوارك ايتها
الظهيرة العظمى
هكذا تكلم زارا وهو يبارح مغارته مليئاً بالعزم والقوة كشمس الصباح
المنبثقة من وراء الغيوم

انتهى

ملحق

لقد أُخِذَت الشذرات التي خُصص هذا الملحق لها من مفكرات فردريك
نيتشه الخاصة ولعله دوَّنها ليكتب رسالة يوضح فيها ما يجلو الإيهام في بعض
أقوال زرادشت وقد رأينا إلحاقها بهذا الكتاب تكملة لها شأنها لأدراك نظريات
هذا الفيلسوف

لقد تزعزعت الأهداف جميعها ، وذهبت التقديرات في ميادين التفكير
متصادمة متناقضة
يُدعى صالحاً مَنْ يتبع ما يوحي اليه قلبه كما يُدعى صالحاً ايضاً من لا يصيخ
الاً لصوت الواجب
يُدعى صالحاً الرجل اللطيف المسالم كما يدعى صالحاً ايضاً الرجل الجسور
العنيد القاسي
يُدعى صالحاً مَنْ لا يكبت نزواته كما يدعى صالحاً ايضاً من يتحكم
فيها
يُدعى صالحاً من يطمح الى الحقائق مطلقاً كما يدعى صالحاً ايضاً من يموء
مظاهر الاشياء
يُدعى صالحاً مَنْ يجاري نفسه كما يدعى صالحاً ايضاً من يتصف بالخشية
والتقوى
يُدعى صالحاً الرجل الممتاز النبيل كما يُدعى صالحاً ايضاً الرجل الذي لا يحتقر
احداً ولا يترفع على احد
يُدعى صالحاً الرجل الطيب الذي يتقي الجدَل كما يُدعى صالحاً ايضاً الرجل
المتشوّق ابدأ الى العراك والظفر
يُدعى صالحاً مَنْ يطمح الى المقام الاول ويُدعى صالحاً ايضاً مَنْ لا قبل
له بالانتفاع مما يلحق الضرر بسواه

إن في الإنسان قوةً عظيمةً من الحوافز الأدبية غير أنها لا يجد لها
هدفاً واحداً تتجه باجمعها إليه فهي تذهب متعاكسة متناقضة لأنها نشأت من
شرائع تعددت ألواحها
في العالم قوة أدبية لا حد لها ولكن العالم قد حُرم من مقصد واحد يُبذل
هذه القوة في سبيله

لقد هُدمت الأهدافُ جميعها ، فعلى الإنسانية أن تقيم لها هدفاً ومن
الخطأ أن نعتقد بوجود غاية ترمي الإنسانية إليها حيث لا هدف . لقد أقامت
جميع الفرق لنفسها غاياتٍ غير أن هذه الغايات اضمحلت جميعها بتبدل حالاتها
الأصلية

إن العلم يهدي السبيل ولا يدلُّ على الهدف غير أنه يورد من المبادئ ما
يصور الغاية تصويراً

عَقم القرن التاسع عشر
ماصادفتُ حتى اليوم رجلاً أتى بمَثَلٍ أعلى جديد ، غير أن الموسيقى الألمانية
فتحت مجالاً لا مآلي وأولتني الاعتقاد بأنها ستوحد بين القوى
إن نظرة واحدة تكفي المتأمل ليرى أن كل شيء يتداعى ، فيجب أن يعمل
الهادمون بطريقة تدع للاقوياء مجالاً لإقامة الحياة على شكل جديد

إن انحلال المبادئ الأدبية ينتج عنه بالفعل تفكك الشخصية في الفرد وفي
المجموع فيسود الاضطرابُ كلُّ شيء لذلك لا بد من وجود غاية يتجه الاستقرار
نحوها ، لا بد من محبة جديدة

— ٦ —

لقد كنت أتنفس بمشرجة المختنق ومبادئكم الأدبية معلقة فوق رأسي
فعمدت الى قتلها كما تقتل الأفاعي ، أردت الحياة فوجب علي أن اموت

— ٧ —

ما دمنا في حاجة الى العمل والقيادة ، فليس لنا ان نستغني عن الشخصية
الأدبية ، ولا بد لنا من الرضى بالواقع لأن القائد لا يسير الى ما وراء هدفه
اذا هو لم يجد لذّة في عمله

— ٨ —

ليس من احد يرضى بتحمل تبعه العمل اذا لم يصدر به امر ولكن
الناس يهرعون جميعاً الى القيام بأصعب الأعمال اذا امرتهم انت

— ٩ —

لمن صعب الامور ان يتغلب الانسان على ما كمن فيه من ماضي الزمان
فينظم الحوافز لدفعها متحدة الى هدف واحد ، ذلك لان هذا العمل لا يقوم على
الغاء الغرائز الشريرة فحسب بل يستدعي منك ايضاً ان تمحو الغرائز الطيبة لتعود
الى بعثها

— ١٠ —

حذار من الطفرة على مسلك الفضيلة ، فعلى كل فرد ان يسير في طريقه وإن
جنح عن طريق الآخرين دون ان يطمح الى بلوغ الذروة وحده اذ على كل سائر
ان يكون جسراً للمتقدمين وقدوة للمتأخرين

— ١١ —

قد يصبح الانسان العادي السطحي محتملاً ولا بأس به اذا هو اتجه بإرادته

— ٢٧٧ —

الى اعانة سواه والإشفاق عليه راضياً بالطاعة مبتعداً عن التهجم ، فأحذر ان
تزعزع اعتقاد مثل هذا الانسان بان هذه الصفات انما هي الفضيلة بعينها

— ١٢ —

اذا امكن للانسان ان يجعل للعمل قيمة ، فكيف يتسنى للعمل ان يجعل
الإنسان ذا قيمة

— ١٣ —

إن المباديء الأدبية تُشغل من لا قبل لهم بالاستغناء عنها فهي جزء من
اسباب حياتهم ولا يمكن لأحد ان يدحض اسباب الحياة . . . الا اذا كانت
معدومة أصلاً

— ١٤ —

لو صحَّ ان ليس في الحياة ما يستحق التمسك فيه ، لكان ذو المباديء
الأدبية يلحق الضرر ببناء جنسه من جرّاء غيبيته وفضيلة إحسانه ليستفيد من
هذا الضرر لنفسه

— ١٥ —

إن الأمر بمحبة القريب معناه لا تهتمّ لقريبك ، وعدم الإهتمام بالقريب انما
هو أصعب ما تقضي به الفضيلة

— ١٦ —

إن الانسان الشرير انما هو طفيليّ ، وليس من النبيل الاّ يحيا الانسان الاّ
ليتمتع بالملذات

— ٢٧٨ —

إن العاطفة النبيلة تصدُّنا عن أن نحيا للتمتع بالملذات فقط ، إذ علينا أن
نقوم بشيء لقاءها ، ، ولكنَّ طبقة العامة تعتقد بأنَّ للإنسان أن يحيا دون أن
يتقاضى الحياة شيئاً وفي هذه العقيدة علة انحطاطها

أن الإنسان المنحط يخضع للسُّنن المتناقضة ، فإذا شئت أن تزرع الفضيلة فيه
وجب عليك أن تسلخه عن حياته إرغاماً وتسوده طغياناً

الحق المطلوب :

يجب أن تتم الشريعة الجديدة ، ولن تتم إلا بزوال الشرائع العليا وزرادشت
ينتصب بوجهها لالغاء شريعة الشرائع وهي الآداب
إن الشرائع في مقام السلسلة الفقرية من المجتمع لذلك وجب أن نوحدها
بالقضاء منها على ما كان يخضع له الإنسان حتى اليوم بسائق العبودية

يجب أن يكون زرادشت في الانتصار على نفسه قدوةً تتبعها الإنسانية
للانتصار على نفسها في سبيل الإنسان المتفوق لذلك وجب على الإنسانية أن تتغلب
على المبادئ الأدبية

ما هي سيماه المشرع وما هو ارتقاؤه وما هي آلامه ؟ وما هو معنى الاشتراع
بوجه عام ؟
ليس زرادشت إلا نذيراً بمشرعين عديدين

عناصر مختلفة :

١ — الحاكمون ، وهم مَنْ لا يتوقون إلا إلى الصور التي يبدعونها . لأنهم غزروا المادة مطلقون يتفوقون على ما هو كائن

٢ — المطيعون ، وهم المتحررون الذين يجدون سعادتهم في الحب والاحترام ويدركون معنى الرقي — وعليهم ان يتجهوا بالتأمل الى الغاء ما فيهم من عيوب

٣ — المستعبدون ، وهم الطبقة المستخدمة — وعليهم تأمين رغد العيش وإيجاد الرحمة بين افرادهم

الواهبُ والمبدع والمعلم ثلاثةٌ يندرون بقدم مَنْ سيسود

كلُّ فضيلة وكل انتصار على الذات ليسا إلا تمهيداً لطريق مَنْ سيسود

كل ضحية يقوم بها السائد تُحتسب له مئة ضعف

إذا ما قام قائد الجند او الامير او المسؤول تجاه نفسه بتضحية فقد حق له ان يُمجّد على ملائمة الاشهاد

إن خارقة السائد الذي يثق نفسه هي انه يقيم فيها صورة للشعب الذي يطلب السيادة عليه ، حتى اذا تجلّت هذه الصورة للشعب أسلس له قياده

— ٢٨ —

يعمل المثقف الكبيرُ عمل الطبيعة في ما يعترض سيرها ، فيدع للحوائل
مجالاً للتراكم حتى يتغلب عليها

— ٢٩ —

ليس المعلمون المجددون إلا الخطوط الأولى يضعها الرسام الأعظم فتبقى
هذه الخطوط مطبوعة على غرارهم

— ٣٠ —

إن ما يؤسسه عظماء الافراد يبقى مجسماً لشخصيتهم الى أن ينمو ويأتي
بثامه

— ٣١ —

يحاول الناس ابداً ان يستغنوا عن الأفراد والعظماء فيتوسّلون بإنشاء الجمعيات
والهيئات ولكنهم يبقون مطلقاً تابعين لهؤلاء الأماثل فينسجون على منوالهم

— ٣٢ —

إن الأهداف الاجتماعية ترجع بالإنسان القهقري ، فهي توجد طبقة عاملة
وتخلق نوعاً من الناس لا بدّ من عبوديته في المستقبل

— ٣٣ —

ليس من ظلم أروع من حق المساواة بين الجميع لانه يقيم نظاماً يُنزل الإِرْهاق
الأشدّ بأهل الرقيّ

— ٣٤ —

ليس في الكون ما يصبحُ ان يُسمى حقّ الأقوى لان الأقوى والأضعف
متساويان في أنّ كلا منهما يمدُّ سلطانه على قدر استطاعته

— ٢٨١ —

تقديرٌ جديدٌ للإنسان : السؤال أولاً
عن عدد القوى الكامنة فيه
عن عدد الغرائز المختلفة
عن مؤهلاته المؤثرة ومؤهلاته المتأثرة
ما هي مميزات رب السيادة ؟

إن زرادشت مرتاحٌ إلى انتهاء العراك بين الطبقات واستتباب النظام على
أساس الميزة الفردية ، وقد كانت الخطوات الأولى نحو التمهيد للشعبية مليئة
بالاحقاد ، فلم يبقَ الآن بعد اجتياز هذه المرحلة الموفقة إلا القيام بعمل آخر
فيه حلُّ المشكل الاجتماعي

إن تعاليم زرادشت قد وجهت إلى الطبقة المعدّة للسيادة في آتي الزمان لأن
على مَنْ سيحكمون الأرض أن يقوموا مقام الآلهة ليخلقوا في الطبقة المحكومة
الثقة التامة الأصيلة . فعليهم أولاً أن يهدوا سبل السعادة لمن هم دونهم بتضحية
لذاتهم وراحتهم وعليهم أن ينقذوا مَنْ لا يصلحون للحياة بالقضاء عليهم دون
إمهال ثم ينشرون أدياناً وطرائق تتوافق وكل حلقة من سلسلة المجتمع

إن جهاد السائد إنما يكون في توفيقه بين محبته لمن حوله ومحبته لمن
سيأتون في المستقبل البعيد
إن صلاح المبدع لا يتحمّل التجزئة فهو صلاحٌ واحد ولكنه يتناول
الأقربين من جهة ويمتد إلى الأبعدين من جهة أخرى

يقوم الشعور بالسلطان على نضال بين أقانيم الذات للاهتمام إلى الفكرة التي
تتعالى كالنجم على سهى الإنسانية وما الذات إلا الأولية المتحركة

ان زرادشت يدعو الى الكفاح للاستفادة من السلطان المتجلى في البشرية

ان بلوغ المثل الأعلى انما يقوم على الكفاح في سبيل السلطان على منهج لا
يناقض هذا المثل

ان سُنة الرجوع انما هي مدارُ القطب للتاريخ

ان مجال الحقيقة ينفرج بغتة امام البصائر ، فالمعرفة الصعبة المنال تتحصن
في السريرة وتكفل مناعتها بالتحوط والتخفي ، وقد عشتُ حتى الآن ونفسي
تواري شيئاً عن نفسي . غير أن ما بذلته من جهد مستمر في رفع الصخور أولى
غريزتي قوة لا حد لها وها انذا أقلب الصخر الاخير ، وها انذا امام الحقيقة
وجهاً لوجه

استغاثة الحقيقة من اعماق اللحود — لقد اوجدنا الحقيقة بيعثها من
مرقدتها فكان في ذلك اشدُّ مظهر للشعور بالسلطان فيجب علينا احتقار التشاؤم
على ما فهم الناس منه حتى اليوم

إننا في عراق مع الحقيقة — وقد رأينا أن لا سبيل للصبر عليها إلا
بإيجاد الانسان الذي يقدر على احتمالها ، والأ فلا بد من ان نعود الى
الوقوف أمامها مبهورين حتى تورثنا العمى ، وليس بوسعنا ان نقف هذا الموقف
بعد الآن

لقد أوجدنا الفكرة التي كلّفنا أوفر الجهود فلنبذل عن الآن انساناً يستخفُّ
حملها فتوليه السعادة

واذا ما اردنا التمتع بسلطان الإبداع وجب علينا ان نمنح انفسنا من الحرية
ما لم تُمنَحْهُ في أي زمنٍ من الازمان ، ولن نبليغ ما نرجو ما لم نطرح عبء
المباديء الادبية ونكتسب الرشاقة بالحبور ، يجب علينا ان نشعر بما نتوقع لآتي
الزمان ونمجّد المستقبل دون الماضي ، علينا ان نصوّر بأجل بيان شعريّ أسطورة
المستقبل فنحيا بجميل الامل نعيش به زمنا رغداً ثم نسدل الستار ونحوّل تفكيرنا
الى الأهداف القريبة المعيّنة

— ٤٣ —

على الانسانية ان تنصب هدفها ما وراء مجالها الحالي لا في عالم الأوهام بل في
امتداد كيائها نفسه

— ٤٤ —

كلما أوجدت ارادةً تندفع الى الآتي ووجدت حوّلها يبيّتها ولزم أن تتوقع
حدثاً عظيماً

— ٤٥ —

ان ما فطرنا عليه هو ان نخلق كائنات يتفوّق علينا . تلك هي غريزة الحركة
والعمل . وكما ان كل ارادة تستلزم افتراض هدفٍ لها هكذا يدعو وجود
الانسان الى افتراض كائنٍ لم يوجد بعد وهو هدف حياة الانسان نفسه
إن في الهدف مستقراً للحب وللإحترام وفيه مكنٌ للشوق ومنه تنبعث
رؤى الكمال

— ٤٦ —

ان ما أطلب به هو خلق أناسٍ يعتلون فوق كل نوع إنسانيّ وعلينا ان
نضحّي في هذا السبيل انفسنا وأبناء جنسنا

— ٢٨٤ —

ان للآداب التي سادت حتى اليوم حدودها في مجال الزمان والمكان فقد كان لها نفعها لانها سارت جميعها بالجنس البشري الى حالة الاستقرار المطلق ، ولهذا وجب ان يُقتلع الهدف لتركيزه على موقع أرفع

ولا اجد فائدة من العمل على ايجاد المساواة بين الناس ، بل ادعوا بعكس ذلك الى تقوية الفروق وتعميق المهادي لالغاء المساواة وخلق الرجال الاشداء ، وبهذا يولد الانسانُ المتفوقُ

وما نقصد ان تصير الانسانية الى حالة يتسلط المتفوقون فيها على المتقهقرين ، بل يجب ان تبقى الفيئتان مفترقتين قدر المستطاع فلا تهتم إحداها بالآخرى ، فيستتب الامر على مثال ما تصوّره ابقراط لآلهته

— ٤٧ —

ان للانسان المتفوق في دائرته العليا ما يقابله في الدائرة السفلى من جنسه . فقد أوجدتُ المتفوق والمتقهقر في آن واحد

— ٤٨ —

كلما ازدادت حرية المرء وانجلت ارادته ازدادت مطالبُ شوقه حتى تؤدي به الى مرتبة التفوق اذ يصبح كلُّ ما هو دون هذه المرتبة عاجزاً عن ارضاء محبته

— ٤٩ —

في وسط الشوط يولد الانسان المتفوق

— ٥٠ —

لقد سادني الاضطراب بين الناس فكنت أود الحياة بينهم ولا اجد ما يرضيني فيهم ، فذهبتُ الى العزلة حيث انفردت بنفسي وأبدعت الانسان المتفوق ، ملقياً عليه ستار التحولُ تشعُّ فوقه انوار الظهيرة

— ٢٨٥ —

اننا نريد ان نخلق كائناتاً نحوطه بالحب جميعاً ونحنو عليه ، لذلك وجب علينا
ان نحترم انفسنا
لنضع نصب اعيننا هدفاً نتبادل الحب من اجله ولنُعرض عن سائر الاهداف
فانها أولى بالهدم

إنَّ مبدأً زرادشت هو ان خير الناس اقوامهم جسماً وروحاً فيجب ان
نستثمر منهم الآداب العليا : آداب المبدعين . ان زرادشت يريد استعادة خلق
الانسان على صورته ومثاله . و ارادته هذه تنمُّ عن اخلاصه

ان العبقرية لتجد في زرادشت مجسم تفكيرها

ان العزلة الى حين ضرورية لاتساع الذات وامتلائها فالعزلة تشفي ادوائها
وتشدّد عزمها

يجب ان تُبنى الجماعات على اساس العراك والنضال والّا فصيهرها الى الاقدام
على الملاهي والتراجع امام كل هجوم . انني ادعو الى الحرب حرباً لا حديد فيها
ولا نار تتقارع فيها المبادئ ويتبارى اصحاب الافكار في ميدانها

يجب ايجاد فئة النبلاء بانتخاب الأصلح واختيار مراسم جديدة لتأسيس
الاسرة

تقسيم النهار تقسيماً جديداً ونشر الرياضة بين الجميع كباراً وصغاراً واعتبار
النضال مبدأً اولياً

النظر الى المحبة الجنسية كجهاد من اجل مَنْ سيأتون بعدنا

تعليم التسلط قساوةً ولطفاً ، وعند نوال قوة التحكم في حالة ، السعي الى
نوالها في الحالة التي تليها

اقتباس ما يمكن اقتباسه عن الاشرار وفتح مجال للنضال أمامهم ، اذ يجب
استخدام المنحطين ايضاً

يجب ان يرسو حق العقاب على اتخاذ المجرمين ادوات للتجارب العلمية —
ومنها التجارب لايجاد طريقة جديدة للتغذية — وبذلك يبرر استخدام الفرد
لخير المجموع

إننا نعامل بالمداراة مجتمعنا الجديد لانه معبرٌ يؤدي الى المثل الأعلى في
آتي الزمان ، وما نعمل نحن وندفع بالآخرين الى العمل الا في سبيل هذا المثل
الأعلى

— ٥٥ —

وجود الطرق والوسائل للاندفاع الى ما وراء الانسانية ، وعلينا ان نجد من
الانسان نوعه الاعلى والاشد

يجب ان تتمثل ابدأ بما في الأصغر من نزوع الى الافضل ، الى التكامل
والنضوج ، الى الصحة وإشعاع القوة

يجب ان يعمل كل واحد عمله اليومي بعاطفة الفنان لا بلاغ ما يقوم بصنعه
حدّ الكمال والنظر الى ما يجب صنعه بدون مغالاة كما يليق باهل الاقتدار

— ٥٦ —

تذرعوا بالصبر فان الإنسان المتفوق مرتبتكم التالية فيجب عليكم ان تتصفوا
بالاعتدال والرجولة

لنرفعنَّ الانسان فوق مستواه أسوة باليونان فلا نطمح الى الخوارق العقلية ،
وخيرٌ لنا أن نستبعد العقل الراجح اذا قيدَه الخلقُ الضعيف والأعصاب المتهدمة ،
وليكن هدفنا إنماء الجسد كله لا الدماغ وحده

— ٢٨٢ —

ما الانسان الا كائنٌ يجب التفوق عليه ، نظرةٌ الى خطوات اليونانيين
المتزنة بلا تسارع ولا ابطاء
نظرة الى طلائعي : هرقليت وامبيدوكل وسبينوزا وغوته

- ١ — التضجرُ من الذات . ترياقٌ ضد الندم . تحويل الامزجة « الوسائل
الغير العضوية » . الارادة في عدم الارتياح . يجب ان يصل عطشنا الى اشد
حالاته قبل ان نحاول اكتشاف ينبوع لاروائه
- ٢ — تحويل الموت ليصبح وسيلة للظفر والمجد
- ٣ — المرض وما يتخذ مجاهه . حرية اختيار الموت
- ٤ — الحب الجنسي كوسيلة لبلوغ المثل الاعلى « التشوق الى الفناء في القوة
المعاكسة » محبة الالهية المتألمة
- ٥ — التوليد كآقدس الاعمال ، الحبلى . ابداع الرجل والمرأة الذين يتجهان
بايجاد الطفل الى التلذذ بوحدهما ورفع هيكل لاتحادهما
- ٦ — الاشفاق كخطر . ايجاد الاحوال الملائمة ليتمكن كل فرد من معونة
نفسه ومن التمتع بحريته في قبول المساعدة أو رفضها
- ٧ — الثقافة في اتجاه الشر ليثير الانسان شيطانه الكامن
- ٨ — الجهاد الداخلي كوسيلة للرقى
- ٩ — حفظ النوع وفكرة العودة المستمرة

سنةٌ اوليةٌ : تخطي المراتب دون طفرة وبلوغ الكمال في كل مرتبة بالشعور
بالارتياح فيها
العمل اولاً في التشريع . ان فكرة العودة المستمرة فكرة بعد الوعد
بالانسان المتفوق مروعة ولكنها اصبحت مقبولة الآن

ان الحياة نفسها قد اوجدت فكرةً هي أصعب ما تحمل الحياة لأنها تطمح الى تذليل اعظم عقباتها ، وهي ان يطلب الانسان العدم ليتمكن من العودة الى الوجود يوماً

لتكن حياتك عبارة عن تحول في ألف روح ، وليكن هذا ما قُدِّرَ عليك ، فتصبح ارادتك منصبةً على قبول هذه الحلقات المتوالية

ان أعظم ما نطمح اليه هو ان نرضى بمخلودنا ونتحمّله

ان الفترة التي اتيت فيها بفكرة العودة المستمرة انما هي فترة خالدة أحتمل من اجلها هذه العودة

ان مبدأ العودة المستمرة يرهق النبلاء لأول وهلة لأن هذه العودة تؤدي في الظاهر الى القضاء عليهم للاستبقاء على مخلوقات سخيصة أقل ضرراً — ولعل النبلاء يقولون « يجب إبادة هذا المبدأ وقتل زرادشت »

يتردد اتباع زرادشت ويقولون « سنتوصل الى الاعتياد على هذا المبدأ غير انه سيدفع بنا الى القضاء على العدد الاوفر من الناس »
يضحك زرادشت ويقول « لقد وضعت المطرقة في يديكم وعليكم ان تستعملوها »

انني لن اخاطبكم كما اخاطب الشعوب لان كل شعب يقضي على نفسه باحتقارها
ويتبادل الشعوب الاحتقار فيُفني احدهم الآخر

ان طموحي الى فعل الخير يضطرنني الى الصمت غير ان ارادتي المتجهة الى
ابداع الانسان المتفوق تأمرني بان اتكلم واضحي حتى من أحب
عليّ ان اتطبع وأتحوّل فاطبّعكم واحوّلکم ولا سبيل لنا بغير هذا الى
احتمال هذا الانسان المتفوق

منشأ الانسان الراقى . ان ثقافة الرجل الافضل تقوم على الألم الأشد . بيان
عن المثل الاعلى الذي يتجه اليه زرادشت ويستدعي ما تحمّل من تضحية في سبيله
اذ ترك مسقط الرأس والاسرة والوطن . الحياة عرضة لتحقيق الفضيلة السائدة .
آلام التجارب وصدّات اليأس ، التخلي عن الملاذ التي تتاح للانسان عند اتجاّحه
الى المثل الأعلى القديم ، وهي ملاذ يتذوّق منها الحرّ طعم الاشياء المضرة او
يشتم منها نكهة غريبة

ان القلب المبدع قد أولى الاشياء قيمتها ومعناها ، ثار شوقه فعمد الى
الابتداع موجداً اللذة والألم ثم طمح الى إشباع شهوته المأ
فعلينا ان نتحمّل كل ما أحس به الانسان والحيوان من آلام فيما مضى ،
وعليّنا ان نجعل لهذه الآلام صفة مثبتة وان نقيم لنا هدفاً يبرر احتمالنا لها

من الأوليّات « إن بوسعنا ان نعتبر الألم نعمة والسُّم غذاء . نظرة في
اودة الألم

إن الأعداد اللآتي يستلزم بطولة ولا سبيل لان يحتمل الانسان نفسه اذا
هو لم يتشوّق الى الرقي المطلق
علينا الا نكتفي بالاتجاه نحو الرقي في حالة واحدة ، اذ من الواجب ان
نطمح الى مجاراة الحياة فنصير الى إعداد انفسنا لتكرار الرجوع في حالات
متعددة

علينا الا نهتمّ بأراء الغير لاننا نعرف ما هي مقاييسهم وموازنينهم ، واذا
كنا نحن موضوع هذه الآراء وجب علينا ان نتلقاها بالاشفاق على أربابها

على الأتباع العاملين لنشر المباديء ان يتصفوا بثلاث صفات : الإخلاص
والقدرة على التفاهم والتساوي في المعرفة

وصفُ الانسان الراقى على مختلف انواعه ، وما يعتوره من انحطاط وما يهدده
من عوامل الفناء . إيراد أمثلة عديدة « كدوهرين » الذي أردته العزلة
ذكر ما قدّر على أهل الرقي في هذا العصر واتجاههم الى الانقراض . صوت
الاستنجاد الموجه الى زرادشت . انواع التدني في الرقي

الرجال الراقون الاجتماعون في محنتهم الى زرادشت

محاولة التقهقر قبل الأوان بالدعوة الى الإشفاق
١ — جوابة الآفاق النائه المضطرب المتناسي حبّ شعبه في حبه لشعوب
عديدة — الاوروبي الحقيقي

- ٢ — ابن الشعب العبوس الطموح اللاجئ الى العزلة كيلا يعمل على الهدم
— انه عدّة للعمل
- ٣ — اقبح العالمين، الذي يجد نفسه مضطراً للترّين والتفتيش ابدأ على اساس
جديد، فهو يطمح الى الظهور بمظهر لا يورث النفرة ولكنه يلجأ
الى العزلة اخيراً كيلا يراه احد — انه يستحيي نفسه
- ٤ — عاشق ما يقع تحت الحس « دماغ العلقه » انما هو الضمير الفكري
المرهق داؤه التطرف — فهو من يطلب انقاذ نفسه من نفسه
- ٥ — الشاعر الطامح الى لذة الحرية، يختار العزلة اخيراً طلباً للمعرفة
القاسية
- ٦ — مخترع العقاقير المسكرة، انه الموسيقي الساحر الذي ينتهي به حاله الى
الإنطراح امام قلب محبٍ هاتفاً :
« لا تأت اليّ فاني اريد ان اقودك الى غيري »
وهناك ايضاً الزاهدون الذين يشتهون السكر ولا قبل لهم به لانهم قد
تجاوزوا حدود الزهد
- ٧ — العبقرى « باعتبار العبقرية إغراق في الجنون » انه الانسان المستحيل
الى جليد لفقدانه الحب
« ما انا بالعبقرى ولا بالاله »
الحنان الأعظم بازدياد الحب
- ٨ — الغني الذي يهب كل ما يملك ثم يدور قائلاً لمن يصادف « اذا كنت
ثرياً فاعطني نصيبي » ذلك هو الغني المتسول
- ٩ — الملكان يتخيلان عن الملك قائلين « اتنا نفتش على من هو أليق
للحكم منا »
- لا وجود للرجل العظيم فلا وجود اذاً للتعظيم
- ١٠ — المتظاهر بالسعادة
- ١١ — العرّاف المتشائم الذي يرى الضيم أيا ن اتجه
- ١٢ — مجنون المدينة العظمى
- ١٣ — الشاب على الجبل
- ١٤ — المرأة المفتشة على الرجل

١٥ — العامل وحديث النعمة الناحل الحسود

١٦ — الصالحون
١٧ — الأتقياء
١٨ — القدّيسون
جنونهم في سبيل الله أو بالحري في سبيل انفسهم

— ٧٤ —

لقد بذلت لكم الفكرة الثقيلة المرهقة المؤدية الى فناء الانسانية فهل تُبعث
هذه الانسانية يا ترى بعد تدليل عقباتها والقضاء على العناصر القاتلة للحياة ؟

لا تدموا الحياة بل وجهوا الذم الى انفسكم

ما يجب ان يستقر عليه الانسان الراقى بصفته مُبدِعاً ، تنظيم جماعة الراقين
وتثقيف من سيؤول الحكم الى يدهم يوماً

لتفوّقكم ان ينعم بما يأتيه من تحكّم ومن تبديل
ان الانسان سيعود تكراراً وابدأ وليس هو العائد فحسب بل الانسان
المتفوّق ايضاً

— ٧٥ —

ان العزلة بأنواعها السبعة انما هي المحنة الخاصة بالمصلحين وهي تغزيهم ايضاً
فالمصلح يتعالى فوق الازمنة وارتفاعه يقيّض له الاتصال بجميع المصلحين
والمجهولين في كل زمان ، وليس له من وسيلة للدفاع عن نفسه الا جماله ، فهو
يقبض على آلاف السنين الآتية ويزداد حبه كلما امتنع عليه ان يفعل الخير بدافع
هذا الحب نفسه

— ٧٦ —

ان زارا لا يتململ في صبره وهو ينتظر قدوم الانسان المتفوّق بل يتوقع
هذا الحدث مطمئناً وقد اتجهت كل حركة شطر هدفها متكاملةً مُسدّدة الخطى
إن النهر العميق هادي في سيره ، ولا صغر الامور ما يبررها

— ٢٩٣ —

في القسم الثالث من زرادشت ، يجب استعراض كل اضطراب وكل شهوة
جائعة وكل أشمزاز والتغلب عليها
ما كان اللطف والحنان في القسمين الاول والثاني الاً دليلاً على القوة التي لم
تتوصل الى الوثوق من ذاتها
عند بلوغ زرادشت الشفاء ، يتجلى « القيصر » بكل صرامته وكل خيره
وحنانه . وعندئذ يتهدم الحائل ما بين قوة الابداع والحنان والحكمة . فيسود
الجلاء والطمانينة وتضمحل الشهوات الجائعة وهكذا تبلغ السعادة الخلود اذ
يُحسن الانسانُ التمتع بها

— ٧٧ —

زرادشت « القسم الثالث »
لقد بلغت السعادة بنفسي
عندما أبتعد عن الناس عاد الى نفسه ، فكأن غمامة انقشعت من جوّه
الحياة التي يجب على الانسان المتفوق ان يتمتع بها ، انما هي حياة إله
« ابقراطي »
ان ما يرد في هذا القسم الثالث انما هو وصف الآلام الالهية . ولم تذكر
احوال المشترع الانسانية الاً على سبيل المثال ، فانه يرى اخيراً ان محبته
لأصحابه علة تشفى منها فيعود الى الراحة والسكون ، وعندما تأتية الدعوة ينسحب
على مهل

— ٧٨ —

يجب ان يؤتى في القسم الرابع بايضاح مفصل عن سبب إشراق الظهيرة
العظمى في حينها ، فلا بد إذاً من وصف الحقبة الملائمة للظهور على أن يتولى
زرادشت تأويل هذا الوصف
ويجب ان يُبين في الفصل الرابع السبب الحقيقي لوجوب خلق الشعب المختار
اولاً وهو شعب « يلائم رجاله زمانهم فيأتون اضداداً لمن لا تتفق احوالهم مع
الزمان ولا يعهد زرادشت بحل القضايا الا لمن يظهرون اخيراً فيدعوهم الى العمل

— ٢٩٤ —

على تحقيق نظرياته وهي نظريات صحيحة ولا محاباة فيها والنبيل من اخص مميزات
وهكذا يتسلم هؤلاء الناس المطرقة التي ستتولى المملك في العالم

— ٧٩ —

التكافؤ في القدرة بين المبدع والعاشق والعارف

— ٨٠ —

« للحب وحده ان يتولى القضاء » فالحب يُبدع ويوجد نفسه في ما يبدع

— ٨١ —

لا سعادة في اتباع شرعة زرادشت الا حين يستتب نظام التسلسل وهو ما
يجب تعليمه قبل كل شيء نظاماً تقوم عليه الحكومة في العالم اذ توجد طائفة
جديدة للسيادة فيه ومن هذه الطائفة يخلق في كل مكان إله أبقراتي ، هو
الانسان المتفوق الذي يغير صفحة الوجود ويبدل الحياة تبديلاً
إن العالم الذي يتفوق على الإنسانية انما يعود بها بعد هذا الجنوح الى بذل
حبه للأصاغر والمتضعين
زرادشت يموت وهو يبارك جميع حوادث حياته

— ٨٢ —

لقد كفانا ان نكون أناساً يصلُّون فعلينا ان نصبح أناساً يباركون

Biblioteca Alexandrina



0226677

